من أوراق كربلا
ء

بحوث ومقالات ودراسات تتناول القضية الحسينية بإسلوب تحليلي قابل للنقد والمناقشة والتداول الفكري العام

بقلم
يحيى غالي ياسين

إهداء

الى سيّد الإصلاح ، وسيّد الشهداء ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، أبي عبدالله الحسين عليه السلام ، أُهدي هذه الأوراق الكربلائية ، وكلي رجاء بأن يتقبلها منّي بقبول حَسن ، بغثّها وسمينها ، صحيحها وسقيمها ، فالنيّة ان شاء الله صالحة ، وسفينته واسعة .. هو نعم السيّد الكريم ، وربنا هو المنّان العظيم ..

يحيى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق اجمعين ، محمد واله الطاهرين ..

الحياة الفكرية لكربلاء ضرورية بضرورة حياة كربلاء الثورية ، فبين الحياتين تنوّع أدوار وتغذية متبادلة ، ونقصد بالحياة الفكرية ما يعمّ أوراقها التاريخية وأوراقها الفلسفية والروحية والأخلاقية ، الملكوتية و الظاهرية ، وكل بحث علمي يرتبط بها ويتفرع عنها ..

وكربلاء معطاءة في كل جوانبها ، ومائدة ابي عبدالله المعنوية تفوق مائدته المادية على كثرة الأخيرة وتجاوزها حدّ النعت والوصف .. وكما أن هناك طقوساً خاصة بإحياء عاشوراء ، فكذلك للحياة الفكرية طقوس ، مهمتها تعميق طقوس الإحياء فكرياً ، وتعزيزها روحياً ، وتهذيبها من كل دخيل ، وإضافة كل ما هو أصيل في القضية الحسينية المقدسة ..

الحسين عليه السلام في السماء أكبر منه في الأرض حسب مضمون النبوي الوارد ، وهذا يعني أننا لن نصل في الحديث عن الحسين الى حدّ ، ولا يمكن أن نصل في خدمته الى نهاية صلوات الله وسلامه عليه ، لأنه دائماً أعظم من الكلام ويستحق أعلى مما يقدّمه الخدّام ، هذا من جانبنا ، أما عند الله فالقليل الذي يُقدّم لأبي عبدالله يحسبه كبيراً وعظيما .. والحسنة بعشر أمثالها ..

هذه مجموعة من أوراق ملف كربلاء ، تناولنا فيها بعض الجوانب التحليلية للقضية الحسينية المقدسة ، وحاولنا التطرق فيها الى بعض القضايا المهمّة والا سئلة الحساسّة ..

كُتبت هذه الأوراق على نسق الكتابة في مواقع التواصل الاجتماعي ومواقع الأنترنت والتي تميل في الغالب الى منهجية تكثيف وتركيز الفكرة والمحتوى و التقليل والاقتصار على اقل الكلمات وأوجز العبارات ..

كل ما مكتوب في هذه الأوراق قابل للمناقشة والنقد ،

وصالح للتداول للفكري بشكل عام ان شاء الله تعالى ..

نسأل الله تعالى أن نكون ممن أحيا قضية أبي عبد الله الحسين عليه السلام وفاز بخدمته ، وأن يرزقنا طلب ثأره مع ولده الحجة بن الحسن صلوات الله عليه ، كما وإننا كلّنا أمل في أن يقلّنا بسفينته الواسعة ويشفع لنا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ..

يحيى غالي ياسين

هل عَملَ الإمام الحسين عليه السلام بتكليفه الخاص في كربلاء أم انطلق من وازع إسلامي عام ..؟

نحن عندما ندرس قضية الإمام الحسين عليه السلام ، ونقلّب أوراق كربلاء وندقق النظر فيها ونتفحص ما بين سطورها .. ليس من قبيل الإطلاع على قصة تاريخية او رواية أدبية او على أحد النصوص الابداعية .. وإنما نحن أمام قراءة نصوص دينية لها علا قة بعقيدتنا وسائر التزاماتنا الإسلامية .. وعليه .. ينبغي ان نبحث في هذه القضية عمّا له جانب التزامي من قبلنا ، سواء على مستوى الالتزام الفكري او الالتزام التطبيقي الخارجي ..

وأن اول ما يواجهنا في كربلاء هو هذا السؤال المهم والكبير ، و

الذي عليه تعتمد سائر الاسئلة والمعلومات والحقائق التي يمكن ان ترتبط بعاشوراء وثورة ابي عبد الله عليه السلام في كربلاء .. ولهذا فإننا نجد أن هذه النقطة من النقاط التي وقف عندها المشتغلون في فكر كربلاء : هل قام الإمام الحسين عليه السلام عن تكليف خاص ام عمل بوازع اسلامي عام ؟

وأهمية السؤال ترجع الى خطورة الجواب ، لأن الجواب سينعكس على الوظائف والواجبات والاحكام المستنبطة من كربلاء ، فإذا كانت كربلاء نابعة عن تكليف خاص بالإمام الحسين عليه السلام وحكم شخصي يتعلق به صلوات الله عليه وفرض عين كما يقال في الفقه .. فلا يمكن عندها اخذ كربلاء كحجـ ـّة في العمل ، و العكس صحيح ، فإذا كانت كوازع عام وأمر إسلامي يُقتدى به ، فـ تكون عندها عاشوراء قاعدة اسلامية يرجع اليها الثوار و المنتفضون الذين توفرت لهم مقدمات الثورة وتهيأت لهم ظروفها اقتداءً بالامام الحسين عليه السلام حتى وان كان النصر بحكم المستحيل وحتى لو كانت التضحيات جسيمة ..!!

ولقد اختلف العلماء والكتّاب والمهتمون حول جواب هذا السؤال ، وبصورة أساسية انقسموا على قسمين :

+ قسم يرى بأن الإمام قد عمل بتكليفه الخاص ، ويسوق في ذلك ادلته ومستنداته الداعمة لرأيه ، ومن اصحاب هذا الرأي مثلا ً صاحب الجواهر قدس سره حيث يقول : { ما وقع من الحسين عليه السلام مع انه من الأسرار الربانية والعلم المخزون يمكن ان يكون لانحصار الطريق في ذلك ... على أنه له تكليف خاص قد قدم عليه وبادر الى اجابته ، ومعصوم من الخطأ لا يعترض على فعله ولا قوله ، فلا يقاس عليه من كان تكليفه ظاهر الادلة والاخذ بعمومها وإطلاقها مرجّحاً بينها بالمرجّحات الظنية } جواهر الكلام ٢١/٢٩٥ -

وللشيخ المجلسي كلام يُفهم منه ذلك ايضاً : " إنّ هذه القضية - حكمة شهادة الإمام الحسين - هي في الحقيقة فرع من مسألة القضاء والقدر الذي نقل عن الأميرعليه السلام أنّه يقول في شأنه : طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق فلا تلجوه وسرّ اللّه فلا تتكلفوه" ، حيث ورد في أحاديث كثيرة النهي عن التفكير في هذه المسألة ، وعلى هذا فإنّ عدم التفكير في هذه المسألة أحوط وأولى (مجموعه رسائل اعتقادي (بالفارسي) ، للعلامة محمد باقر المجلسي ، ص203) .

+ بينما رأى القسم الآخر بأن الامام عليه السلام انطلق وفقاً للوازع الاسلامي العام وعمل بظاهر الادلة والظروف المحيطة به ، كالسيد الخميني قدس سره ، حيث يرى أن قول الامام عليه السلام : " من رأى سلطاناً جائراً مستحلا ً لحرم اللّه ... فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على اللّه ان يدخله مدخله " يعتبره قدس سره ان هذا المطلب الذي بيّنه الامام يعمّ الجميع ، ويقول في موضع آخر من (صحيفة نور) : عمل الامام الحسين ع منهج للجميع .

وعلى هذا الرأي الثاني ايضاً الشهيد الشيخ مرتضى مطهري رضوان اللّه تعالى عليه ، حيث يرى ان القول بأن قيام الامام الحسين عليه السلام كان على أساس تكليف خاص هو من التحريفات المعنوية { ويقصد هنا تحريف التفسير والتأويل في قبال التحريف في اللفظ } التي تعرضت لها النهضة الحسينية (الملحمة الحسينية ٣ : ٢٤٠) .

ولا رأي لنا بين هؤلاء الأعلام ، ولكن نقول لا ينبغي ان نضع الجواب منحصراً بأحد القسمين ، ولا ضرورة في تضييقه بأمّا الأ ول وأما الثاني ..! بل أن وجود الرأيين دليل على امكانية بل ضرورة جمعهما معاً ، فالقضية الحسينية كما ان اسسها ومبادئها ومستنداتها الغيبية كبيرة ، وان الامام عليه السلام كان يسير وفق

خط الهي مرسوم .. الّا أنّ ذلك لا يمنع من أن تكون هنالك دروس واحكام مأخوذة من هذه الواقعة ومناهج طالما تأسّى بها الثوّار وا لأحرار على طول خط التأريخ ، فكل ما واجهنا في هذه القضية من امر يصعب تفسيره او ترجمته الى واقع .. فهذا مما تعلقت به يد الغيب ، وكل ما نجده نوراً يُستضاء به في ظلم زماننا ، وسفينةً تنجينا من عباب بلاءات دهرنا فهذا مما اراق في سبيله عليه السلا م دمه ودم اهل بيته وصحبه ، فهو مصباح الهدى وهو سفينة النجاة لنا صلوات الله وسلامه عليه ..

الإمام عليه السلام دعا الناس الى نصرته صلوات الله عليه ، وطلباً لثاراته قامت ثورات ودول في ايام المعصومين عليهم السلام ، وان احياء أمره ومظلوميته مما حث عليه الائمة صلوات الله عليهم ، ومطالب كربلاء كلها واضحة وجلية ، بدءاً من رفض الإمام الحسين عليه السلام لخلافة يزيد وامتناعه عن مبايعته ، مروراً بتصريحه بطلب الإصلاح في أمة جده ، وانتهاءً باستجابته لرسائل أهل الكوفة .. كل هذا وغيره انما يدل على ان كربلاء هي ثورة المظلوم على الظالم ، وانها اتخذت اعلى درجات الأمر بـ المعروف والنهي عن المنكر ، وانها اعطت اعظم الدروس والعبر في الدفاع عن الدين وبذل الغالي والنفيس من اجل الحفاظ على شريعة سيد المرسلين ..

نعم ، يبقى ابو عبدالله عليه السلام وثورته الخالدة لها وجهها الإ لهي وجانبها الغيبي والسماوي ، في كل سطر من سطور تاريخها وأحداثها يوجد خلفه سطر من نور قد تعلقت به إرادة الله تعالى .. فكربلاء لها بعدان ، بعد أرضي وبعد غيبي ..

لماذا كربلاء .. ؟

هذه الورقة تحمل سؤالا ً مهمّاً ايضاً قد اهتم به المعنيون في القضية الحسينية فكراً ومنهجا وهو : لماذا كربلاء ، دوافعها وفلسفتها واهدافها ..؟

وبعد أن تعددت النصوص الصادرة عن الإمام عليه السلام المعللِة لقيامه المبارك والمفسِرة لأسباب نهضته ، يكون التبرّع وإعمال الفكر في الإجابة لا مسوّغ له على المستوى الأول من الإجابة وإن كان يحتاج الى ذلك فيما بعد كما سنبين ..

الّا أنّ المشكلة التي نواجهها في هذه النصوص المبيّنة لأسباب ثورة الحسين عليه السلام هو التعدد مع الاختلاف رغم صدورها في فترة متقاربة قُبيل الثورة وتحديداً من لحظة عزم الإمام عليه السلام على الخروج من المدينة مروراً بمكة ووصولا ً الى كربلاء . حيث أن هذه النصوص منها ماكان صادراً ابتداءً من الإمام ع ومنها ما كان جواباً لسؤال الاشخاص الذين يلتقون به ويستفسرون عن نهضته والتي نقلها لنا التأريخ ..

ولقد ثبّت المحقق السيد المقرّم رأيه اتجاه هذه النقطة - وهي اختلاف النصوص الصادرة عن الإمام فيما يخص سبب القيام - : { وإنما لم يصارح بما عنده من العلم لكل من رغب في إعراضه عن السفر الى الكوفة لعلمه بأن الحقائق لا تفاض لأي متطلب بعد اختلاف الأوعية سعة وضيقاً وتباين المرامي قرباً وبُعدا ، فلذلك عليه السلام يجيب كل احد بما يسعه ظرفه وتتحمله معرفته وعقليته .. } مقتل الحسين للمقرم ٦٥_٦٦

ولقد أعطى فضيلة الاستاذ علي الشاوي في الجزء الاول من موسوعة (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة) ثلاث نقاط ينبغي ملاحظتها لمعالجة هذا الاختلاف والتخلص منه بقدر

ما ، وهي :

١. معرفة هوية المُخاطَب في تلك النصوص .

٢. النظر الى هذه النصوص كوحدة في مجموعها .

٣. ردّ المتشابه منها الى المُحكم .

ولا بدّ من إعطاء امثلة لبعض النصوص الشريفة الواردة عن الإمام عليه السلام كأجوبة للسؤال المُثار :

+ [إنّا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله ، وبنا ختم ، ويزيد فاسق ، فاجر شارب الخمر ، قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق والفجور ، مثلي لا يبايع مثله] قوله عليه السلام للوليد والي المدينة عندما طلب منه مبايعة يزيد (لع) .

+ [لو لم أعجل لأ ُخذت] جوابه عليه السلام للفرزدق عندما قال له : ما أعجلك عن الحج ؟!

+ [وإني أستخير الله وأنظر ما يكون] جوابه عليه السلام لعبد الله بن عباس حين حذره من التوجه الى العراق .

+ [يا عبد الله ، ليس يخفى عليّ الرأي ، ولكن الله لا يُغلب على امره] قوله عليه السلام لعمرو بن لوذان حينما أشار عليه بعدم التوجه الى الكوفة ..

+ [فلا بد لي إذن من مصرعي] قوله عليه السلام بعد ان قرأ كتاب عمرة بنت عبد الرحمن والتي قالت في كتابها : أشهد لحدثتني عائشة انها سمعت رسول الله ص واله يقول " يقتل حسين بأرض كربلاء " .

+ [يا أماه ، قد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولا ً مذبوحاً ظلماً

وعدوانا ، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشرّدين ..]
قوله عليه السلام لأم سلمة رضي اللّه عنها .

+ [جئت تنهاني عن المسير ، ويأبى اللّه الا ذلك] من جوابه للأوزاعي .

ونصوص كثيرة وردت في تأريخ كربلاء وكل منها يعتبر جزءاً من الحقيقة ووجهاً من وجوهها ، حيث يفصح عنها عليه السلام بحسب ما يراه مناسباً ..

فهذه النصوص الشريفة امامنا ، وهي تبيّن من جهة فداحة مبايعة يزيد ابن معاوية وانه لا يمكن بحال من الأحوال تمرير إمارته على المسلمين ، ومن جهة ان الأمة بحاجة الى اصلاح او لنقل صدمة اصلاحية توقظ غفلتها وتوقظ ضميرها ، ومن جهة اخرى أن الامام عليه السلام قد ايقن ان يزيد عازم على قتله لا محالة ، وما دام انه مقتول فليقتل قتلة واحدة يُقتل من خلالها الجاني ألف مرة ، وكذلك اومأ الإمام عليه السلام الى الجانب الغيبي في المسألة والبعد الإلهي في القضية ..

اما ما بعد حدوث الواقعة وبعد اقتطاف ثمار كربلاء ولمس حِكمها لمس اليد ، وبعد ان بانت كراماتها ومعاجزها ، وتوضحت وجوه ونوايا الفريقين خير وضوح ، ومعرفة من هو الجاني ومن هو الضحية ، وماذا أراد ان يكسب القاتل وما هي مكتسبات المقتول .. اصبح الجواب اكثر وضوحاً والنصوص بالنسبة لنا أكثر فهماً .

بكربلاء استطاع عليه السلام أن يجمع افضل نتيجتين ممكنتين ، الشهادة التي نال بها كرامة الدنيا والآخرة ، والفتح الذي به يُحفظ الدين وتُصان رسالة النبي الأمين ، وستتبين الحكمة بكامل

أطرافها وجوانبها عندما تتكلل النتائج على يد ثورة ولده المهدي عجل الله تعالى فرجه والذي سيقوم بشعار : يا لثارات الحسين ، سوف ينتفض لأهداف الحسين ويأخذ حقها كاملةً من كل ظ الم لها ..

هل استعمل الإمام الحسين عليه السلام السلاح الغيبي الاعجازي في كربلاء .. ؟

للغيب والإعجاز في معارك الأنبياء والرسل والأوصياء مساحة واسعة في التاريخ الديني والقرآني وكذا الإسلامي وتاريخ أهل البيت عليهم السلام .. فكان جيش نبي الله سليمان عليه السلام يتألف من الجن والطير والأنس قال تعالى: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) [النمل:17] .

ولقد نصر الله المسلمين فى معركة بدر وأمدهم بالملائكة ، قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (123) - إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بث لاثة آلاف من الملائكة منزلين (124) - بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (125)) ال عمران ..

وقال تعالى (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) الانفال ٤٤

وقال تعالى أيضاً في قصة إنفلاق البحر لموسى (عليه السلام) : { فَلَمّا تَرَاءى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنّا لَمُدْرَكُونَ ، قَالَ كَلّا إِنّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِينِ ، فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ البَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطّوْدِ العَظِيمِ ، وَأَزْلَفْنَا ثَمّ الآخَرِينَ ، وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مّعَهُ أَجْمَعِينَ ، ثُمّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ، إِنّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ، وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرّحِيمُ } الشعراء ٦١ .. .

والسبب الأساس في انتصار المسلمين على يهود "بني قريظة" كان أيضاً الإمداد الإلهي ، حيث يقول تعالى : ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ الأحزاب ٢٦

ومن الاسئلة التي تثار كثيراً في القضية الحسينية هو هذا السؤال ، فالإمام عليه السلام حجة اللّه على الارض وعنده كرامة عظيمة ومنزلة كبيرة عند اللّه تعالى ، وعنده مساحة واسعة من الولاية التكوينية والاسلحة الاعجازية والامور الغيبية بإذن اللّه تعالى .. الخ ، فهل سخرها لقضيته ، ام ماذا .. ؟

والجواب : نعم ، ولكن لم يستعملها لغرض النصر العسكري رغم توفرها له ، وانما استعملها لوضع الحجة الدامغة لأحقية قضيته ، سواء على مستوى الأفراد او على المستوى العام وامام الجميع ..

اما عدم استعماله للغيب لأغراض النصر العسكري رغم توفر ذلك له نجده في الروايات الواردة عن تأريخ الطف ، حيث تذكر بعض الروايات : " لما التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد لعنه اللّه وقامت الحرب ، أُنزل النصر حتى رفرف على رأس الحسين عليه السلام ، ثم خُيّر بين النصر على اعدائه وبين لقاء اللّه تعالى ، فاختار لقاء اللّه تعالى " اللّهوف : ٤٤ ينقلها عن معالم الدين للنرسي وقد رواها الكليني بتفاوت في الكافي باب : ان الائمة ع يعلمون متى يموتون ..

وكذلك الاخبار التي تشير الى عدم إذنه عليه السلام للملائكة و

الجن حين عرضوا عليه النصرة ، فقال للملائكة : " الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلا " . وقال للجنّ : " اما قرأتم كتاب اللّه المنزل على جدي رسول اللّه صلى اللّه عليه واله في قوله (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) " اللّهوف ٢٨ ..

اما ما فعله من معاجز وما اخبر به عليه السلام من أسرار غيبية على المستوى الخاص والعام فنذكره في نقاط :

+ استجابة الدعاء في الرجل الذي قام من معسكر عمر بن سعد وقال : أبشر يا حسين بالنار ، فقال عليه السلام : اللّهم حزه الى النار . فقال الراوي : فنفرت به الدابة ، فتعلقت رجله بالركاب ، فو اللّه ما بقي عليها الا رجله . (مقتل الحسين للخوارزمي) .

+ ما روي عن الامام الباقر عليه السلام في دم الرضيع : فلم يسقط من ذلك الدم قطرة الى الأرض .

+ تأثيره في زهير بن القين الذي قلبه الإمام عليه السلام رأساً على عقب عندما تحدث معه ، ولا زال الحديث من اسرار كربلاء ..

+ معاجز ما بعد الواقعة ، ذكر صاحب الصواعق المحرقة : وكان من مظاهر غضب اللّه لمقتل الحسين عليه السلام أن اسودت السماء وشوهدت النجوم بالنهار وحاق عذاب اللّه بكل من اشترك في دمه .

+ كلام الرأس الشريف وترتيله لآية : ام حسبت أن اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا .

+ روى عبد اللّه بن رباح القاضي أنّه قال : لقيت رجلا ً مكفوفاً قد شهد قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، فسئل عن بصره ، فقال : كنت شهدت قتله عاشر عشرة غير أنّي لم أطعن برمح ، ولم أضرب بسيف ولم أرم بسهم .

فلمّا قتل (عليه السلام) رجعت إلى منزلي وصلّيت العشاء الآخرة ونمتُ ، فأتاني آتٍ في منامي فقال : أجب رسول اللّه !! فقلت : ما لي وله ؟ .

فأخذ بتلابيبي وجرّني إليه ، فإذا النبي (صلى اللّه عليه وآله) جالس في صحراء ، حاسر عن ذارعيه ، آخذ بحربة ، وملك قائم بين يديه ، وفي يده سيف من نار يقتل أصحابي التسعة ، فكلّما ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً !! ، فدنوت منه وجثوت بين يديه ، وقلت : السلام عليك يا رسول اللّه ، فلم يردّ (صلى اللّه عليه وآله) عليّ .

ومكث طويلا ً ، ثمّ رفع رأسه وقال (صلى اللّه عليه وآله) : يا عدوّ اللّه ، انتهكت حرمتي ، وقتلت عترتي ، ولم ترعَ حقِّي ، وفعلت وفعلت .

فقلت : يا رسول اللّه ، ما ضربت بسيف ، ولا طعنت برمح ، ولا رميت بسهم ، فقال (صلى اللّه عليه وآله) : صدقتَ ، ولكنّك كثّرت السواد ، أُدنُ مِنّي ، فدنوت منه ، فإذا بطشت مملوء دماً .

فقال (صلى اللّه عليه وآله) لي : هذا دم ولدي الحسين ، فكحّلني من ذلك الدم ، فاحترقت عيناي ، فانتبهت لا أبصر شيئاً ..

السلام عليك يا ابا عبداللّه .. وغيرها من المعاجز والكرامات حيث اننا ليس في مقام استقصائها ، هذه المعاجز الغيبية زادت من اهل بيته وصحبه ثباتاً وإقداماً وايماناً بالقضية ولكنها لم تحرك ساكناً من الذين أشربوا في قلوبهم الكفر والنفاق الا ما ندر ، كالحر بن يزيد الرياحي وزهير بن القين ..

هذا هو جواب السؤال اعلاه ، كان النصر الغيبي في متناول يده صلوات اللّه وسلامه عليه ولكن اهداف كربلاء كانت محصورة بإستشهاده واراقة دمه على أرض كربلاء ..

وايضاً لا بدّ من معرفة ان المعاجز والكرامات والغيبيات وإن كانت في متناول الانبياء والائمة ومنها الولاية التكوينية – وكلها بإذن

الله تعالى وكرامته – الا أنها لا تستعمل بما يُخالف الحكمة الالهية الجارية وفقاً للقوانين الطبيعية والظاهرية ، فهذه القوانين غير الا عجازية ومعها العقل ومعها الإيمان ومعها الإختيار الكامل .. تكون من أساسيات وابجديات امتحان الله لخلقه واختبارهم ، ليفوز من يفوز ويخسر من يخسر ..

العمل بالظاهر هو الأصل في التعامل ، واما التعامل الغيبي فهو الا ستثناء ولا يكون الا لسبب وحكمة موجبة له ، يقول النبى الأكرم صلوات الله عليه في هذا المضمون (إنما أقضي بينكم بالأيمان و البينات، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن أخذت له من أخيه شيئاً، فليعلم أني إنما اقتطعت له قطعة من النار) الكافي ج٤ ص٤١٤ .

ولقد سطّر لنا القرآن الكريم الكثير من قواعد وأصول وسنن النصر والهزيمة ، فدعى القرآن الكريم مثلا ً الى الإعداد الجيد للمعركة (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) الانفال ٦٠ ، وبين لنا ايضاً ان التنازع يؤدي الى الفشل (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) الانفال ٤٦ .

اضف الى ذلك ، أنه لو اعتمد الانبياء والائمة على القدرات الا عجازية والامكانيات الغيبية في حياتهم الرسالية او الحياة الطبيعية لما كانوا قدوة وأسوة لباقي البشر ولما كانت سيرتهم حجّة على الخلق صلوات الله عليهم لأنها تصبح من قبيل التكليف بما لا يُطاق ، قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الاحزاب ٢١، وقال تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم) . الكهف ١١٠

ثم أن المظلومية التي لحقت بأهل البيت عليهم السلام بل بالا

انبياء عامة من قبل اعدائهم وما تعرضوا له من تعذيب وقتل وتشريد .. الخ وعدم استخدامهم لكراماتهم الاعجازية لردع هكذا اعتداءات .. انما يدل على ارواحهم السامية وأهدافهم العالية وعظم ما انطوت عليه نفوسهم وضمائرهم من رقيّ وصلاح ..

معارك الحق والباطل يحكمها قانون الكر والفر ، النصر والهزيمة ، التقدم والتراجع ، فمتى ما توفرت مقدمات أحدهما ، واجتمعت شرائطه .. تحقق ، نصراً كان أم هزيمة ، هذا عندما تكون الهزيمة نسبية ، والتراجع مؤقت ونصر الاعداء عبارة عن جولة وصولة ، أما عندما تكون الهزيمة مهددة لوجود الحق على الأرض ، ومانعة من تحقيق الأهداف العليا للرسالات .. فإن النصر يصبح ضرورياً حتى وإن استدعى الأمر الى التدخل الغيبي والاعجازي ، ففي معركة بدر كانت الهزيمة يعني الاستئصال ، هكذا ناجى الرسول ربه : " اللّٰهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، اللّٰهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم" ، بينما في معركة أحد لم يكن الأمر بهذه الحراجة ، ولمخالفة بعض المقاتلين أوامر قائدهم ، تحول النصر الى هزيمة ولم تحصل معجزة لإرجاع نصاب النصر للمسلمين ..

ثم أنه في كربلاء حصلت معجزة من نوع آخر ايضاً ، وهو أن الهزيمة العسكرية أصبحت فتحاً إسلامياً وإنسانياً ، والمظلومية باتت سبباً لخلود القضية ، والدم فيها انتصر على السيف .. فلماذا لا ننظر الى هذا الإعجاز الحسيني والكرامة الكربلائية .. !

مَن الغالب ..؟

مَن الغالب ..؟ أول مـ ـَن سؤل به هو الإمام زين العابدين عليه السلام حينما رجع الى المدينة ، فقد رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام) أنَّهُ قَالَ : " لَمَّا قَدِمَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَ قَدْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، اسْتَقْبَلَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَقَالَ : يَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ، مَنْ غَلَبَ ـ وَ هُوَ يُغَطِّي رَأْسَهُ وَهـ ـُوَ فِي الْمَحْمِلِ ـ ؟

قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَنْ غَلَبَ وَ دَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَأَذِّنْ ثُمَّ أَقِمْ . بحار الأنوار : 45 / 177.

وهذا أفضل جواب وأبلغ ردّ خرج منه عليه السلام وبه اختصر اجوبة جميع اسئلة كربلاء : " إذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم " - ستعرف الغالب - .

ما اعظمه من جواب ..!! بقاء الدين ، ورفع شعار الرسالة ، هو النصر الذي ابتغاه ابو عبد الله ، وهو اعظم غَلَبة وأبيَنُ فتح ..

الإسلام هو أكبر همّ يحمله أهل البيت عليهم السلام وعلى رأس أهدافهم العليا ومحور حركتهم وسكنتهم ، لا يعرف الجواب من لم يسبق له معرفة قواعد اللعبة – كما يقال – ، ولم يصل الى عمق معرفة الردّ الا من عرف مَن هم أهل البيت صلوات الله عليهم ، لم يصل الى مغزى الإجابة مَن لم يعرف الفرق بين مفهوم الثورة ومفهوم المعركة ..

دخل المسلمون الى مكة بدون ضرب سيف ولا طعن رمح ورغم ذلك يصفه القرآن الكريم بالنصر والفتح (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) ، الثورة تهدف الى صناعة مستقبل من خلال تغيير واقع

وتثبيت مبدأ وحفاظ على أصل ، أما هدف المعركة هو الفوز على العدو في ظرف المعركة الراهن ..

أسلحة الثورة هي أسلحة الحق ، قد تكون حجةً دامغة ، أو كلمةً طيّبة ، او دماً طاهراً أو مَظلمة تُصاب او حيفاً يلوح .. ربما تصبح من عدّتها دمعة يتيم ، أو كرامة من الله يحققها او معجزة سماوية يُنجزها او ذكرى تدوم أو جمرة تتقد .. اما اسلحة المعركة فهي سيفٌ يرمى متى ما ثُلم حدّه ورمح يُترك متى ما كُسر نصله ..

نصر الثورة وثمارها تقتطف ولو بعد حين ، وثأرها يؤخذ ولو ط الت به السنون . فلينتظر المشككون شهري محرم وصفر ولينظروا من المنتصر !! الحسين عليه السلام قائد عسكري قد خبر الحروب ، أبوه علي بن ابي طالب ، قتّال العرب ، معه قادة العرب وشجعانها ، يعرفون جيداً كيف تُدار المعارك وما هي عدّتها ، يُحسنون صنع ا لانتصارات ، يعلم جون جيداً ان الصدر العاري امام السيف هو قرار موت وإهداء جولة ناجحة للخصم ، والعباس يدرك تمام الإ دارك ان طلب الماء من شريعة يحرسها اربعة الاف مقاتل انما هي عملية استشهادية صريحة ، كان القاسم بن الحسن يرتدي نعلا ً لايليق بظروف المعركة ولا يقاوم شسعه كرّاً على القوم ..

بنحر الطفل الرضيع غلب الحسين سهم حرملة ، وبقربة العباس سقى كربلاء سُقية لا تموت بعدها ابدا .. كربلاء ثورة ، يُسأل عن اهدافها وثمارها وانجازاتها ، وليست معركة كي يُسأل عن الغالب فيها .. قال تعالى : مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا .

من فَهِمَ فلسفة كربلاء فهم الجمال الذي رأته زينب عليها السلام من كربلاء حينما سألها الملعون يزيد بن معاوية : : كيف رَأَيْتِ صُنْعَ اللّه بِأَخِيكِ وَأَهْلِ بَيْتِكِ؟ فَقالت: مَا رَأَيْتُ إلّا جَمِيلا ً، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَتَبَ اللّه عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ، فَبَرَزُوا إلى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللّه بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتُحَاجُ وَتُخَاصَمُ، فَانْظُرْ لِـمَنِ الْفَلَجُ يَوْمَئِذٍ، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا بْنَ مَرْجَانَةَ .

القاعدة القرآنية التي نعتمد عليها هو قوله تعالى (.. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف ٢١ ، فكل شيء مرتبط بأمر الله فإن له الغلبة ، سواء كانت معجلة أم مؤجلة ، ظاهرة أم باطنة ..

فنحن في كربلاء اذن أمام منطق جديد للمعارك ومفهوم غير تقليدي للنصر ، منطق انتصار الدم على السيف ، ومبدأ – أن أكون مظلوماً كي انتصر – من تأصيلات هذه الثورة المقدسة كما سنبينه في أوراق لاحقة ان شاء الله ..

دراسة كربلاء من جهة الطرف الآخر

نستغرق كثيراً في دراسة كربلاء من جانب ابي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته واصحابه ، ونبذل الوسع في استنطاق الثورة من هذه الجهة المباركة ، نريد أن نعرف كل شيء عن كربلاء ، اهدافها ، فلسفتها ، نتائجها ومظلوميتها من الطرف الذي يقوده الحسين ع .. ولكن لم نبذل نفس الجهد ولا نصفه ولا أقل من ذلك في دراسة وقراءة كربلاء من الجانب الآخر ، من جهة معسكر عمر ابن سعد ، وولاية ابن زياد للكوفة ، لم نتعمق في معرفة الجانب الذي يتربع على رأس قائمته يزيد بن معاوية عليه لعائن الله ..

كربلاء ليست للحسين عليه السلام فقط ، وانما عمر بن سعد ايضاً عنده كربلاء ، وحرملة من صنّاع كربلاء ، وابن زياد من مفكري ومنفذي كربلاء .. للطف شاطئان ، شاطىء عليه العباس عليه السلا م وشاطىء عليه اربعة الاف مقاتل ، رغم أنهم على نفس الشريعة ولكن المسافة بينهم كبيرة بقدر المسافة بين الحق والباطل ..!

ولعل دراسة كربلاء من جهة الظالم تكون اسهل واسرع ، لأنها من جهة المظلوم قد تنطوي على أسرار ولها صلة بالغيب ، وأن أشخاصها وأبطالها لا يُقاس بهم أحد ولقد تجاوزوا حدود البطولة والتضحية والصحبة الطبيعية ، وأن لها فلسفتها ومعادلاتها المشفرة ، غير أن المنطق الذي يعمل فيه الظالم بسيط عادة ، لأنه

طافح بالنوازع البشرية ، والغرائز والشهوات النفسية ، كالطمع بمال ، او حب بجاه ، أو خوف من مصير ، او حفاظ على نفس .. الخ ، أو قد تكون هنالك أمراض عقلية ، كمغالطة ساذجة قد سيطرت على صاحبها أو فكرة خاطئة لم يُهتدى الى صوابها ، أو قد يكون المرض في العزيمة والهمّة .. وهذه المحر ّكات هي من صميم حياتنا ، نعيش تفاصيلها بشكل يومي وإن كانت المستويات مختلفة قوةً وضعفا .. مما يجعل تناولها بالنسبة لنا تناولا ً وجدانياً لا غرابة فيه ..

فمن إحدى معادلات كربلاء من طرف معسكر الكوفة مثلا ً هو قانون ضعف ووهن الإرادة الذي أوضحه الفرزدق بكلمات بسيطة ولكنها اصابت كبد الحقيقة عندما سأله الأمام عن أهل الكوفة ، فقال له (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) ..!! هذه الحقيقة التي نعرفها جميعاً ، لأنها تُستشعر كثيراً في ابسط أمورنا الحياتية ، كم خالفنا عقولنا وسحقنا على ميل قلوبنا لسبب تافه من هنا وهناك .. ! بينما يصعب علينا أن نعيش حالة جون رضوان الله عليه لأننا لا نستطيع أن نتخلّى دائماً عن كل شيء ، حتى عمّا يغطي أجسادنا في سبيل المبدأ وفي سبيل ما يمليه علينا الموقف مع الحق حينها .. وبالتالي فإن التفسير النظري لحالة جون مهما تعمّق لا يصل بنا الى ما يصل اليه الوجدان الذي نعيشه كثيرا ..!

ومثال آخر من الطرف الآخر لفهم كربلاء نأخذه من عمر بن سعد ، قائد معسكر الكوفة ، ماذا تتوقع بأي فلسفة خرج بوجه الحسين عليه السلام وصنع ما صنع في عاشوراء..!! هل نزل عليه وحي ..! أم هل اجتهد في تفسير آية واخطأ ..! ابدا ، كل ما هنالك أن ملك الري قد أعمى بصيرته ، طمعه جعله يقتل الحسين وآله وصحبه .. فهو اذن ممن أيّد وطبّق معادلة الفرزدق على أصولها واتبع مضمونها على ادق وجه ، وقد عبّر عنها بكل صراحة حين قال :

فوالله ما أدري وإني لحائر + أفكر في أمري على خطرين

أأترك ملك الري والري منيتي + أم أرجع مأثوما بقتل حسين

بهكذا ضحالة صنعوا هؤلاء كربلاء ، وبهكذا امراض وقعت عاشوراء من قبل الطرف الاخر .. بهكذا بساطة يمكن لنا قراءة الطف من جهة معسكر عمر بن سعد ، معرفة الاشياء بأضدادها من أصول المعرفة وأدوات الإثبات وقوانين المنطق البشري .. فهذه دعوة لمعرفة كربلاء من وجهها الآخر ، وهو منهج قرآني ايضاً ، فطالما استعرض القرآن الكريم لنا الخلفيات الفكرية والنفسية والا جتماعية .. الخ ، فالأموال مثلا ً كانت وراء كفر قارون وعداوته لموسى عليه السلام (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) القصص ٧٦ ، ومشكلة قوم لوط مع نبيهم كان ينهاهم عن الفاحشة (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الأعراف ٨٠ ، والفرق بين هابيل وقابيل هو التقوى عند هابيل و الحسد عند قابيل .. وهكذا سائر الشخصيات التي ذكرها الكتاب المجيد فيما يخص جبهة الباطل ، كالنمرود وفرعون وقوم شعيب وقوم صالح وبني اسرائيل . وصولا ً الى نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وما واجهه من مقاومة وأذى من بعض الشخصيات او بعض الفئات ، كقريش واليهود والمنافقين .. لكل منهم ذكر القرآن لنا مشكلة او عدد من المشاكل التي يعيشونها وكانت من أسباب معاداتهم للحق ومواجهتهم له .. دراسة هذه الجهة تعطي دراسة ضرورية ونافعة لأهل الأيمان ولأصحاب الدعوات الحقة و الدعوات الالهية ، فهي من جهة تعطي مواساة لهم وتعطيهم جرعة صبر وقوة تحمل على ما يلاقوه ، وهكذا واسى الله تعالى رسوله الكريم (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) الزخرف ٧ . ومن جهة أخرى تعطيهم خبرة وقاعدة بيانات علمية لفئات المجتمع التي من المحتمل مواجهتها والعمل بساحتها ..

ولعل من أوجه الوراثة التي ورثها الإمام الحسين عليه السلام من

الأنبياء كما في زيارة وارث هي هذه الجهة ، وكأنه في كربلاء قد واجه كل ما واجهه الأنبياء من طغيان وأذى وظلم ، فهو عليه السلام من جهته اختزل الرسالات ، وجيش ابن زياد ومن وراءه يزيد عليهم لعائن الله قد اختزلوا خط طغاة البشرية وفراعنتها ..

فنحن بحاجة اذن الى دائرة معارف كاملة خاصة بالشخصيات الطاغوتية على مر التاريخ ، فكما نكتب عن علي عليه السلام ، لا بد لنا ان نكتب عن معاوية ، وكما نكتب ونبحث عن الامام الحسين عليه السلام ، لا بد لنا من تأليف كتب وموسوعات تتناول عمر بن سعد وعبيدالله بن زياد والشمر ويزيد بن معاوية .. قد تكون هناك كتابات عنهم ولكنها ليست بشمولية وموسوعية الكتابات التي تناولت شخصيات جبهة الحق والإيمان ..

ملاحظة : ما يُنقل عن جون رضوان الله عليه بأنه قال : حب الحسين أجنني – غير ثابت تاريخياً ، ذكرناه لتقريب الفكرة ..

مجاهدات نفسية ناجحة / الحرّ انموذجا

اتخاذ القرارات الحاسمة في المواقف الصعبة من الأمور التي يدرسها علماء النفس ومتخصصو التنمية البشرية ، ويضعون لها بعض التعاريف وبعض القواعد التي تساعد صاحبها على اجتياز هكذا لحظات تكون مصيرية في حياة الإنسان العملية او الفكرية او الإجتماعية .. الخ ، وبالتالي فهي عملية ذات جذور معرفية وليست اعتباطية ..

مهارة اتخاذ القرار في تحديد خيار معين من مجموعة خيارات وبدائل تكون هيّنة اذا كان عدم اختيار البديل الأفضل لا يعد خطأ فادحاً ، وأن لديك الوقت الكافي في تطبيق قواعد الترجيح و المقارنة ودراسة كل بديل على حده مع المحافظة على الموضوعية وهدوء النفس .. الخ ، أما ان تكون عندك شحة في البدائل ، وان هذه البدائل على قلتها تكون متضادة فيما بينها ، وان لا وقت كاف لديك مع الضغط النفسي الرهيب والتشويش العقلي الكبير .. فإن هذا ما يحتاج الى توفيقات وتسديدات خاصة فعلا ً .. وهذا ما حدث مع الحر ابن يزيد الرياحي عندما خيّر نفسه بين الجنة والنار ، بين الشهادة مع الحسين عليه السلام او ا لاصطفاف مع قتلته ..!! الا ان الرحمة الالهية شملت هذا الرجل وانقذته مما هو فيه من مسؤولية كبيرة ..

ذكرنا في الورقة السابقة ان اهمّ الأمراض التي ظهرت اعراضها على جيش عبيد الله ابن زياد في الكوفة بل على الكوفيين عموماً هو ظاهرة الصراع الداخلي بين القلب والعقل اللذان يميلان الى جبهة الامام الحسين عليه السلام من جهة وحبّ الدنيا والخوف من الظالم من الجهة الأخرى ، وهو ما عبّر عنه الفرزدق بقوله للإ مام عليه السلام (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) ، والأعمّ الأغلب قد فشل في هذا الصراع ، فعمر بن سعد (لع) الذي تردد بين مُلك الري او تحمّل إثم الحسين قد اختار في النهاية هذا الإثم الأ عظم .. وقلوب أهل الكوفة كذلك لم تنتصر على سيوفهم ، فسلّطوها على الحسين عليه السلام ..

الّا انّ هنالك من نجح في إدارة هذا الصراع النفسي وانتصر قلبه على سيفه ، وعقله على نفسه ، انتصر عنده حبُ الآخرة على حبّ الدنيا ، وبالتالي فإنه خاض جهاد النفس – وهو الجهاد الأكبر – بنجاح فائق ، وأوضح مصاديق ذلك كما قلنا هو الحرّ بن يزيد الرياحي رضوان الله عليه .. فلقد خيّر نفسه بين الجنة والنار ، حيث قال (إنّي أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار) فاختار الجنة ، لا

احظ معي ، لم يخيّر نفسه بين الدنيا والاخرة كما فعل عمر بن سعد ، بل بين حُسن الآخرة وسوءها ، فاختار أحسنها ..

كان الحر قائداً في الكوفة وعلى رأس الف فارس ، وهو اول من كلّف بمهمة صدّ قافلة كربلاء من الدخول الى الكوفة ، وقد شهد له معسكره يوم الطف أنه اشجع من في الكوفة .. اي أن الدنيا مفتوحة أبوابها على مصراعيها للحرّ ، ورغم ذلك كان عقله وإرادته اقوى من سيفه ونفسه ، فاستطاع ان يختار ويُحسن الاختيار ..

ظاهرة الحر بن يزيد الرياحي من الظواهر التي ينبغي التوقف عندها دراسةً وتحليلا ً وعبرةً ومنهجا ، ولعل حادثة السحرة القرآنية في ذلك الموقف الذي كان أمام فرعون وملأه والناس من أقرب الامثلة القرآنية لظاهرة انتصار إرادة الحرّ ورجاحة عقله ، فوقفوا مع موسى رغم خطورة الموقف وحراجته ..

ان توفيق الحرّ لهذا الانقلاب الايجابي ولهذه العاقبة التي لا ينالها الا الأوحد فالأوحد ، توفيق الحرّ في تسجيل أسمه في سجل شهداء وأصحاب الطفّ مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام .. لا بدّ من أن وراءه أسباب ومقدّمات جعلته يستحق هذا التوفيق وهذه الكرامة العالية .. بالتأكيد نحن نجهلها على حقيقتها رغم وجود بعض الإشارات الحسنة لها :

كإمتناعه عن الرد على الإمام الحسين عليه السلام وإقراره بمقام السيدة الزهراء عليه السلام .. وذلك عندما قال له الإمام ثكلتك أمك ما تريد ؟ على أثر منع الحر للإمام من الانصراف وأنه مأمور بتقديم الإمام لعبيد الله ابن زياد لعنه الله .. فكان جواب الحر للإمام : أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التى أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل أن أقوله كائنا من كان ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه . (راجع تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٠٣) .

او صلاته خلف الامام الحسين عليه السلام في منطقة ذي حسم ، فعندما حان وقت الصلاة قال الإمام الحسين (عليه السلام) للحر أتصلّي بأصحابك ؟ فقال الحر: لا، بل نصلي بصلاتك .

وكان الرجل شريفاً في قومه وشجاعاً لا يُشق له غبار وصاحب فضائل وخصال حميدة قد تكون هي من وراء هذا التوفيق ايضا ، فقد عبّر عن نفسه (إنّي أنا الحرّ ومأوى الضّيف) ، قال الشّيخ القرشي : (لقد دلّل بهذا الرّجز على كرمه وسخائه وأن بيته كان مأوى للضّيوف وموطنا للقاصدين) حياة الامام الحسين ج٣ ص ٢٢١ .. وغيرها من الاشارات لمن أراد التدقيق في قصة توبة هذا الرجل الحرّ فعلا ً ..

وبالتأكيد أن لخطابات الإمام الحسين عليه السلام في الطف ولشخصيته المباركة ومن معه من أهل بيته وصحبه .. كل ذلك اذا ما لاقى قلباً سليماً ونوايا صالحة ونفساً سامية وبذور خير .. فإنها بالتأكيد ستثمر ثماراً طيبة وتفعل فعلتها كما فعلت بالحر ومن تاب مثل الحر في ذلك الموقف الشديد الصعوبة والشديد الحراجة ..

ولا بدّ من التنويه الى أن بعض شهداء الطفّ قد خرجوا أول الأمر مع جيش عمر بن سعد على الأمام الحسين ع الّا انهم انقلبوا الى جبهة الإمام بعد ذلك واستشهدوا معه ، مثل :

+ جوين بن مالك التميمي

+ القاسم بن حبيب الازدي

+ عمر بن ضبيعة التميمي

+ الضرغامة بن مالك التغلبي

+ الحارث بن امرؤ القيس الكندي

هذه هي حُسن العاقبة التي نسأل الله ان يرزقنا بها بعد طول جفاء وبُعد مسافة عن جادة الحق ..

بُكاء السماء

بُكاء السماء : حزنها ، وهي حقيقة كونية ثبّتها القرآن الكريم بقوله : { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ } الدخان ٢٩ . ولو كانت السماء ليس لديها قابلية البكاء لما جاز نسبته اليها ، نعم ، بكاءها وحزنها يختلف عن بكاءنا وحزننا من حيث الطريقة والكيفية ..

ولتفاعل السماء مع بعض الأحداث البشرية على الارض مساحة واسعة في القرآن الكريم ، حيث تبيّن لنا عدد من الآيات علاقة وطيدة بين ظواهر سماوية - فلكية - وظواهر أرضية بشرية ، قال تعالى : { فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } ، وقال تعالى { فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عاليها سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ } .. وغيرها كثير .

فمن حيث المبدأ فإن انعكاس الظواهر البشرية على ظواهر فلكية ثابت وموجود ، وليس هذا منحصراً بالتفاعل السلبي وإنما يشمل ا لإيجابي ايضا ، قال تعالى { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ..

ومن خلال الايات والروايات نعرف أنّ لتفاعل السماء كيفيات وأسباب ، ومن كيفياتها : (المطرُ دماً ، احمرارها ، كسوف الشمس ، اشتباك النجوم ، رياح ، حجارة ، بركات ..) ، وأما من أهم أسبابها : ظلم ، عصيان ، كفر عام ، ذنب كبير كقتل انبياء الله واولياءه .. أو في الجانب الايجابي كالتقوى ..

ولقد ذكرت لنا الأخبار من كلا الفريقين أن السماء تأثرت بقتل الحسين عليه السلام تأثراً كبيراً وظهرت عليها آثار مختلفة بعضها

اختفى وبعضها لا زال موجودا :

+ في الميزان ، تفسير الاية ٢٩ من سورة الدخان : عن زرارة بن اعين عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال : " بكت السماء على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليهما السلام أربعين صباحا " ، قلت فما كان بكاؤها ؟ قال : " كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء " .

+ عن علماء العامة : احمرّت السماء ستة اشهر بعد قتله عليه السلا م - اي قتل الحسين ع - ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك . انظر الصواعق المحرقة ص ١٩٠ - ١٩٤

+ عن أم سليم قالت : لمّا قُتل الحسين عليه السلام مطرت السماء مطراً كالدم ، احمرّت منه البيوت والحيطان . كامل الزيارات ص٧٩

+ومنها ما جاء في كتب العامة: «... أنبأنا خلف بن خليفة عن أبيه ، قال : لما قتل الحسين اسودّت السماء ، وظهرت الكواكب نهاراً حتى رأيت الجوزاء عند العصر، وسقط التراب الأحمر» [تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين : 354] .

+ فقد جاء في كتاب (وقائع عصر الأنغلو ساكسون) الذي ترجمه ونقّحه ميشيل اسوانتون (MICHAEL SWANTON) وصدر في بريطانيا عام 1996 للميلاد وأعيد طبعه ثانية من قبل جامعة اكستر (Exeter) في ولاية نيويورك الأميركية عام 1998 للميلاد، جاء في الصفحة 38 من هذا الكتاب ما نصّه : (685. Here in Britain there was Bloody rain, and milk and butter were turned to blood) ومعناه : (في عام 685 ـ للميلاد ـ هنا في بريطانيا ، مطرت السماء دماً وتحوّل الحليب والزبدة إلى دم أو صار لونهما أحمر) . وعند مقارنة هذه السنة الميلادية (685) مع السنين الهجرية ، نجد أنها تطابق سنة 61 للهجرة .

ولهذا نجد أن السيدة زينب عليها صلوات الله في خطبتها في الكوفة ثبتت هذه الحادثة الكونية وحذرت مما هو أشد منها ،

قولها صلوات الله وسلامه عليها : (ويلكم أتدرون أي كبد لمحمد فريتم ، وأي دم له سفكتم ، وأي كريمة له أصبتم « لقد جئتم شيئا إدا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً » ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء...أفعجبتم أن قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى) .

وحقيق على الإنسان أن يدرس هذه الظاهرة – تفاعل الطبيعة – مع الإنسان من نواحي أخرى غير الأبعاد الروحية والغيبية و الدينية ، لأن في الأمر ما يشير الى وجود قوانين حاكمة وسنن جارية تحكم العلاقة ما بين المخلوقات جميعاً .. ووجداناً فإن الإ نسان يستشعر بنوع من الترابط الشديد مع الطبيعة بل ولديه مستوى من التحدث معها وقراءة أفكارها وإن لم يجري ذلك إلا وفق تجارب شخصية وقدرات فردية ..

نعم .. يوجد في الدين ما يؤيد فكرة وجود هذه اللغة وهذا التفاهم بيننا وبين كوننا من سماء وهواء وأرض وماء .. فنحن نستسقي السماء بصلاة الاستسقاء مثلا ً وندفع مكروه بعض الحوادث الكونية الكبرى كالكسوف والخسوف والريح الصفراء .. بصلاة الايات .. وهكذا .

ما يُكتشف من قوانين علمية في مراكز الأبحاث المختلفة والتي مكنت الإنسان من تفهم نسبة جيدة نسبياً من قوانين الكون وتسخيرها لفائدته واستعمالها في تطوير معيشته .. ايضاً يكشف لنا عن وجود هذه الحقيقة فيما يخص علاقة الإنسان بالطبيعة .

كل ما أكتشف وما توصلت اليه البشرية من علوم طبيعية وروحية في طريقة واسلوب التعامل مع الطبيعة وتطويعها لمصالحه المختلفة لا تشكل شيئاً أمام ما يمكن ان يصل اليه الإنسان ،

وستشهد البشرية كل ذلك في دولة العدل الإلهي التي سيؤسسها وينشؤها حفيد الحسين والذي سيأخذ بثأره ، الإمام الثاني عشر من ائمة أهل البيت عليهم السلام والذي سيملأ الارض عدلا ً وقسطا بعد ما ملئت ظلما وجورا .. عجل الله تعالى فرجه الشريف ..

الأسير المقتول نافع بن هلال الجملي

هو: نافع بن هلال بن نافع ، بن جَمَل بن سعد المذحجيّ الجَمَليّ . رجلٌ كوفيّ ذو شخصيّة مرموقة ، وكان سيّداً شريفاً سَرِيّاً ، شجاعاً ، وكان قارئاً للقرآن وكاتباً ، ومن حَمَلة الحديث .

كان نافع بن هلال من أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام ، حَضَر معه حروبَه الثلاث في العراق ، وخرج إلى الإمام الحسين عليه السّلام فلَقِيَه في الطريق ، وكان ذلك قبل شهادة مسلم بن عقيل رضوان الله عليه في الكوفة . وكان نافع قد أوصى أن يُتْبَع بفرسه المسمّى بـ « الكامل » فأتبع مع عمرو بن خالد الصّيداويّ وأصحابه .

كتب ابن شهرآشوب المازندرانيّ السّرَوي ": لمّا ضيّقَ الحرُّ على الحسين عليه السّلام ، خطب عليه السّلام أصحابه فقال :[أمّا بعد ، فقد نزَلَ مِن الأمر ما قد ترَون ، وأنّ الدنيا قد تغَيّرت وتنَكّرت وأدبَر معروفُها ، ولم يَبقَ منها إلا " صُبابةٌ كصُبابةِ الإناء ، وخَسيسُ عيشٍ كالمرَعى الوَبيل ! ألا َ ترَونَ إلى الحقّ لا يُعمَلُ به وإلى الباطلِ لا يُتَنَاهى عنه ؟! لِيَرغَبِ المؤمنُ في لقاء الله ، فإنّي

لا أرى الموتَ إلا ّ سعادة ، والحياةَ مع الظالمين إلا ّ بَرَماً] .

فقام نافع بن هلال الجَمليّ فقال : أنت تعلم أنّ جَدّك رسولَ اللّه لم يَقدِر أن يُشرِبَ الناس مَحبّتَه ، ولا أن يَرجِعوا إلى أمره ما أحَبّ ، وقد كان منهم منافقون يَعِدونه بالنصر، ويُضمِرون له الغَدْر، يَلْقونه بأحلى من العسل ، ويُخلِفونه بأمَرّ مِن الحَنظَل .. حتّى قَبَضَه اللّه إليه . وإنّ أباك علياً كان في مِثْل ذلك ، فقومٌ قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين .. حتّى أتاه أجَلَه فمضى إلى رحمة اللّه . وأنت اليومَ عندنا في مِثْل تلك الحالة ، فمَن نكث عهدَه وخلَعَ بيعتَه ، فلن يَضُرّ إلا ّ نَفْسَه ، واللّه ُ مُغْنٍ عنه .. فسِرْ بنا راشداً مُعافىً ، مُشَرّقاً إنْ شئتَ أو مُغَرّباً ، فوَاللّه ِ ما أشفَقنا مِن قَدَرِ اللّه ولا كرِهْنا لقاءَ ربّنا ، وإنّا على نيّاتِنا وبَصائرنا ، نُوالي مَن والاك ، ونُعادي مَن عاداك ..

قتاله و مقتله في يوم عاشوراء : كان نافع بن هلال الجملي قد كتب أسمه على افواق نبله فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول : (أنا الجملي ، أنا على دين علي) ، وقال الخوارزمي : كان يرمي ويقول :

أرمي بها معلمة أفواقها والنفس لا ينفعها اشفاقها
مسمومة يجري بها أخفاقها لتملان أرضها رشاقها

ويقول :

أنا على دين علي ابن هلال الجملي
اضربكم بمنصلي تحت عجاج القسطل

فلم يزل يرميهم حتى فنيت سهامه ، ثم ضرب إلى قائم سيفه فاستله ، وحمل وهو يقول :

أنا الغلام اليمني الجملي   ديني على دين حسين وعلي
ان أقتل اليوم فهذا أملي   وذاك رأيي وألاقي عملي

قال الطبري : خرج إليه رجل يقال له مزاحم بن حريث فقال : انا على دين عثمان . فقال له : أنت على دين شيطان ! ثم حمل عليه فقتله .

فصاح عمرو بن الحجاج بالناس : يا حمقى ! أتدرون من تقاتلون ؟ فرسان المصر ، قوما مستميتين . لا يبرزن لهم منكم احد ! فإنهم قليل ، وقل ما يبقون ، والله لو لم ترموهم الا بـ الحجارة لقتلتموهم .

فقال عمر بن سعد : صدقت ، الرأي ما رأيت . وأرسل إلى الناس يعزم عليهم الا يبارز رجل منكم رجلا منهم .

وقال الطبري : فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح .

قال : فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيرا .

قال : فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعا ً حتى أوتي به عمر بن سعد ..

فقال له عمر بن سعد : ويحك يا نافع ما حملك على ما صنعت بنفسك ..

قال : ان ربي يعلم ما أردت .. والدماء تسيل على لحيته وهو يقول : والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرحت وما ألوم

نفسي على الجهد ، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني ..

فقال له شمر : اقتله أصلحك الله .

قال : أنت جئت به فان شئت فاقتله ..

قال : فانتضى شمر سيفه ..

فقال له نافع : أما والله ان لو كنت من المسلمين لعظم عليك ان تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه ، فقتله .

قال : ثم أقبل شمر لعنه الله يحمل عليهم وهو يقول :

خلوا عداة الله خلوا عن شمر

يضربهم بسيفه ولا يفر

وهو لكم صاب وسم ومقر

فالسلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين ..

الإمام الحسن عليه السلام في ضمير كربلاء

كلُّ من يبحث عن جذور القضية الحسينية سيجدها عبارة عن قضية حسنية مؤجّلة ، أو لنقل أنها قضية واحدة نُفّذت على مرحلتين ، ولكل مرحلة قائدها وظروف ادائها وأسلوبها الخاص ..

ولقد عبّر عن هذا التأجيل الإمام الحسن عليه السلام بنفسه عندما جاء إليه أهل الكوفة بعد صلحه مع معاوية نادمين على خذلانهم

له ومتأسّفين على تولية معاوية أمور المسلمين بعد أن تكشّف لهم أمره ، فأرادوا من الإمام أن يقوم بوجه معاوية .. إلّا أنهم ممّا تلقّوه منه من جواب هو قوله عليه السلام : { وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمة ... ! فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم ، حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر } جواهر التاريخ للكوراني ، ج٣ ص١٦١ .. و العبارة الأخيرة (حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر) واضحة المعنى في تأجيل الثورة وتحديد ظروف القيام بدقة .

لم تتهيأ ظروف الفتح الكربلائي للإمام الحسن عليه السلام في أيامه ، ولم تتهيأ ظروف الفتح حتى للإمام الحسين عليه السلام بعد شهادة الإمام الحسن وتوليه الإمامة في سنة ٥٠ للهجرة الى أن هلك معاوية وآلت خلافة المسلمين الى يزيد عليه لعائن الله في ٦٠ للهجرة ، فنهض الامام الحسين عليه السلام وصنع كربلاء ونجح في تحقيق فتحها العظيم بدمه ومظلوميته سلام الله عليه وبتمهيد وتخطيط حسني ..

ينبغي أن ننطلق في هذا الموضوع من مبدأ العقيدة والإيمان ، ف الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا ، أي ان قيامهم وقعودهم لا يكون الا عن حجة وتكليف الهي ومصلحة ، وكل من يظن غير ذلك فينبغي ان يُراجع أصل اعتقاده وإيمانه ..

نعم ، لنا أن نتكلم في التفاصيل والجزئيات ، والبحث عن بعض الا سرار ، والتحقيق في بعض الأحداث والربط بينها .. وكل ذلك يجري لغرض الإطمئنان القلبي ، هذا الاطمئنان الذي طلبه ابراهيم الخليل من ربّه { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ } البقرة ٢٦٠، وكذلك لأخذ الدروس والعبر والمناهج وخطوات الاقتداء والا ئتمام بهم عليهم صوات الله ..

تحاول مدرسة الخلفاء اضفاء صفات متضاد ّة على الإمامين عليهما السلام ، من قبيل أن الحسن عليه السلام يميل الى الصلح

والمسامحة وان الحسين عليه السلام يميل الى السيف والحرب ، وإن الامام الحسن تحقق على يديه صلح فئتين كبيرتين من المسلمين بعهدٍ من جده رسول الله وهذا ما لم يحققه الحسين .. الخ وما الى ذلك من كلام سببه في أهون الأحوال هو عدم فهم الإ مامة وعدم الإيمان بالشخصية الربانية للإمام ..

نحن نؤمن أن الأهداف واحدة لجميع الائمة غير أنّ الادوار مختلفة واختيار الأسلوب المناسب يتغير بتغيّر الظروف ..

الصلح كان من جهةٍ حلاً اضطرارياً واستثنائياً ، ومن جهة عبارة عن انسحاب تكتيكي أراد منه عليه السلام قتل مرض الشك و التردد الذي اصاب الأمة في معرفة من هو الأصلح للقيادة ، وهل هو الخط العلوي ام الخط الاموي ، كذلك أراد منه كشف زيف معاوية وخداع بني أمية ، وهذا ما حصل فعلا ً ، حيث توّضح للجميع أنّ خلافة المسلمين انتهت عندما صعد معاوية واعلن انه ملك وليس خليفة وأنه لم يأت لأجل صلاة او صوم وانما جاء لأ جل الإمرة على المسلمين .. فحالت الى ملك عضوض يتلاقفها بنو سفيان ولسان أبيهم يقول : تلاقفوها يا بني سفيان كالكرة ، فوالذي يحلف به ابو سفيان ، لا جنة ولا نار ..

قال رجل للإمام الحسن عليه السلام : بايعت معاوية ومعك أربعون الفاً ، ولم تأخذ لنفسك وثيقة ، وعهداً ظاهراً ؟ فقال له : (اني لو أردت ـ بما فعلت ـ الدنيا ، لم يكن معاوية بأصبر مني عند اللقاء ، ولا أثبت عند الحرب مني ، ولكني أردت صلاحكم) (تاريخ ابن عساكر 2/ 225) .

ويقول الصحابي الجليل جابر بن عبدالله (رض) : لمّا عزم الحسين بن علي (ع) على الخروج إلى العراق أتيته فقلت له : أنت ابن رسول الله (ص) وأحد سبطيه ، لا أرى إلا ّ أنّك تصالح كما صالح أخوك ، فإنّه كان موفّقاً رشيداً ، فقال : " يا جابر، قد فعل أخي ذلك بأمر الله ورسوله، وأنا أيضاً أفعل بأمر الله ورسوله " . نقلها القمّي عن (مدينة المعاجز) في (نفس المهموم) ص ٧٢ .

دولة بني أمية بدأت بإتفاق سياسي اضطراري مع الإمام الحسن عليه السلام وانتهت بقتل سياسي من قبل الإمام الحسين عليه السلام ، فالعملية بالمجمل عبارة عن إصحار لجميع مساوىء هذه الطغمة وإشهار لكل ما أضمروه من حقد على الإسلام وضغينة لبيت الرسالة .

طبيعة المجتمع ومستوى وعيه ومقدار تشويه ومسخ مفاهيمه واختلاط الأوراق لديه .. كل هذا كان له دخل في تحديد طبيعة المواجهة وتوقيتها ، فالأمر معقد جداً وما وصلنا عن تلك الفترة بـ التأكيد لا يعكس صورة كاملة وناصعة للواقع وما علينا الا تحكيم ا لأسس والأصول والرجوع الى المحكمات منها في التعامل مع مواقف وتصرفات الائمة عليهم السلام والتسليم لها وإرجاعها الى ا لأمر الإلهي والحكمة الربانية سواء عرفنا عللها وخلفياتها أو لم نعرف ..!

ونزيد في الشعر بيت كما يُقال ، أن الإمام الحسن عليه السلام كان على إطلاع كامل على تفاصيل كربلاء ايضاً ودقائق مظلومية ابى عبدالله عليه السلام ، فله إحاطة بكل ذلك ، " عن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده أن الحسين بن على عليهما السلام دخل يوما إلى الحسن عليه السلام فلما نظر إليه بكى فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكى لم يصنع بك فقال له الحسن عليه السلام: إن الذى يؤتى إلى سم يدس إلى فاقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله وينتحلون دين الاس لام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبى ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها تحل ببنى أمية اللعنة، تمطر السماء رمادا ودما، ويبكي عليك كل شئ حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار" (بحار الأنوار ٤٥ ص٢١٨)

الإمام الحسن هو أحد قادة كربلاء ، وصلحه هو من مستندات ثورة الحسين المهمة واهداف هذا الصلح ونتائجه هي التي جعلت

من كربلاء كربلاء .. في تفصيل ليس هنا محله واثباته ولكن أشرنا سريعاً اليه ..

أم البنين ، شهيدة الطف بأكبادها الأربعة

شكّلت النساء في واقعة الطف ظاهرة فريدة وسابقة في الإسلام ، بل في التاريخ البشري ، تستحق الوقوف عندها ودراستها وأخذ الدروس والعبر منها .

فللمرأة دور كبير في النهضة الحسينية ، فكما أن دور وجهاد الرجال كان متوجهاً نحو مجابهة الأعداء ، فالنساء كان دورهن بـ الجهاد ضد طبيعتهن التكوينية ، ومقاومة غرائزهن الأنثوية المختلفة .. فالمرأة في العادة ضنينة بولدها ، حريصة على زوجها ، عطوفة على اخوتها .. المرأة بفعل حنانها وعاطفتها أقرب الى تجبين الرجال والفتّ من عزائمهم من أجل الإبقاء والحفاظ عليهم ما أمكن .. أما في الطف فالأمر مختلف ، فالمرأة سحقت على كل ما انطوت عليه طبيعتها البشرية والغريزية رغم صعوبة الموقف والألم النفسي الرهيب .. فتراها تجود بأولادها وترخص رجالها مواساةً للهاشميات ومشاركة في الجهاد مع ابي عبد الله الحسين عليه السلام ..

لم يكن حضور النساء في الطف طارئاً ، ولا مجرد حضور تبعي لرجالهن ، بل كان وجودهن وتضحيتهن من ضمن التخطيط الإلهي للواقعة ، وهذا ما عبّر عنه الإمام الحسين عليه السلام بقوله (شاء الله أن يراهن سبايا) ، وفعلا ً كان هذا الحضور لنساء الطف مميّزاً من خلال الأدوار العظيمة التي قمن بها والمظلومية الكبيرة التي شاركن بها مظلومية أبي عبدالله عليه السلام . فكما أن للحسين عليه السلام اصحاب كان لزينب صلوات الله عليها صاحبات يستحقن صحبة بطلة كربلاء ..

والأمثلة كثيرة والأسماء كبيرة فى الطف ، فعدد نساء الطف كما ذكره المحدّث القمّي في كتابه (نفس المهموم) ، ناقلا ً

عن (الكامل) للشيخ البهائي وقد ورد فيها أن عددهن كان عشرين امرأة . وهناك أعداد أخرى أكبر من هذا العدد ذكره بعض المؤرخون .. وهذه الأعداد تشمل غير الهاشميات ، كزوجة زهير بن القين وأم وزوجة وهب وبحرية بنت مسعود الخزرجيّة التي جهزت ابنها للشهادة بعد شهادة أبيه ، وغيرهن .. ومنهن نساء لم يحضرن الطف ، ولكنّ شاركن به بطريقتهن الخاصّة ، مثل طوعة رضوان الله عليها ، وأمّ البنين التي حضرت الطف وشاركت به من خلال أكبادها الأربعة (العبّاس وأخوته) .

مكانة ام البنين عالية عند المؤمنين ، وذلك لنجاحاتها الباهرة كشخصية إيمانية وكزوجة للرجل الثاني في الإسلام علي بن أبي طالب ، وكأم للعباس واخوته ..

لم يكن زواجها من أمير المؤمنين صدفة ولم تأت إليه اعتباطاً ، وإنما خضعت لشروط أملاها أمير المؤمنين على أخيه الأكبر العالِم بالأنساب عقيل بن أبي طالب : " انظر إليّ امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها ، فتلد لي غلاماً فارسا " ، هذه هي المعادلة التي خضعت لها أم البنين لتكون زوجةً للأمير ع ، وهذه المعادلة دليل على أن الإمام كان يخطط للبعيد ويُهيأ الامور لحدث هامّ ومستقبلي ، فجاء الترشيح من عقيل : " تزوّج أم البنين الكلابية ، فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها " ، وانطبقت الشروط على فاطمة بنت حزام الكلابية ولاقى الاختيار قبولا ً من قبل الإمام ، وأثبتت الايام انها وفق الشروط والمعطيات ..

نالت رضا المعصوم وحازت على مقبولية عالية من أهل بيت النبوة ، لنجابتها وسموّها وتضحيتها وتربيتها الصالحة لأولادها ولفناءها في خدمة أولاد الزهراء عليها سلام الله مما لم يخفه التاريخ ولم تبخس حقه الأخبار الواردة ..

يذكر المؤرخون أنها في ليلة زفافها من الامام علي عليه السلام قالت للحسن والحسين وزينب عليهم السلام : " أنا ما جئت هنا لأحلّ محلّ أمّكما فاطمة " ثم اختنقت بعبرتها وقالت : " أنا هنا خادمة لكم ، جئت لخدمتكم فهل تقبلون لهذا والا فإني راجعة الى

داري " . (انظر الى العباس رجل العقيدة والجهاد ص ٣٤) ..

ومما يذكره المؤرخون ايضاً انها طلبت من أمير المؤمنين عليه السلام أن يناديها بكنيتها (أم البنين) لا بإسمها (فاطمة) رعايةً لمشاعر أبناء الزهراء صلوات الله عليهم ، بهكذا حرص وهكذا مسؤولية عاشت هذه السيّدة الجليلة في بيت أمير المؤمنين ..

أما دورها في واقعة الطف فهي الحاضرة بأكبادها الأربعة كما قلنا (العباس وأخوته) اللذين نصحوا لله ولرسوله ولأمير المؤمنين وللحسن والحسين ، وبذلوا غاية المجهود وعلى بصيرة من أمرهم ، وحضرت بحزنها وندبتها ومواساتها لأهل بيت النبوة ، فكانت صابرةً محتسبة ..

اصبحت الكفوف المقطوعة لولدها العباس في كربلاء كفوف بركة وعطاء لها رضوان الله عليها لكل من تشفّع بها عند الله ، فبكرامتها عند الله طالما كانت ولا زالت واسطة عطايا وهبات وتفريج عن همّ وغم وتسهيل امور ، إهدِ لها سورة الفاتحة وانتظر ماذا ستهدي لك أم البنين ..!

أم البنين ليست ورقة كربلائية وإنما ملفاً كاملا ً لا تسعه الا الموسوعات من الكتب .. أم البنين ظاهرة إسلامية ومنهج تربوي وثوري نسوي ينبغي أن يُدرس ويُدرّس ويُتخذ منهجاً لكل أحرار وحرائر العالم ..

من رثاء الشاعر والخطيب الكبير محمد علي اليعقوبي طاب ثراه فيها :

وإن أنسَ لا أنسى أم البنين

وقد فقدت ولدها أجمعـا

تنوح عليهم بوادي البقيع

فيُذري الطريد لها الادمعا

ولم تسلُ من فقدت واحداً

فما حال من فقدت أربعا

الفاتحة لروحها الطاهرة ..

كربلاء ، الجريمة المركبة

للحرب والقتال في الإسلام منظومة اخلاقية متكاملة ومُحكمة ، هذه المنظومة مُسندة بقول وفعل الرسول الأكرم صلوات الله عليه ، وقد حفلت كتب الحديث والتاريخ ما يؤيد ذلك ويضع المسلم على بصيرة من أمره ، نذكر هنا بعض النماذج :

نهى الرسول الأكرم عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ من قبل المسلمين في حروبهم ، روى بُرَيْدَةُ : كان رسول الله ص إذا أمّر أميرًا على جيشٍ أو سريّةٍ أوصاه في خاصّته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ، وكان مما يقوله : "...وَلا َ تقتُلُوا وَلِيدًا..." . (مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيره (1731)) .

وفي رواية أبي داود : يقول رسول الله ص : " وَلا َ تقتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلا َ طِفْلا ً، وَلا َ صَغِيرًا ، وَلا َ امْرَأَةً ..." . أبو داود : كتاب الجهاد ، باب في دعاء العدو (2614) ، وابن أبي شيبة 483/6، والبيهقي في سننه الكبرى (17932) .

ومما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام جيشه في صفين : (لا تُقاتِلوهُمْ حَتّى يَبْدَأُوكُمْ ، فَإنّكُمْ بِحَمْدِ اللّه ِ عَلَى حُجّة ، وَتَرْكُكُمْ إيّاهُمْ حَتّى يَبْدَأُوكُمْ حُجّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ ، فَإذَا كانَتِ الهَزِيمَةُ بِإذْنِ اللّه ِ فَلا َ تَقْتُلُوا مُدْبِراً ، وَلا َ تُصيبُوا مُعْوِراً ، وَلا َ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيح ، لا َ تهيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً ، وَإنْ شَتَمْنَ أعْرَاضَكُمْ ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ ، فَإنّهُنّ ضَعِيفَاتُ القُوَى وَالا َنْفُس وَالعُقُول ، إنْ كُنّا لَنُؤْمَرُ بِالكفِّ عَنْهُنّ وَإنّهُنّ لَمُشْرِكاتٌ ، وَإنْ كانَ الرّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ المَرْأَةَ فِي الجَاهِلِيّةِ بِالفِهْرِأوِ الهِرَاوَةِ فَيُعَيّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ) .

ومنها عدم التمثيل بالميت ، حيث نهى رسول الله ص واله عن المُثْلَة ، فروى عبد الله بن زيد قال : " نَهَى النَّبِيُّ ص عَنِ النُّهْبَى ، وَالمُثْلَةِ " . (البخاري: كتاب المظالم، باب النهبى من غير إذن صاحبه (2342)، والطيالسي في مسنده (1070) ، والبيهقي في سننه الكبرى) .

وقال عمران بن الحصين : " كانَ النَّبِيُّ ص يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَيَنْهَانَا عَنِ المُثْلَةِ ". ورغم ما حدث في غزوة أُحُد من تمثيل المشركين بحمزة عمّ الرسول ص ، فإنه ص لم يُغيِّر مبدأه ، بل إنه ص هدّد المسلمين تهديدًا خطيرًا إن قاموا بالتمثيل بأجساد قتلى ا لأعداء ، فقال : " أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ : رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا ، وَإِمَامُ ضَلا َلَةٍ ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الـْمُمَثِّلِينَ" . مسند احمد (٣٨٦٨) .

وغيرها من روايات وسير تاريخية توضح لنا بالتفصيل قواعد وآداب وأخلاقيات الحروب في الإسلام ، ونحن نتكلم هنا على مستوى مواجهة الكفار والمشركين وليس الحرب مع المسلم ..!! فضلا ً عن الحرب مع عترة النبي الأكرم التي جاءت بها التوصيات المؤكدة والمترادفة على حفظ حرمتها ومودتها و التمسك بها .. تعال معي الى كربلاء وانظر بأي دين وبأي ضمير

وبأي انسانية حارب بنو سفيان ابا عبد الله عليه السلام ..

كربلاء جريمة مركبة ، فهي ليست مجرد واقعة قتال وحادثة قتل ، وإنما تضمّنت قتلا ً وتمثيلا ً وتنكيلا ً بالجثث وإهانتها شرّ إهانة ، سبق ذلك محاصرة قاسية وقطع للماء وتجييش جيشاً يعادل مئات أضعاف الجبهة المقابلة ، لحقه حرق خيم وسلب أطفال وسبي وضرب نساء ..

إن كان قتل الحسين موافقاً لشريعة إسلام بني أمية ، فهل قطع الرؤوس وحملهن على الرماح ورض الصدور وتقطيع الجثث وقتل الاطفال وسبي المسلمات .. جائز .. !!

تجاوزوا جميع الأحكام الاسلامية ، خرقوا قوانين الحروب ونواميس الإنسانية .. لم يقاتلوا ابا عبد الله من واعز الدين ، ولا حتى خوفاً على سلطان ، وإنما أفعالهم وجرائمهم في الطف تدل على حقد دفين ونوازع جاهلية ، وقالوا ذلك بأم السنتهم : (قد قتلنا القرم من أشياخهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل) .

هذه هي الحقيقة ، وهذا هو سرّ كربلاء عند بني أمية ، كان بإمكانهم أن يكتفوا بقتل الإمام ويتظاهروا بعد ذلك أمام المسلمين أنهم يطبقوا احكام الحرب الاسلامية والانسانية ، فيحفظوا للقتلى حرمتهم وللنساء والاطفال احترامهم والتعاطف اللازم معهم .. ولكن لم يفعلوا كل ذلك وتصرفوا بكل جرأة وحقارة ..

وهذه الجرائم التي رافقت كربلاء هي التي أثرت بأهل البيت وشيعتهم ومحبيهم وليس فقط قتل ابي عبدالله رغم عظمته ، دخل أبو حمزة الثمالي رضوان الله تعالى عليه يوماً على الإمام زين العابدين (عليه السلام) فرآه حزيناً كئيباً فقال له : سيّدي ، ما هذا البكاء والجزع ؟ ألم يقتل عمُك حمزة ؟ ألم يقتل جدّك علي

(عليه السلام) بالسيف ؟ إن القتل لكم عادة ، وكرامتكم من الله الشهادة ، فقال له الإمام : شكر الله سعيك يا أبا حمزة ، كما ذكرت ، القتل لنا عادة ، وكرامتنا من الله الشهادة ولكن يا أبا حمزة ، هل سمعت أذناك أم رأت عيناك أن امرأة منا أُسرت أو هُتكت .. ؟ والله يا أبا حمزة ، ما نظرت إلى عمّاتي وأخواتي إلا ّ وذكرت فرارهن في البيداء من خيمة إلى خيمة ، ومن خباء إلى خباء والمنادي ينادي أحرقوا بيوت الظالمين ..

هذا الحزن الذي يتجدد وهذه العاطفة الجياشة والجمرة التي لا تنطفأ على أبي عبد الله ع ، وهذه المظلومية العظيمة التي يستشعرها المؤمنون إنما كانت إحدى أهم أسبابها ومحركاتها هي هذه الأفعال الشنيعة التي مارسها ال أمية واتباعهم مع ابي عبد الله وصحبه واهل بيته ، فالائمة كلهم قتلوا ظلماً وكلهم شهداء الا أن مظلومية مقتل أبي عبدالله لها طابع خاص انفرد به وحده ..

فرادة كربلاء تكمن في تفاصيل المظلومية التي لحقت بمعسكر الإمام الحسين ع ، تلك التفاصيل التي يندى لها جبين الإنسانية ، قطعوا اصبع الحسين من أجل خاتم ، والدماء تسيل من أذن الفاطميات عن أثر تسليب أقراطهن ، السياط تتلوّى على متون النساء .. تفاصيل بكت لها حتى ملائكة السماء .

العبّاس بشخصيته النورانية

قال تعالى (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّه ِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّه ُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) المائدة :15-16

شجاعة العباس من المسلّمات التاريخية ، حتى سميّ في إحدى معارك أبيه عليه السلام بسبع القنطرة رغم صغر سنّه وقتها ، وجمال العباس معروف ومشهور ، في مقاتل الطالبيين : كان العباس رجلا ً وسيماً جميلا ً .. وكان يُقال له قمر بني هاشم .

للعباس بسطة في الجسم حتى أن الاخبار تقول انه يركب الفرس المطهّم فيخطان رجلاه الأرض ، كان مُهاباً ويُحسب له في ساحات الرجال الف حساب حتى أن مالك الاشتر المعروف بشجاعته القلبية يقول بما مفاده : من رمقة واحدة رمقني بها العباس دخل قلبي خوف لم أعرفه من قبل .. وذلك على اثر اعتراضه على تكليف العباس من قبل ابيه ع بمهمة قتالية في احدى المعارك .. أبوه وأمه واخوته هم فخر العرب والعجم ..

كل هذه الاوصاف انما تدور حول ظاهر العباس وشخصيته المشاهدة والمحسوسة ، واما جانبه الآخر ، شخصيته العميقة ، ايمانه وعلمه وسموّ نفسه وذوبانه في الدين والعقيدة فهذا هو الجانب الغائب عنّا في الغالب ، الشخصية النورانية للعباس هي الجهة التي لا تظهر لنا بوضوح عادةً ..

والمعرفة بالنورانية هي المعرفة الحقة التي لا شك فيها ولا ريب ، وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل أنه قال لسلمان الفارسي (رض) وأبي ذر الغفاري (رض) : (إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية ، فإذا عرفني بهذه المعرفة امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلا م وصار عارفاً مستبصراً ، ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب ...) (بحار الأنوار ج 1/26) .

وقد فسر الإمام هذه المعرفة في نفس الحديث بقوله : (معرفتي

بالنورانية معرفة الله عز وجل ، ومعرفة الله عز وجل معرفتي بـ النورانية وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)) (البينة:5)) .

وكأن المعرفة بالنورانية مثل أحدنا عندما يكون في غرفة مظلمة وأراد شيئاً منها ، فترانا نتحسس هنا ونتحسس هناك ، لا نميّز حق التمييز هذه من تلك ، حتى اذا فتحنا النور وأبصرنا كل ما حولنا وذهب عنّا كل ظلمة وغواش ، توضحت لنا الأمور وبان لنا كل شيء ..

وخير مَن تؤخذ منه الرؤية النورانية الخاصة بدرجات ومقامات مولانا أبي الفضل العباس عليه السلام هو كلام المعصوم في حقه ، سواءً كأخبار وروايات واردة أو كزيارات لقبره الشريف ، ومما جاء في ذلك :

+ عن الإمام الصادق عليه السلام : كان عميّ العباس نافذ البصيرة ، صلب الإيمان .. (عمدة الطالب ص٣٥٦) .

صفتان لأبي الفضل العباس في هذه الرواية بتوقيع الإمام الصادق يوضحان لنا تفاصيلاً مهمة لشخصية العباس النورانية ، الأولى : نافذ البصيرة ، عين البصر في الرأس واما عين البصيرة في القلب (ما يشمل العقل والقلب والروح ..) ، عين البصر ترى ظواهر الاشياء بينما عين البصيرة ترى حقائق الأمور ، عمى البصر تعبير مجازي والعمى الحقيقي هو عمى البصيرة والعياذ بالله ، قال تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) الحج ٤٦ .

ولقد وصف الإمام بصيرة ابي الفضل بأنها نافذة ، اي قوية وتصل الى مستويات عميقة من الحقيقة .. يقول الشيخ باقر شريف القرشي (أما نفاذ البصيرة ، فإنها منبعثة من سداد الرأي ، وأصالة الفكر ، ولا يتصف بها إلا من صفت ذاته ، وخلصت سريرته ، ولم يكن لدواعي الهوى والغرور أي سلطان عليه) العباس رائد الكرامة والفداء في الاسلام ص٤٤ .

ولمّا كانت المعرفة وكشف الحقائق تحتاج الى قوّة ثبات وصمود و التزام بلوازم تلك المعرفة ، نجد أن الإمام ألحَقَ هذه الصفة بصفة أخرى يتسم بها العباس عليه السلام وهي صلابة الايمان : فليس كل من عرف الحق التزم به ، ولا كل من كُشفت له الحقائق اطمئن لها .. فكان الايمان هو العنصر الذي يجعل من تلك المعارف التزامات ثابتة ومواثيق راسخة عند المتصف به ..

ومن دلائل هاتين الصفتين في الشخصية النورانية للعباس ع هو تسليمه المطلق لأبي عبدالله ع في قضيته ، فكان أخوه وقائد معسكره الا أننا لم نسمع منه رأياً أو اعتراضاً او حتى استفسارا ، كان في خدمة العيال وفي طاعة الإمام ، تفانى في ذلك حتى أعطى من اجله كل ما يملك ، اخوته من أمه ، كفيه وساقيه وعينه ، ثم روحه الطاهرة ..

+ ويطلعنا الإمام السجاد عليه السلام على جانب من جوانب الشخصية النورانية لأبى الفضل ، فورد عنه عليه السلام ما ذكره صاحب بحار الأنوار : رحم الله العباس ، يعني ابن علي ، فلقد آثر و أبلى وفدى أخاه بنفسه ، حتى قطعت يداه فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة فى الجنة ، كما جعل لجعفر بن أبى أطالب ، و ان للعباس عند الله تبارك و تعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة .

+ أما زياراته ففيها الكثير من تفاصيل الشخصية النورانية لأبي

الفضل ، وهكذا هي زيارات أهل البيت عليهم السلام ، ففيها من المعارف والعلوم والاخبار والمواصفات المتعلقة بهم الكثير ، و الزيارات من ابواب معرفة الائمة ع وذراريهم واصحابهم ، فمما جاء في زيارة ابي الفضل مثلا ً : السلام عليك ايها العبد الصالح - اشهد أنك مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين ومتّبعاً للنبيين - لعن الله أمةً استحلّت منك المحارم وانتهكت حرمة الإسلام - السلام عليك يا عباس ، يا ثابت الأساس ، ونور النبراس – وأشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة ..

كل فقرة من فقرات الزيارة عبارة عن نافذة على مقام من مقامات ابي الفضل وكرامة من كراماته ومنزلة من منازله الإلهية ..

+ وقائع معركة الطف وتفاصيلها تبيّن موقع ابي الفضل العباس عند اخيه الإمام الحسين عليهما السلام ، وتبيّن مقامه عند المعصوم ، ولعل تعبير الإمام عند مقتله (الآنَ انكسَرَ ظَهري، وقلّتْ حِيلَتي، وَشمِتَ بي عَدُوّي) – ابصار العين في انصار الحسين ص ٢٢٥، توضح مدى الاهمية التي يتخذها العباس في إمامة الحسين عليهما صلوات الله ، أو عندما يقول له (اركب بنفسي أنت يا أخي ..) .

+ ومن المنافذ الى شخصيته المباركة هو تعلّق المؤمنين به الشديد ، فطالما استجاب الله لهم دعاء بكرامة ابي الفضل وقضيت لهم حاجة وحلّت وهانت عندهم معضلة ، من شدّة التزامهم الأخلاقي والايماني بأبي الفضل بات القسم بالله في حضرة ابي الفضل من أغلظ الأ َيمان عند المؤمنين ومن اوكدها لديهم ، تحل الخلافات العشائرية وتحقن الدماء وتصان الأعراض براية العباس وبعصا العباس وبراس العباس وبأم العباس وبكفالة العباس ، يتربع العباس بن أمير المؤمنين على عرش القلوب ، مهابته يعرفها كل من زار قبره وتوسل الى الله به وكل من قرأ عنه

وطاف في حضرة شخصيته القدسية .. وهذه كلها ومضات تنعكس من نورانية أبي الفضل على قلوب ومشاعر وأفكار المؤمنين أعزهم الله على مختلف مستوياتهم المعرفية والإ يمانية ..

هذه مقتطفات من شخصية العباس النورانية ، والموضوع يحتاج الى دراسة موسعة وتستحق بذل الجهد وتتبع المصادر واستخراج كل ما يرتبط بذلك ..

ليلة التحضير لأعلى درجات الشهادة

اجتمع في ليلة عاشوراء ويومها الجهادان ، الأكبر والأصغر في الإ سلام ، ثبات ابي عبدالله واصحابه على المبدأ والقضية التي نهضوا بها من جهة ، وانشراح النفاق والكفر في قلوب جيش ابن زياد من جهة اخرى .. الغى اي احتمال لأي حلّ او نجاة لبضع عشرات أمام عشرات الألوف من المقاتلين .. !

في ليلة عاشوراء انتهت جميع الحلول وتقرر المصير النهائي للمواجهة ، ولكن هنا وفي هذه الظروف بدأ الاستثمار الحقيقي من قبل الإمام عليه السلام لكل ايمان وكل اخلاص وكل وعي وكل سموّ نفس عند أهل بيته وأصحابه، وقرر صلوات الله عليه ان يأخذ هو ومن معه اعلى درجات الصُحبة واعلى درجات الشهادة ولم يتركوا درجة مفاضلة واحدة لغيرهم اطلاقا ..

ونفّذ الامام خارطة الاستثمار هذه وفق خطة روحية ونفسية وتربوية وعسكرية غاية في الدقة وتدرج معهم ضمن مستويات متعددة لا يسعها هذا المنشور ولكن نشير لمقتطفات منها :

+ أراد اولا ً ان يكون قتال أصحابه وأهل بيته بين يديه نابعاً من التزامات ذاتية تابعة من درجاتهم الايمانية وليس خاضعاً

لمجاملات اجتماعية او اوامر عسكرية أو انها مجرد افراغ ذمّة اسلامية او الوفاء بالتزام اخلاقي مع الحسين ع .. الخ ، وجرّدهم عن كل تلك الداوفع الهابطة - نسبياً - وذلك عندما اعطى لهم الاذن والرخصة الشرعية للانسحاب من ساحة المواجهة ليلا ً وترك لهم القرار والخيار كاملا ً ، تقول الرواية أنه عليه السلام جمعهم في ليلة عاشوراء وقال لهم : « ألا وإنّي لأظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنّي قد أذنتُ لكم جميعاً، فانطلقوا في حِلٍّ ليس عليكم منّي حرج ولا ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوهُ جَمَلا ً، ثمّ ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، ودَروني وهؤلاء القوم؛ فإنّهم لا يريدون غيري، ولو أصابوني لذُهلوا عن طلب غيري» .

+ امتنعوا عن الانصراف ورفضوا الرخصة وبطريقة مميزة وقطعية ، أفصحت عن شخصياتهم خير افصاح ، عبّرت كلمات الرفض عن مستوى ايماني عالي ودرجة بصيرة سامية وقرب الهي منقطع النظير ، فنسمع أحدهم يقول : أكلتني السباع حياً إن فارقتك ، والاخر يقول : والله لو علمت أني أُقتل ، ثم اُحيا ، ثم اُحرق حيّا ، ثم اُذر ، يُفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك .. الخ ، اجتمعت عقولهم وقلوبهم وسيوفهم على قرار النصرة ومصاحبة الحسين في الطف والشهادة ودرجات السعادة الخالدة ..

+ استمر معهم في الصعود ولم يرض لهم الوقوف على درجة معينة وان كانت عالية ما دام في الإمكان أعلى منها ، فقطع الإمام لهم كل وشائج وعلائق الدنيا وأخبرهم بقتلهم المُحتّم وليعيشوا ليلة تفصلهم بين الدنيا والآخرة ، « يا قوم إنّي غداً أُقتل وتُقتَلون كلّكم معي ولا يبقى منكم أحدٌ » ، فقالوا : « الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرّفنا بالقتْل معك أوَلا ترضى أنْ نكون معك في درجتك يا ابن رسول الله ؟» فدعا لهم بخير .

+ بعد أنّ صقّى نيّاتهم وغربل نفوسهم ووقّع معهم خطة نيل أعلى مراتب الشهادة ، بدأوا بإحياء ليلتهم بطريقة اخرى ، طريقة طالما اعتادوها ولكن هذه المرّة بلا شك مختلفة ، فقد نقل السيد ابن طاووس في كتابه « اللّهوف على قتلى الطفوف » : وَبات الحسين (ع) وأصحابُه تلك اللّيلةَ ، وَلَهم دويٌّ كدويّ النحل ، مَا بَينَ راكع وساجد ، وقائم وقاعد ، فَعَبرَ عليهم مِنْ عسكرِ عُمر بن سَعد اثنان وَثلاثونَ رَجلاً ..

+ وبعد أن احرز لهم الامام اعلى درجات الكرامة ، واطمئن الى ثباتهم وإصرارهم الذي لا يتزلزل ، قرر أن يُكرمهم ويهدي لهم نظرة ملكوتية على درجات سعادتهم وكؤوس فوزهم وانتصارهم ، حيث تذكر لنا الاخبار الواردة أنّ الإمام عليه السلام قد عرّف أصحابه منازلهم الجنّة بعد أن كشف لهم الغطاء :

وأراهم وقد رأى الصدقَ منهم * في المُوالاة بعد كشفِ الغطاء

ما لهم م-ن م-نازلٍ قد أُع--دّتْ * في جِنانِ الخلود يومَ الج-زاء

ولَعَمْري ولي-س ذا بع-سي-----رٍ * أو غ-ريبٍ من سيّدِ الشُه-داء

فَ-لَ-قَ-د أطّلعَ الكلي-مُ علي-ه----ا * م-نهمُ كلّ س-اح-رٍ ب-جَ----لاء

حينما آم-نوا بم-ا ج----اءَ ف-يه * عندَ إبطالِ سِح-رهم وال-رياء

بع-د خوفٍ من آلِ فرعونَ مُردٍ * له-مُ من-ذرٌ بس-وءِ ال-ب----لاء

فأراهم من-ازلَ الخي----رِ زُلف-ىً * وث-واب-اً ف-ي جنّةِ الأ تقي---اء

لِازدي-ادِ اليقينِ بالح----قّ ف-يم * بعدَ دحضٍ للشكِّ والإف-ت-راء

وثباتاً منهم عـلى الـدّين فيمـا * شاهَدُوه من عــالمِ الإرتقاءِ

(ملحمة أهل البيت (عليهم السلام) للفرطوسي: 3 / 291)

في يوم عاشوراء نزلوا وهم ليسوا من أهل الدنيا ، من خلال ليلتهم العاشورائية وتربيتهم الحسينية وكمالاتهم الكربلائية اصبحوا وكأنهم الملائكة بل أرقى ، أحدهم يعدل الف فارس وأكثر ..!! لبسوا القلوب على الدروع كما يصفهم الشاعر ، يعرفون ان بينهم وبين منازلهم التي رأوها ميلة سيف ، أو طعنة رمح .. لا تستكثروا كل خبر يردكم عن شجاعة هؤلاء ، كانت ليلة عظيمة صنعت منهم فرساناً أقطع بأنهم أشجع مَن على الأرض في حينها ..

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى اولاد الحسين وعلى اصحاب الحسين

الموت الوارث

قال تعالى (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) القصص ٥ .

وراثة الامام الحسين عليه السلام للانبياء والاوصياء وكما نصّت عليها زيارة وارث الواردة عن صادق العترة عليهم السلام (رواها ابن قولويه (ت368هـ) في كتابه كامل الزيارات ، وهو من أقدم كتب الزيارة الميسرة في التراث الشيعي) كانت بعد قتله وموته صلوات الله عليه ، حيث وصفت هذه الزيارة بانه وارث ستة من ا

لانبياء ثم ورث اباه عليا واخاه الحسن ثم امه فاطمة (ع) ، وهذه مفارقة غريبة ، فالمتعارف ان الميّت يورَث لا يرث ، بينما هذه المعادلة قد اخذت منحى آخر مع الحسين عليه السلام .

نعم لم يرث الحسين ذهباً ولا فضة ، وانما اخذ منهم وظائفهم وكلّف بمهامهم ووقعت على عاتقه آمالهم وأهدافهم وأحلامهم عليهم صلوات الله جميعا ..

ولا تقتصر وراثة الحسين ع على ما نصّ عليه منطوق الزيارة الواردة من اسماء وصفات ، بل نفهم منها أنه ورث صلوات الله عليه خط جميع النبوات والرسالات الالهية على هذه الارض واختزلها واصبحت كلها مُلكاً للقضية الحسينية وتحت تصرفها ولا تستطيع المرور الا من خلالها ، حتى رسالة جدّه صلوات الله عليه الذي قال بحق ولده (حسين مني وانا من حسين) ..

كربلاء بعد قتل الحسين باتت عقيدةً في دعوة كل نبي وحكماً نافذاً في شريعة كل رسالة ، وهي في ضمير كلّ حرّ فكراً وعقيدة ومنهجا ، البشرية مدعوّة الى التفاعل معها بكل ابعاد التفاعل العقلي والروحي والوجداني ..

اهداف كربلاء كانت حلم الانبياء ، ومظلوميتها عبارة عن صورة عكست كل ما مرّوا به من عناء ، باتت عاشوراء القنطرة التي منها يتم العبور الى دولة الخلافة الالهية الحقة ، والماء الذي يُتوضأ به الى العبادة التي ما خلقَ الله الخلق الا من أجلها ..

لا نعلم موتاً وارثاً كموت الحسين في كربلاء ، ولا شهادةً بوزنها وثقلها ، فشهادته عليه السلام في الطف كانت خلاصة المواجهة بين الحق والباطل منذ هبوط أبينا آدم عن جنّته .

وراثة القضية الحسينية لقضايا خطّ الرسالات دلالة على حياة هذه القضية المباركة على حساب جميع تلك القضايا ، وإن كانت كلها حيّة بحياة القضية الحسينية ، وهذا من مستويات فهم حياة الشهداء التي نصت عليه الآية المباركة (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ال عمران

١٩٦، فلكل شهادة حياة ووراثة ، ولكن يختلف مستوى الوراثة وسعتها بإتساع مستوى الشهادة وحياتها ..

وعلينا أن نفهم ايضاً من وراثة ابي عبد الله عليه السلام للأنبياء وراثة السائرين على نهج كربلاء والمطالبين بثأره والحاملين لراية الإصلاح الحسيني لجميع أنصار الأنبياء وحواريهم ومن عمل تحت رايتهم وسار على هديهم ، الوراثة الحسينية هي وراثة مفتوحة ، وهي شرف متاح لكل من يلتحق بهذا الركب السرمدي والخالد .. وكذلك هي مسؤولية وتكليف كبير ينبغي اداء واجبه على أكمل وأتم وجه ..

وعند التأمل في آيات القرآن الكريم نجد أن للوراثة مساحة فكرية أصيلة ومعمّقة ، سواء كانت وراثة الأرض ، قال تعالى (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) الا نبياء ١٠٥ ، أو وراثة الانبياء وخط الرسالات السماوية عموماً ، قال تعالى عن لسان زكريا عليه السلام (.. فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) مريم ٦، وقال تعالى (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ) النمل ١٦، وقال تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ) فاطر ٣٢ ، أو وراثة الجنّة ، كما في سورة المؤمنون وبعد يصفهم بصفات مباركة يقول تعالى (أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) المؤمنون ١٠ ، ١١ .

فهذه أشرف أشكال الوراثة وأعلاها منزلة ، ورغم أنها لا تنحصر بـ النسب كونها وراثة سببية ، إلا أن جمع النسب والسبب يكون شرفاً فوق شرف ، ووراثة فوق وراثة ، وهذا ما حصل لأبي عبد الله عليه السلام ، فهو من سلالة الأنبياء ومن نسل الأرحام الطاهرة وا لأصلاب المطهرة (أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأ رحام المطهرة) . وقد ورث خط الأنبياء وورث الجنّة التي ستكون القضية الحسينية من أوسع أبواب الدخول لها والفوز بها ..

إن فهم الوراثة الحسينية للأنبياء ، وقضيته لرسالات السماء ، يجعلنا نقرأ تأريخ كربلاء والروايات الواردة فيها وبقائدها بإيمان

أعمق ووعي أكبر ، خاصة تلك الأخبار التي تعطي مقامات عاليه لأ بي عبدالله ولقضيته المباركة . فأمام هذه الوراثة العظيمة و الشاملة تكون تلك الدرجات والمقامات والكرامات مستحقة ويكون لها موضوع ..

الموت الوارث هو الموت الذي فيه جرعة للحياة ، والموت الوارث هو موت القاتل لا المقتول ، والجاني لا المُجنى عليه ، اجتمعت في كربلاء كل مكوّنات ومقومات الموت الوارث ، وتهيأت ظروف ومقدمات هكذا معادلة فريدة للموت والحياة معاً ، أن تموت من أجل إحياء مبدأ ، وأن تقتل في سبيل إنقاذ حق وانتصار قانون إلهي وغلبة إرادة ربانيه .. فهذه أعلى مستويات الحياة وأشرفها ، هذا ما حققته لنا كربلاء على صعوبتها ، وعلى مظلوميتها ، فأصبح الموت فيها سعادة وطعمه أحلى من الشهد ، والهزيمة العسكرية فتحاً ، والمظلومية نصراً مبينا ..

لا زال الموت من أجل كربلاء موتاً وارثاً ، والقتل في سبيل مبادئها وإحياء أمرها وتحقيق أهدافها سبباً للحياة . نقرأ ونجتهد في الدعاء ونقول اللهم أحينا حياة محمد وآل محمد وأمتنا ممات محمد وآل محمد ، فعلينا أن نفهم ونتعلم هذه الحياة وهذا الممات الخاص بمحمد وآل محمد من عاشوراء ..

ع ُقد وأمراض نفسية واجتماعية وراء قتل الإمام

الحسين عليه السلام

قال تعالى (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا) الإسراء ٨٤ ، قال صاحب الميزان : والشاكلة هي السجية سمي بها لتقييدها الانسان أن يجرى على ما يناسبها وتقتضيه .

اكثر مواقف وقرارات وردود أفعال الإنسان - كفرد ومجتمع - تعود الى عقله الباطن (اللاوعي) وليس الى المعالجات العقلية الآنية و السريعة ، وما الأخيرة الا نتاج من نتاجات الأول بنسب متفاوتة ومختلفة .. والعقل الباطن هو تلك الشخصية التي بُنيت على أسس وراثية ومواريث اجتماعية وصدمات نفسية واحداث تاريخية ومواقف .. الخ فهو تربية قد ترباها الانسان من محيطه الخارجي وشخصيته الوراثية ومسيرته الحياتية ، وتوصف أحياناً نسبة العقل الواعي من العقل اللاواعي في الإنسان كنسبة الجزء الظاهر لجبل الثلج من الجزء المغمور في الماء ..

وكما أن الإسلام عانى في بدايته وصدر بعثته من تلك الرواسب و العقد الجاهلية التي انطوت عليها الشخصية الفردية والاجتماعية العربية ، كذلك عانى ائمة اهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله من تلك الرواسب ، مضافاً لها اخطاء عظمى ارتكبها المجتمع الاسلا مي بعد الرسول ص وآله ليس محلّ ذكرها الان ..

ظُلم أمير المؤمنين ع على خلفية تلك الرواسب والعُقد النفسية المتراكمة ، وظُلمت الزهراء عليها السلام على إثرها وولدها الامام الحسن عليه السلام كذلك ، الا أنّ ذلك ظهر على أوجّه مع ابي عبد الله صلوات الله عليه فوقعت المظلمة العظمى على هذا البيت الطاهر ..!!

اجتمعت الكثير من العُقد النفسية في صناعة كربلاء ورسم

سيناريو قتل ابي عبيد الله عليه السلام ، وما امتناع الامام عن بيعة يزيد عليه لعنة الله الا شرارة استعرت على إثرها تلك العُقد وجعلتها تطفوا على السطح ، وهذه العُقد كما قلنا بعضها اجتماعية يعيشها المجتمع الاسلامي وبعضها عائلية وبعضها فردية .. فيزيد بن معاوية كانت عقدة الثأر واضحة لديه ولم يتستر عليها وافصح عنها بأشعار جزلة ومشهورة ومُحققة تأريخياً :

لستُ من عتبة إن لم انتقم   من بني أحمد ما كان فعل

وقوله :

نعب الغرابُ فقلتُ صِح   او لا تصح   فلقد قضيتُ من الغريمِ ديوني

فعداوة بني أمية لبني هاشم مستعرة قبل الاسلام ، ثم جاء الاسلام واختارت السماء النبي من بني هاشم فاشتعلت تلك العداوة وتأصلت اكثر من جانب بني أمية ، وما زاد من الطين بلة هو ما حصل من معارك بين المسلمين ومشركي قريش وحتى فتح مكة ودخول رؤوس بني أمية كرهاً للاسلام بعد ان عفى عنهم النبي وقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء .. ثم ما حصل بين امير المؤمنين و الحسن عليهما السلام مع معاوية من حروب .. كل ذلك انتج حقداً وتنمّراً على ابي عبد الله واهل بيته وصحبه من قبل يزيد عليه لعائن الله ..

ومن هذه العُقد ايضاً والتي رُحلت من الجاهلية الى كربلاء هي عقدة النسب عند عبيد الله ابن زياد عليه لعائن الله ، هذه الورقة الرابحة التي استعملها يزيد على ابن زياد ، فزياد ابن زنا ، ولم يُعرف أبوه ، فلحقه بنو أمية بهم في حادثة تأريخية مشهورة ، ولهذا فقد هدد يزيد عبيد الله في ذلك :

(قد بلغني ان أهل الكوفة قد كتبوا الى الحسين في القدوم عليهم

، وانه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم ، وقد بُلي به بلدك من بين البلدان ، وايّامك من بين الأيام ، فإن قتلته وإلا رجعت الى نسبك والى أبيك عُبيد ، فاحذر أن يفوتك) تأريخ اليعقوبي ٢:٢٤٢

ومنها عقدة الجبن الاجتماعي الذي أصاب الكثير من المسلمين وحب الدنيا والعقدة من الحروب داخل الاطار الاسلامي خاصة تلك التي خاضوها مع معاوية في ايام امير المؤمنين ع والامام الحسن ع حتى اصبحت هذه العقد تمثل النفسية الاجتماعية العامة المسيطرة على المسلمين انئذ وخاصة اهل الكوفة وخوفهم من جيش الشام وطغيان بني امية .. هذه العقدة التي جعلت من هذا المحيط الاجتماعي محيطاً خاوياً يعاني من انفصام الشخصية والتصرف بما لا يمليه عقل ولا ضمير ، فهو بالتالي مجتمع مملوء بالأمراض النفسية والتي أقعدته عن مهامّه العظمى وأسقطته في أخطاء كبرى بل خطايا فادحة لا تغتفر ، انعكست على مجرى التاريخ الإسلامي عموماً وعلى أهل البيت وشيعتهم بصورة خاصة .

لعلم النفس مساحة واسعة وجهود حثيثة في تفسير وقوع الجريمة ودوافعها ، فهنالك نظريات متعددة في هذا الجانب هدفها تحليل أنواع الجرائم التي ترتكب ، ودراسة شخصية المجرم .. ف الشعور بالنقص والدونية وحب البقاء والبيئة الأسرية والبيئة الا جتماعية ، وبناء الشخصية الانتقامية وهيجان بعض الغرائز و الرغبات وسيطرتها على صاحبها .. وغيرها كلها مما يُدرس بدقة في مستندات الجريمة من الناحية النفسية والسايكولوجية ..

دراسة واقعة الطف من هذا الجانب دراسة تستحق بذل الوقت و الجهد ، ومن خلالها سنصل الى حقائق تاريخية لها انعكاسات مهمّة وكبيرة في خصوص كربلاء وخارج حدود كربلاء ايضا ..

فمظلومية الإمام الحسين عليه السلام وراءها خزين هائل ومتراكم من لُبنات البناء النفسي السيء ، الفردي والجماعي ، (إس

لامي) وقبَلي .. انفجرت كلها على ابي عبدالله الحسين وأهل بيته وصحبه .. وكانت نتيجتها مأساة وفاجعة كربلاء ..

رأس الإمام الحسين عليه السلام

روى البلاذري : (قالوا ، ونصب ابن زياد رأس الحسين بالكوفة ، وجعل يُدارُ به فيها ، ثمّ دعا زحر بن قيس الجعفي فسرّح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه وأهل بيته إلى يزيد بن معاوية ، وكان مع زحر : أبو بردة) أنساب الأشراف ج٣ ص٤١٥

وروى ابن سعد ، بإسناده عن الشعبي : (رأس الحسين أوّل رأس حمل في الإسلام) الطبقات الكبرى ج٦ ص ٤٤٦ ، وإن كان بعض المؤرخين يقولون غير ذلك وأن أول من فعلها معاوية عليه لعائن الله وذلك حينما أُهدي إليه رأس عمرو بن الحمق الخزاعي الصحابي الجليل ..

فمن أقبح جرائم كربلاء ، والتي وصل بها القتلة حد الكفر بالإسلام وحدّ الخسّة والبشاعة الإنسانية هو قطع رأس ابي عبد الله عليه السلام والطواف به في المدن والولايات على مرأى ومسمع عياله والبقية الباقية من أهل بيته وإجبار الناس على الخروج من بيوتهم لينظروا الى مشهد الرؤوس المرفوعة على الرماح ، و

التحقيق التأريخي في العادة يدور حول ثلاثة امور فيما يخصّ الرأس الشريف :

١. المدن التي مرّ بها الرأس الشريف والاماكن التي وضع عليها .

٢. كرامات ومعاجز الرأس الشريف .

٣. موضع دفنه .

غير أننا نريد أن نُشير - على نحو الإشارة فقط - الى أمور أخرى تستحق البحث والكتابة من اصحاب الاقلام المميزة والمختصة لما فيها من فائدة مرجوّة وتوسعة في المعلومات :

الأمر الاول : مرافقة الامام السجاد عليه السلام للرأس الشريف ، فلعلّ قاعدة (الإمام لا يلي أمره بعد الوفاة الا الإمام) هي الحكمة وراء مرافقة الامام السجاد ع للرأس الشريف وما تحملّ في سبيل ذلك من سبي له ولأهل بيته وارتحال من بلد الى بلد تبعاً للرأس المقدس ، فرأس الامام المقطوع مشمول بالقاعدة اعلاه وبالتالي فإنّ مسيرة السبي وحسب المشيئة الالهية - شاء الله ان يراهنّ سبايا - لعلّه من أجل مرافقة ورعاية هذه القطعة المهمة من الجسد الشريف وولاية أمره وإن كان على رأس رمح وبيد غير يد السجاد عليه السلام .. !

الأمر الثاني : علة تعدد الاماكن المحتملة لدفن رأس الامام ، فمن ا لاماكن المحتملة هي (كربلاء - قبر امير المؤمنين ع - المدينة المنورة - دمشق - عسقلان - الرقة - مصر ..) ، ورغم تسالم التحقيق لكبار علمائنا بأن الامام السجاد ع قد ردّ الرأس الى الجسد الشريف ، الا اننا نتوقع ان وراء ذلك خداع ومكر اموي من اجل التضعيف من أهمية مرقد الامام ع في كربلاء في حالة احتمالية عدم وجود الرأس الشريف مع الجسد الطاهر ، ولعل نفس هذا المكر الأموي جَلَب مكراً ولكنّه مكر خير للمرقد وحَفِظَه

من كل شر (يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .. فتأمل

الأمر الثالث : من معاجز الرأس الشريف هو تلاوته لآيات من سورة الكهف كالاية (ام حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) ، وقراءة سورة الكهف الى قوله تعالى (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) . ولعل اختيار هذه السورة دون غيرها هو اشارة الى دور أهل الكهف المؤجّل من ناحية والعبرة التاريخية لهذه القصة من ناحية اخرى ، وكأن الرأس الشريف يحذّر الناس بأن القتل لا ينهي دور ثورة كربلاء وستبقى عبرتها واهدافها حيّة كما هي حياة فتية أهل الكهف ودورهم المُنتظر طول هذه المدة ..

لبيك داعي الله

مما تتميّز به اغلب ملقّات كربلاء هو بقاءها مفتوحة ، وأن سجلّ ابطال وأنصار القضية لا زال مُتاحاً لمن لم يدرك الواقعة ولم يفز بـ النصرة في عاشوراء من عام ٦١ للهجرة . فنحن لا نحيي كربلاء كذكرى ولا نعظّمها كمجرد مناسبة تاريخية ، وانما نحييها كقضيّة ، نريد أن نُحيي روح الحسين وأصحاب الحسين عليه السلام في نفوسنا في رفض الظلم ومحاربة الباطل ومقارعة الطغيان .. ولهذا فإن نداءات الحسين التي أطلقها في عاشوراء لا زال صداها يقضّ مضجع الظلمة ، بينما يتجدد في ضمير كل حرّ وكل مؤمن عشق

النهضة الحسينية بعقله ووعيه قبل مشاعره وقليه ..

يقول الشيخ جعفر التستري - رحمه الله - في الخصائص الحسينية : ان الحسين عليه السلام استنصر الناس سبع مرات واستغاث سبعاً في ساحة الطف . أقول : ربما نحتاج في وقتنا هذا الى سبع تلبيات يرضى لها ابو عبد الله عليه السلام في مقابل نداءاته عليه السلام السبعة تلك عسى ان تُفرغ ذمتنا من واجب الاستجابة بعد تيّقن الانشغال بها (وهيهات من فراغها) ، فواعية الحسين قد سمعناها على كل حال .

وسأحاول هنا ان اجتهد في ذكر هذه التلبيات السبع المناسبة لتلك النداءات الحسينية المقدسة .. والتوفيق منه تعالى :

الأولى : احياء أمر الحسين عليه السلام واذكاء جمرته في القلوب ، شعائر وزيارات ومواساة ونشر للوعي الحسيني .. الخ ، فلسان حال هذه الشعائر هو هل من ناصر ينصرنا ..!

الثانية : نستجيب للاهداف التي قامت من أجلها عاشوراء ، ومنها الاصلاح في أمّة محمد صلوات الله عليه .. ووفقاً لعوامل الزمان و المكان والإمكان ..

الثالثة : كما انه عليه السلام لبّى نداء الواجب بنفسه ، فقد لبّاه بأهله وصحبه بل لازال عليه السلام يلبّيه بكل انسان غيور من خلال تلك الباب الواسعة التي فتحها للاستجابة والتي تبقى تدوي على مر الايام والسنين ، وبهذا ينبغي ان نوسّع من دائرة تلبيتنا الى كل من نستطيع ان ندخله في دائرة الإحياء ، من اهل وصديق ومجتمع نعيش فيه ..

الرابعة : لنتسع باتساع سفينة الحسين عليه السلام ، وذلك من خلال الحرص على تحصيل التلبية من قبل عدونا ايضا ، فلم يكن اداء الواجب من قِبله عليه السلام على حساب الآخر وإن كان عدوه وقاتله ، فلقد كان حريصاً على هداية جيش عمر بن سعد ، باذلاً كل جهده وسعته في ذلك ، فإننا في ساحات التلبية

ينبغي ان نحرص على انقلاب العدو قبل قتله او توريطه بقتلنا ، فانقلاب زهير بن القين والحر بن يزيد الرياحي هو نداء الهي لبّ اه الحسين ع فيهم ..

الخامسة : عندما نقوم بتقديم الاهمّ على المهمّ في حياتنا الرسالية فهو نوع دقيق من التلبية يحتاج الى وعي وثقة عالية ، فلقد ترك ابو عبدالله عليه السلام نداء الحج ، ولبّى نداء كربلاء ، وهذه قاعدة عامة للتلبية يضعها لنا عليه السلام تتمثل بترتيب اولوية استجابة التلبيات وان يكون هذا التسلسل خاضعاً لدرجة ا لاهمية لا للميول النفسية .

السادسة : تلبية نداء التقوى في معترك المحنة ومنتصف اداء الا متحان ، فيستخرج لنا ابو عبدالله عليه السلام نداءات خفية جداً يدعونا الى استجابتها وعدم تركها بحجة الاكتفاء بما هو اعظم ، ك الصلاة في وقتها وهو في معترك الاسنّة ، والحرص على ارتداء م لابس متواضعة لكي لا يهتك ستره ، ولقد ادّى الواجب بهذه الدقة أبوه أمير المؤمنين عليه السلام قبله ، حيث يترك عمرو بن عبد ود بعد ان كان على صدره للحظات لكي يجمع اخلاصه لله مع ضربته ..!!

السابعة : ان نعيش التلبية كحال دائم في جميع مشاعرنا واهتماماتنا ، حركاتنا وسكناتنا ، ألا نقرأ في الزيارة (لَبّيْكَ داعِيَ اللّه ِ - سبعاً - إنْ كانَ لَمْ يُجِبْكَ بَدَني عِنْدَ اسْتَغاثَتِكَ ، وَلِساني عِنْدَ اسْتِنْصارِكَ ، فَقَدْ أجابَكَ قَلْبي ، وَسَمْعي وَبَصَري ، ورَأيي وَهَواي ..) .. !

وعلى العموم ، أن هنالك تلبية عامة ، وهنالك تلبية خاصة لكل شخص اتجاه كربلاء عليه أن يؤديها ، والإنسان على نفسه بصيرة ..

س ـيّـدة الـ ـعـ ـفـ ـاف

لا أريد أن اتحدث عن عفاف زينب عليها السلام الآنسة والسيدة ، فحين كانت في بيت أبيها توصف بفخر المخدرات ومن أجلها تخفت الاضواء ليلا ً لكي لا يرى لها شخصاً ولا ظلّا ، ولا عن زينب عليها السلام السيدة في بيت بعلها ومدينتها والتي كانت تعرف بعقيلة الطالبيين والعقيلة في معاجم اللغة تعني السيدة المخدّرة .

فكل ذلك يعتبر أمراً هيّناً نسبياً باعتبار الحياة الطبيعية التي تعيشها المرأة في بيت أبيها او زوجها وتستطيع عندها ان تطبّق أعلى مستويات العفّة من خلال دينها العالي وارادتها القوية ومساعدة اهل بيتها والقوّامين عليها ..

انما الكلام كل الكلام في عفاف زينب عليها السلام وهي سيدة خيام الطف حيث سنابك الخيول وتشابك الرماح واصطكاك الأ سنّة ، وحيث انها ثكلى وموتورة ، لا حامي لها ولا مُعيل ، هنا العفة تُحسب كل درجة منها بالاف الدرجات من عفةّ غيرها من المَواطن .

زينب عليها السلام هنا بين واجب العفة وواجب القيام بالدور الرسالي ، ولكن مَن للخروج بأفضل الحلول من هذا التزاحم غير بنت النبوة ومعدن الرسالة ..!!

اتبَعت زينب "ع " عدّة اجراءات حافظت من خلالها على اعلى مستويات العفاف وبشكل لا يؤثر على دورها في القيام الحسيني المقدس ، نذكر ثلاثة اجراءات مهمّة :

١. كانت "ع" اقوى من المصيبة واكبر من الحدث ، فلم تسيطر عليها الظروف ولا استملكتها الاحزان كما تصوّره لنا بعض الأشعار والأقوال التي تتحدث عن لسان الحال وما شاكل ذلك ، ولم تفعل عليها السلام ايضاً كما تفعل غيرها من النساء حال الحزن والجزع فنراها تعمد بيدها الى هتك بعض سترها تخفيفا للمعاناة ، بل هي

التي قدّمت جسد أخيها قرباناً لرضا الله تعالى .. ! فلا انكسار ولا جزع ، بل كانت في قمّة التركيز على اداء دورها ومهمّتها التي آلت اليها ..

٢. لم تطبّق عليها السلام قاعدة الضرورات تبيح المحظورات ولم تسمح لنفسها ان تعمل بالاستثناءات والتي طالما توسوس النفس لصاحبها باستعمالها كاستغلال للفرص وارضاءً للهوى ، فإن يعذر الآخرون الشخص لتركه بعض السلوكيات المحافظة للعفة نتيجةً لظروف طارئة نجد أنّ بعض الاشخاص لا يعطون لأنفسهم العذر في ذلك بل يزدادون تحفّظاً وعشقاً لحالة التحدي هذه بمقدار عشقهم للدرجات السامية والاخلاقيات الرفيعة .

٣. كانت جميع تصرفاتها عليها السلام تغلق عند الاخرين فرصة وخيار النظر اليها كامرأة او اي محاولة لاختراق عفّتها ، فبخطبها المملوءة بالعنفوان والايمان وحسن تصرفها وجلادتها استطاعت ان تتحجّب بحجاب فوق الحجاب التقليدي ، ولنقل أنها كانت اقرب الى شخصية تنكرية الى حد ما ، فيصفها ابن الاثير في الكامل عند دخولها للكوفة وحين ألقت خطبتها (لبست العقيلة أرذل ثيابها وتنكّرت) ، بل استطاعت ان تقترب من شخصية ابيها منطقاً وموقفا حتى وصفها اعدائها بأبيها وذكرتهم به عليه السلام كما فعلت أمها الزهراء ع حين خرجت للقوم فكانت حتى مشيتها لا تخرم مشية رسول الله ص كما يذكر لنا التاريخ ..

اذن لم يكن العفاف عند زينب عليها السلام مانعاً للمرأة في اداء بعض المهام الضرورية والتي ينحصر ادائها بها ، بل استطاعت ان تجعل من نفس هذا العفاف سلاحاً ناجحاً في اداء الكثير من الواجبات .

يذكر لنا القرآن الكريم بنات نبي الله شعيب ع وهن يؤدين مهمة ارواء الاغنام كون أبوهن شيخاً كبيرا ولكن مع المحافظة على عفتهن (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دونهم امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) فكانتا تذودان ، اي لا يدخلن اغنامهن مع القوم ولا يختلطن بهم حتى ينتهوا ويخرجوا من الماء حفاظاً على انفسهن وعفافهن ، الأمر الذي دعى موسى ع للقيام بهذه المهمة ومساعدتهن . وحتى عندما ارسل شعيب "ع" احداهن الى موسى عليه السلام فجاءت بهيئة يصفها القرآن بأنها على استحياء (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ) ، يعلق صاحب الميزان (والمراد بكون مشيها على استحياء ظهور التعفف من مشيتها) .

فالعفاف القرآني اذن لا يعيق المرأة في ظروف الحاجة والضرورة أن تقوم ببعض المهامّ ، وكذا العفاف الزينبي ، فهو انموذج لحالة من العفاف تكون عليها المرأة ملائم للظرف الذي تمرّ به وتستطيع من خلاله الارتقاء الى مستوى اداء المهامّ والمسؤوليات وتجاوز الظرف بأفضل صورة .

السلام على زينب الكبرى سيّدة العفاف

بـقيـّـة الـسـيـف

نعلم أن الزكاة تعني لغةً الكثرة مع الطيبة ، زيادة الكمية وتحسين النوعية ، فزكاة المال يكون من خلال اخراج الحق الشرعي منه ، وزكاة العلم انفاقه .. ولكل شيء زكاته الخاصّة ، أمّا زكاة الأمم و المجتمعات فهذا ما لا نعرفه .. !!

نأخذ ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو خير من ينطق وأفضل من يُرشد ، يقول علي عليه السلام : " بقية السيف أبقى عددا ً وأطيب ولدا " ، فالأمة والجماعة عندما تغلق أمامها جميع الطرق للحيلولة دون قتلها وإبادتها أو إخضاعها وتركيعها ، ولم يبق لها طريق لرفع الظلم ودفع العدوان الا السيف فعندها يكون القتل سبب زيادة ، والموت علة للطيبة والأفضلية ..

فكم قُتل من ال محمد صلوات الله عليهم ، فتعرّضوا الى إبادات جماعية وجرائم دموية ، كان شعار : لا تبقوا لهذا البيت من باقية هو المعمول به اتجاههم من قبل بني امية وبني العباس .. ولكن اين بنو أمية الآن واين بنو العباس ..؟ بينما هذه ذراري بني هاشم تملأ الآفاق .. لأنهم بقية سيفٍ قام بالحق ..

كان السجاد عليه السلام هو بقية سيف كربلاء ، هذا البقاء الذي

كان أحد معاجز كربلاء ، فتغلّب شعار الحسين الذي نطق به لأم كلثوم بقوله : ارجعيه لكي لا تخلو الأرض من نسل آل محمد .. على شعار عمر بن سعد بقوله : لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية ..

محاولات اغتيال الامام السجاد وقتله كثيرة بحسب التتبع التاريخي ، فمن تلك المواطن :

▪ كربلاء : قال سبط ابن الجوزي : « وانما استبقوا علي بن الحسين لأنه لما قتل أبوه مريضا ، فمر به شمر فقال : اقتلوه ، ثم جاء عمر بن سعد ، فلما رآه قال : لا تتعرضوا لهذا الغلام ، ثم قال لشمر : ويحك ! من للحرم !» تذكره الخواص : 258

▪ ومنها في الكوفة : قال الطبرسي بعد ذكر ما جرى بين الامام عليه السلام وابن زياد من الكلام : فغضب ابن زياد وقال : « لك جرأة علي جوابي ! وفيك بقية للرد علي ؟! اذهبوا واضربوا عنقه » ، فتعلقت به زينب... اعلام الورى : 247

▪ ومنها : ما ذكره الفقيه القطب الراوندي : « وروي أنه لما حمل علي بن الحسين عليه السلام الي يزيد لعنه الله هم بضرب عنقه » . بحارالأنوار ، 200: 45

▪ ومنها : ما روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : « كان علي بن الحسين مقيدا مغلولا ، فقال يزيد لعنه الله : يا علي بن الحسين والحمدلله الذي قتل أباك ، فقال علي بن الحسين : لعنة الله على من قتل أبي » ، قال : « فغضب يزيد وأمر ضرب عنقه ، فقال علي بن الحسين : فاذا قتلتني فبنات رسول الله من يردهم الي منازلهم وليس لهم محرم غيري ؟...» . بحارالأنوار ، 168:45

▪ ومنها : ما رواه صاحب الاحتجاج بعد ذكره الخطبة السجادية ورجوع الامام السجاد عليه السلام الى المنزل ، فبعده قال ليزيد: «يا يزيد، بلغني أنك تريد قتلي ، فإن كنت لابد قاتلي فوجه مع هؤ لاء النسوة من يردهن» . بحارالأنوار ، 162:45

▪ ومنها : ما رواه ابن شهر آشوب عن المدائني : « لما انتسب السجاد الي النبي قال يزيد لجلوازه : ادخله في هذا البستان واقتله وادفنه فيه ، فدخل به الي البستان ، و جعل يحفر والسجاد يصلي ، فلما هم بقتله ضربته يد من الهواء ، فخر لوجهه وشهق ودهش ، فرآه خالد بن يزيد وليس لوجهه بقية ، فانقلب الي أبيه وقص عليه ، فأمر بدفن الجلواز في الحفرة واطلاقه ، وموضع حبس زين العابدين هو اليوم مسجد » المناقب 173:4.

▪ ومنها : ما رواه المسعودي بعد ذكر المحادثة بين الامام عليه السلام و يزيد؛ قال: «فشاور يزيد جلساءه في أمره، فأشاورا بقتله» اثبات الوصية: 145

▪ ومنها : ما رواه ابن كثير بقوله وروي أن يزيد استشار الناس في أمرهم ، فقال رجل ممن قبحهم اللّٰه : « يا أميرالمؤمنين ، لا يتخذن من كلب سوء جروا ، اقتل علي بن الحسين حتي لا يبقي من ذرية الحسين أحد » ، فسكت يزيد.... البداية و النهاية 198:8

▪ ومنها : ما رواه ابن عساكر باسناده عن حمزة بن زيد الحضرمي عن ريا حاضنة يزيد أنها قالت : « ولقد جاءه (أي يزيد) رجل من أصحاب رسول اللّٰه صلي اللّٰه عليه و آله وسلم فقال له : قد أمكنك اللّٰه من عدو اللّٰه وابن عدو أبيك ! فاقتل هذا الغلام ينقطع هذا النسل ، فانك لا تري ما تحب و هم أحياء ، آخر من ينازع فيه - يعني علي بن حسين بن علي - لقد رأيت ما لقي أبوك من أبيه ، و ما لقيت أنت منه ، وقد رأيت ما صنع مسلم بن عقيل ، فاقطع أصل هذا البيت ، فانك ان قتلت هذا الغلام انقطع نسل الحسين خاصة ، والا فالقوم ما بقي منهم أحد طالبك بهم ، و هم قوم ذو م كر، والناس اليهم مائلون ، وخاصة غوغاء أهل العراق يقولون ابن رسول اللّٰه صلي اللّٰه عليه و آله و سلم ، ابن علي وفاطمة ، اقتله فليس هو بأكرم من صاحب هذا الرأس .

فقال : لا قمت ولا قعدت ، فانك ضعيف مهين ، بل أدعهم ، كلما طلع منهم طالع أخذته سيوف آل أبي سفيان !

قال : اني قد سميت الرجل الذي من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم، ولكن لا أسميه و لا أذكره » . تاريخ مدينة دمشق 420:19

وكلها فاشلة لأن المشيئة الالهية هكذا ارادت ..

بقية سيف كربلاء نتجت عنها الامامة حتى اكتمل عددها الالهي ، وبقية سيف كربلاء جعلت من كربلاء كربلاء التي نعرفها الان ، لا كربلاء التي أرادها يزيد وتلك التي عاينها الإمام في الشام .. فبعد أن ذهب الامام السجاد عليه السلام والعلويات معه أسارى وسبايا وفي نظر الناس خوارج وبغاة بسبب الاعلام الأموي ، وبعد أن دخلوا على دمشق وهي تشهد أفراحاً واعياداً على خلفية كربلاء .. قلبت الأمور على يد الامام زين العابدين وأجرى تغييراً في المعادلة حتى رفع ورسّخ شعار المظلومية العظمى من خلال خطبه وكلماته ، كشف غطاء الغش الأموي عن الشاميين وفضح يزيد شرّ فضيحة ومعه عمّته صلوات الله عليهما ، فتحوّل فرح وشماتة يزيد بما حصل الى اعتذار رسمي من قبله ، وتحولت ضحكاته الصفراء الى دموع تماسيح مضطراً لها لكي لا تؤول الا مور الى عكس ما يريد ، بعد أن أقرّ على نفسه أنه اخذ ثأر بدر .. نراه يتنصل عن الجريمة ويرميها بعنق ابن زياد ، تحولت افراح الشام الى مأتم في مجلس خليفتهم ..

لم يرجعوا أسارى الى المدينة ، بل رجعوا وأمرة الموكب الذي تحميه وترافقه وتخدمه قوّات شامية بيد الامام السجاد ع ، حاول يزيد اكرامهم وتعويضهم وتخفيف معاناتهم - مكراً وخداعا - وأوصى الحرس ان يأتمروا بإمرة الامام حيث يريدون من توجه واستراحة .. ولهذا نسمع في بعض الاخبار ان السيدة عليها السلام تقول للأمام عند مفترق الطرق : مرهم (أامرهم) ان يعرّجوا نحو

كربلاء ..

رجعوا الى المدينة واقاموا العزاء ، دخلوا والامام يطلب من أبن حذلم ان ينعى الحسين ع عند دخوله الى المدينة .. كل هذا وغيره من الادوار القصيرة الامد والطويلة الامد حصلت ببقية سيف كربلاء الامام السجاد عليه السلام ..

حبيب بن مظاهر الأسدي

ليس اعتباطاً أن ينفرد حبيب بن مظاهر الأسدي بمرقد وضريح بقرب ضريح أبي عبدالله الحسين عليه السلام ولم يُدفن مع الأ جساد الطاهرة للشهداء .. خاصة اذا عرفنا بأن هندسة قبور الطف كانت بتخطيط وتصميم الإمام السجاد عليه السلام كما تخبرنا به كتب التاريخ الواصلة إلينا ، ومنها قبر حبيب بن مظاهر الأسدي حيث أمر عليه السلام أن يُشقّ له ضريح مما يلي الرأس الشريف .. مع ماله من محبّة في قلوب المؤمنين ، وذكر خ الد قد اقترن مع تاريخ الإمام الحسين عليه السلام .. كل هذا

وغيره يحثّنا على التعرّف على أسرار هذه الشخصية ومزاياها ومحاسنها التي تميّزت وتحلت بها الى القدر الذي استحقت به هذا التميّز والتفرّد من بين أبطال كربلاء .. وسنحاول التعرف عليه ضمن نقاط :

الأولى : كان رضوان الله عليه صحابياً ممّن رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وصحب الإمام علي عليه السلام في حروبه كلها .

الثانية : ذكر المؤرخون أنه كان من خاصّة أمير المؤمنين وحملة علومه . وما يؤيد هذه الخصيصة هو ما رواه الكشي عن فضيل بن الزبير ، قال : مرّ ميثم التمّار على فرس له فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد فتحادثا حتّى اختلف عنقا فرسيهما ، ثم قال حبيب : لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق ، قد صلب في حب أهل بيت نبيّه ، فتبقر بطنه على الخشبة . فقال ميثم : وإني لأعرف رجلا ً أحمر له ظفيرتان ، يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه فيقتل ويجال برأسه في الكوفة ...

الثالثة : كان قارئاً للقرآن وعالماً بعلوم الشريعة ومحدّثا ، إلا أن ثمّة أسباب جعلته لم يشتهر بذلك ، ومن هذه الأسباب هو الحصار الأموي على حديث وعلماء وأعيان الشيعة والدعاية الظالمة ضدهم .. قال الإمام الحسين عليه السلام في حقّه عند مقتله : لله درك يا حبيب ، لقد كنت فاضلا ً تختم القرآن في ليلة واحدة .. ثم بكى وبكى الأنصار .

الرابعة : كان ممّن كاتب الإمام الحسين عليه السلام ، ونصر مسلم

بن عقيل رضوان الله عليه ، قام بأخذ البيعة للحسين عليه السلام من أهل الكوفة مع مسلم بن عوسجة .. وبعد خذلان الكوفة لمسلم بن عقيل حبسهما (حبيب ومسلم بن عوسجة) عشائرهما وأخفياهما .. حتى لحقا بالحسين عليه السلام في كربلا .

الخامسة : بذل جهداً في دعوة قومه الى نصرة الإمام الحسين عليه السلام بعد أن استأذن من الإمام في الذهاب الى أحد أحياء بني أسد .. ونجح في دعوته وأجابه جماعة منهم ولكن عمر بن سعد أرسل الأزرق على رأس خمسمائة فارس ومنعهم من الإلتحاق فتراجعوا بعد قتال دار بينهم وعلموا أن لا طاقة لهم بهم ، ولمّا جاء حبيب إلى الإمام الحسين عليه السلام وأخبره ، قال الإمام : " وما تشاؤون الا أن يشاء الله ، ولا حول ولا قوّة الا بالله " .

السادسة : من خلال كلامه وخطبه التي ألقاها في قومه وفي الطفّ ، تظهر شخصية حبيب بن مظاهر العارفة بمقام أهل البيت والفانية في مودتهم ، فمن خطبته لقومه عندما دعاهم لنصرة الإمام عليه السلام : (هذا الحسين بن علي بن أمير المؤمنين وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله علي وآله قد نزل بين ظهرانيكم في عصابة من المؤمنين ... فأتيتكم لتمنعوه وتحفظوا حرمة رسول الله ص فيه ، فوالله لئن تصرتموه ليعطينكم الله شرف الدنيا والآخرة ..) ، ومما تحدث به حبيب مع جيش عمر بن سعد : (معاشر القوم أنه والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون على الله ، وقد قتلوا ذرية نبيّه وعترته وأهل بيته وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيرا) ..

السابعة : كان له دور في بث الأمن والطمأنينة في قلوب الفاطميات عندما تناهى إليه خبر وجلهن ورعبهن وحسرتهن .. فجمع الأصحاب وتوجه الى الخيام ونادى : يا ساداتنا ويا معشر

حرائر رسول الله صلى الله عليه وآله هذه صوارم فتيانكم ، آلوا أن لا يغمدوها إلا في رقاب من يبغي السوء فيكم ، وهذه أسنّة غلمانكم أقسموا أن لا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم .. الخبر

الثامنة : كان هو شيخ الأصحاب وصاحب الرأي والمشورة في ليلة العاشر عندما بدأوا يتشاورون في خيمة حبيب ويتفقون على بروزهم للقتال أولا ً ويتقدمون بني هاشم بالتضحية ويقدمون أنفسهم فداءً لهم .. فكان هذا الرأي لحبيب وأقرّه الأصحاب على ذلك .. في الوقت الذي اجتمع أبي الفضل العباس عليه السلام مع بني هاشم وقرّر أن يتقدموا هم وأنهم أولى بذلك وأن الحمل الثقيل لا يقوم به إلا أهله .. هذان الاجتماعان اطلعت عليهما الحوراء زينب عليها السلام عندما وجدت الحسين ع وحيداً في خيمته ليلة العاشر وقررت الذهاب الى أبناء عمومتها للمعاتبة .. ولكنها وجدت الأمر مختلف ورجعت حتى لاقت أبي عبدالله مبتسمة وأخبرته بما يجري في الخيام ..

التاسعة : كان أحد حملة الرايات في الطف ومن أمراء الحسين عليه السلام ، فكان ابو الفضل العباس عليه السلام مع اللواء الأ عظم ومركزه القلب ، والميمنة عليها زهير بن القين البجلي ، و الميسرة عليها حبيب رضوان الله عليهما .. ويذكر أبو مخنف أن مقتل حبيب هدّ الحسين عليه السلام وقال (عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي) . ولعل لفظ (حماة أصحابي) فيه إشارة الى الخمسة الذين كانوا يلازمون حراسة الإمام الحسين عليه السـ لام خوفاً عليه من الغيلة والغدر وكان أحدهم حبيب وهم (ابو الفضل ع ، علي الأكبر ع ، حبيب ونافع وزهير رضوان الله عليهما) .

العاشرة : زيارته الشريفة ، حيث تطلعنا على مقامات ودرجات هذه الشيبة المباركة : السلام عليك ايها العبد الصالح ، المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين ولفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام ، أشهد أنك جاهدت في سبيل الله ونصرت الحسين ابن بنت رسول الله ، وواسيت بنفسك وبذلت مهجتك ، فعليك من الله السلام التام ، السلام عليك ايها القمر الزاهر ، السلام عليك يا حبيب بن مظاهر الأسدي ورحمة الله وبركاته .

بهكذا علم وبصيرة في الدين ، وبهكذا صحبة طويلة مع الرسول ا لأمين وأهل بيته الطاهرين ، ومع ملازمة للقرآن العظيم ، وهكذا دفاع وفداء وبذل وعطاء ، استحقّ حبيب بن مظاهر الأسدي كل ذلك ، وما خفي أعظم ..

المصادر : ابصار العين في أنصار الحسين (محمد طاهر السماوي) و البطل الأسدي للعلامة الشيخ عبد الواحد المظفري .

إحياء أمر أهل البيت بين تعظيم الحُرمات وتعظيم الشعائر

نتكلم كثيراً عن تعظيم الشعائر باعتبارها من تقوى القلوب بنص القرآن المجيد ، قال تعالى (ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) الحج ٣٢ ، الا اننا لا نتكلم عن تعظيم الحرمات التي نصّ عليها الكتاب الكريم ايضا ً ، قال تعالى (ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) من الحج ٣٠ .

وحُرمات الله هي : (الأمور التي نهى عنها وضرب دونها حدودا منع عن تعديها واقتراف ما وراءها ، وتعظيمها الكف عن التجاوز إليها) الميزان / تفسير اية 30 من سورة الحج ..

والفرق واضح بين تعظيم الشعائر وتعظيم الحرمات حيث الأول هو فعل يؤديه المكلف بينما الثاني هو مجرد ترك ما نهى الله عنه ..

والسؤال هنا : هل يوجد تعارض بين دليل تعظيم الشعائر وتعظيم الحرمات .. ؟ أم يوجد تزاحم بينهما ..؟

وفي مقام الجواب لا بد من توضيح الفرق بين التعارض و التزاحم :

** التعارض يحصل بين دلالة الدليلين وتضادهما بحيث إذا كان ا لأول يدل على الفعل مثلا ً يكون الثاني دالا ً على الترك ..

** أما التزاحم فيحصل في مقام العمل والأداء لا في أصل الدليل مثل تزاحم أداء الصلاة في نهاية وقتها والتبادر الى إزالة النجاسة عن المسجد ..

إذن : لا يوجد هنا تعارض بين دليلي (تعظيم الشعائر) و (تعظيم الحرمات) لأن الحكمين مختلفان في متعلقهما .. فالأول متعلقه الشعائر والآخر الحرمات .. ولا يوجد أيضا تزاحم لأن تعظيم الشعائر أصلا ً لا تؤدى بهتك حرمة ، ولا يطاع الله من حيث يُعصى .. فيختلف الموضوع هنا ..

نعم : الفهم الخاطىء لمفهوم الشعائر هو الذي يولد هذا التزاحم الموهوم عند المكلف بحيث يعتقد أن تعظيم بعض الشعائر متوقف على هتك بعض الحرمات وتجاوز بعض الواجبات ..!! والضابطة ه ي أن ننظر الى الشعيرة المعينة ، ونرى هل فيها ما يهتك حرمة معينة ، فإذا كان ليس فيها ذلك وفيها مقوّمات تعظيم الشعائر الا خرى فهي شعيرة حقاً يُتقرب بها الى الله تعالى وإلا فلا الا ان يكون لها استثناء شرعي معين خاص ..

وأترك ضرب الأمثلة لك أخي الحسيني لأنك لبيب ..

وحري بمن يقوم بمهمة إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وخاصة شعائر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أن يكون أحرص الناس على نقاوة هذه الشعائر من كل شائبة حرام أو مكروه .. فكما أن الحسين عليه السلام أخلص لله في أداء مسؤوليته وقيامه ، كذلك علينا الإخلاص لله في إحياء شعائره .. فلم تترك الحوراء عليها السلام ليلة الحادي عشر مستحباً وهو صلاة الليل ، فكيف بمن يترك واجباً أو يأتي بمحر ّم لا سامح الله .. !! ، لا تخرج الشعائر الحسينية عن فقه أهل البيت ولا عن ضوابط الإسلا

ام التشريعية ، فينبغي محاكمتها وفق الشريعة وتحكيم الفقهاء فيما أُختلف حولها ..

تحقيق الروايات الواردة عن الائمة عليهم السلام وتنقيح مضمونها يرجع الى الفقيه وليس لعوام الناس وإن كانوا حسينيين ومفجوعين بمصاب أبي عبدالله . وبهذا سيكتسب المؤمن أجوراً مضاعفة ، لأنه من جهة راعى أصول الورع والتقوى ، وأحيا أحكام الشريعة .. ومن جهة ثانية أحيا أمر أهل البيت عليهم السلام وأعظم شعائرهم .. وهذا هو عزاء الله الذي أوصى به الحسين أخته الحوراء زينب عليهما السلام والذي تعرّضنا له في بعض هذه الأوراق ..

تعظيم الشعائر عمل تؤدّيه القلوب

قال تعالى (ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) الحج ٣٢

التعظيم لغةً : تفْخيم وتبْجيل ، تكْبير وإجْلال

وكذلك يعني : ثناءٌ على شَخْص أو شَيْء ورَفْعُ شَأنه وقَدْره .

شعائر الله : معالم دين الله وأدلته ، (والأعلام التي نصبها لطاعته) الميزان ج١٧ ص٣٧٤

تعظيم شعائر الله : (حقيقة التعظيم تعني تسامي مكانة هذه الشعائر في عقول الناس وبواطنهم ، وأن يؤدّوا ما تستحقّه هذه

الشعائر من تعظيم وإحترام) الأمثل ج١٠ ص٢١٦ .

والآية المباركة تبيّن حقيقة العلاقة بين تعظيم شعائر الله وتقوى القلب ، وهذه العلاقة والرابطة يمكن أن نفهمها على أنحاء :

١. أن التعظيم من عمل القلب وأحد الأعمال العبادية التي يؤدّيها - القلب - على مستوى التقوى ، وما الحركات والأفعال الخارجية التي تؤدّى في مراسيم تعظيم شعائر الله إلّا عبارة عن ترجمة الجوارح لما انطوت عليه الجوانح ، وإنعكاس الباطن على الظاهر ، والتعظيم هنا شرط تحصيل بالنسبة للتقوى ، فلا تقوى بدون تعظيم ..

٢. أن يكون التعظيم ليس شرطاً لحصول التقوى وإنما هو علامةً على حصولها ، أي تم تحصيل تقوى القلب في مرحلة سابقة للتعظيم ، وهنا تكون التقوى من مقدمات التعظيم ..

٣. أن نفهم التعظيم بأنه أحد الطرق المُحصّلة للتقوى ، فليس هو شرط تحصيل ولا جزء وجود وإنما هو طريق من الطرق الموصلة وآلة من آلات تحقيق التقوى ، وهنا التعظيم يسبق اكتمال صفى التقوى ..

٤. أن نفهم بأن لكل عضو في الإنسان (مادي أو معنوي) له تقواه الخاصة ، فتقوى العين عدم النظر الى الحرام مثلا ، وتقوى العقل إبعاد الظنون السيئة والأفكار المحرمة .. ومن تقوى القلب هو الشعور بوجود عظمة وهيبة لشعائر الله ..

٥. نستطيع أن نفهم من الآية بأن التقوى أهم من التعظيم نفسه ، سواء كانت أهمية التقوى ناتجة كونها علةً للتعظيم وسبباً له ، أو لأنها الهدف والنتيجة المبتغاة من التعظيم ، قال تعالى (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) الحج ٣٧

٦. يمكن أن نفهم أن قبول التعظيم متوقف على وجود التقوى ، ة

ال تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) ، وفي تفسير الأمثل (يحدث كثيراً أن يقوم المنافقون بالتظاهر في تعظيم شعائر الله ، إلا أن ذلك لا قيمة له ، لأنه لا ينبع من تقوى القلوب ، إنما تجده حقيقة لدى أتقياء القلوب) ج١ ص٢١٦ .

وعلى كلّ الأحوال .. إذا أردنا الخروج بإحتمال جامع لطبيعة العلاقة بين تعظيم الشعائر والقلب هو يمكننا القول بأن بينهما علاقة تبادل منفعة أو تغذية متبادلة بين الأثنين ..

والآية فيها تحفيز كبير للعمل وللتقوى وللإهتمام بشعائر الدين وعبادات الشريعة التي لها مظاهر خارجية وانعكاسات جماعية أو مجتمعية .. ومنها شعائر أبي عبدالله عليه السلام ، فهي أهم أشكال إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وبالتالي يكون فيها إحياء للدين ولشريعة سيد المرسلين ..

فائدة نأخذها من تفسير الميزان في تفسير هذه الآية : (وإضافة التقوى الى القلوب للإشارة الى أن حقيقة التقوى - وهي التحرّز و التجنب عن سخطه تعالى والتورّع عن محارمه - أمر معنوي يرجع الى القلوب وهي النفوس وليست جسد الأعمال التي هي حركات وسكنات ، فإنها مشتركة بين الطاعة والمعصية ، كالمسّفي النكاح والزنا ، وإزهاق الروح في القتل قصاصاً أو ظلماً ، والصلاة المأني بها قربة أو رياء وغير ذلك ، ولا هي العناوين المنتزعة من الأفعال كالإحسان والطاعة ونحوها) .

هل تشدّ الشعائر الحسينية عن قاعدة
إنما يتقبل الله من المتقين ..؟

قال تعالى في قصّة مقتل هابيل على يد أخيه قابيل (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)

المائدة ٢٧

والآية الكريمة تقرر قاعدة رصينة من قواعد عبادة الله تعالى من قبل الإنسان ، وهي أن قبول الأعمال مشروط بالتقوى (قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) ..

لقد تعرضنا في الورقة السابقة الى معاني مهمّة للتقوى فلا نعيدها هنا ، وإنما نريد أن نتطرق الى معلومة نقرأها ونسمعها كثيراً فيما يخصّ الأعمال العبادية المتعلقة بالإمام الحسين عليه السلام ، كالزيارة وإقامة الشعائر الحسينية وما شاكلها .. مفاد هذه المعلومة هو أن سفينة الحسين واسعة بحسب الخبر ، وأن الروايات التي تتحدث عن ثواب الزيارة وثواب الإحياء وثواب الحزن على ابي عبدالله عليه السلام لسانها مُطلق ولم تقيّد قبول العمل أو نيل ثوابه وفضله بالتقوى .. !! فتُقبل من الكافر ومن الفاسق ومن المسلم ومن المؤمن على حد سواء ، فما حقيقة هذه المعلومة ؟ وكيف تنسجم مع قاعدة قبول الأعمال آنفة الذكر أو مع قوله تعالى (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) ص ٢٨ ، او قوله تعالى (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) التوبة ٥٣ ..

ولقد سألت شخصياً سماحة الشيخ حبيب الكاظمي (دام توفيقه) حول هذه الفكرة بالتحديد فقال ما مفاده أن قاعدة (إنما يتقبل الله من المتقين) ثابتة وشاملة وهي الأصل ، ومن يقول غير ذلك فعليه أن يأتي بالدليل .. ففهمت منه ان القاعدة تشمل شعائر أبي عبدالله عليه السلام ولم تشذّ عن القاعدة .. ونفهم ذلك أيضاً من بعض كلام الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (الحسين وبطلة كربلاء) وهو يعلّق على بكاء عمر بن سعد على الامام الحسين عندما جاء اليه ووجده يجود بنفسه قائلاً وهو يبكي : " انزلوا اليه وأريحوه ..!! ، فيعلّق الشيخ مغنية : وما يدرينا ان بعض من يبكي لمصاب أهل البيت يحمل روح هذا المجرم ؟ .. واني أقدم هذه الصورة .. للذين يحسبون أن مجرد البكاء والتباكي يدخلهم

الجنة ولو راءوا ونافقوا ودسّوا وتآمروا وتجسسوا وقبضوا .. " .

وسنحاول ذكر عدد من التقريبات لهذه القاعدة فيما يخصّ شعائر ا لإمام الحسين عليه السلام كبديل عن نفيها تمام النفي أو قبولها تمام القبول :

١. أن نفهم بأن المشاركة بشعائر ابي عبدالله والتفاعل مع قضيّته سيكون سبب توفيق للتقوى ، وبالتالي يحصل شرط القبول ويرتفع المانع مع وجود المقتضي وهو الإحياء والمشاركة ، قال تعالى (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) الإسراء ٢٥ ، فعندما تكون زيارة الحسين عليه السلام توبةً نصوحاً لله عز وجل فستكون باباً لكل خير في ا لإسلام ..

٢. أن نفهم بأن قبول الأعمال يقع على درجات ، وأن الآية المباركة تتحدث عن القبول المطلق لا مطلق القبول ، فأعلى وأكمل قبول يكون للعمل المصاحِب للتقوى ، قال تعالى (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ) ، وتقلّ درجة القبول كلما قلّت درجة التقوى ، قال تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) التغابن ١٦

٣. قد يكون المعنى أن القدر المتيّقن للقبول هو أعمال المتقين ، أمّا غير المتقين فإن قبول أعمالهم يرجع الى استحقاقات أخرى سنبيّن بعضها في النقطتين اللاحقتين .

٤. لا بد من الجمع بين قاعدة (انما يتقبل اللّه من المتقين) التي

تضيّق دائرة قبول الأعمال ، وبين قواعد أخرى تعطي مساحة واسعة لها ، كقوله تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) الزلزلة ٧ ، وقوله تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فدرجة قبول الأعمال التي خصها الله تعالى للمتقين قد تعني توسعة الثواب والأجر من قبل الله ، بينما من غير المتقي فليس له الا بمقدار عمله .. او معاني اخرى تقبل جمع القاعدتين ..

٥. وعلى نفس الفكرة السابقة نحتاج الى تطويع القاعدة لتكون قابلة للجمع مع عقيدتنا في الشفاعة ، والتي سيكون للإمام الحسين عليه السلام نصيباً كبيراً منها ، فالقبول لا يأتي من باب التقوى وإنما من باب شفاعة أبي عبدالله عليه السلام للمذنبين ، قال تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا) النساء ٦٤ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : (مَن أراد أن يكون في كرامة الله يوم القيامة وفي شفاعة محمّد صلوات الله عليه وعلىُ آله ، فليكن للحسين زائراً ينال مِن الله أفضل الكرامة وحُسن الثّواب ، ولا يسأله عن ذنب عَمِله في حياته الدُّنيا ولو كانتْ ذنوبه عدد رَمل عالِج وجبال تِهامَة وزَبَد البحر ، إنّ الحسين بن عليٍّ عليهما السلام قُتِل مظلوماً مُضْطَهَداً نفسُه عَطشاناً هو وأهل بيته وأصحابه) . مستدرك الوسائل للشيخ النوري .

فالتقوى هي صمام أمان قبول الأعمال ، فلا ينبغي التفريط بهذه الجوهرة الثمينة .. فنحن حين نزور ابي عبدالله ونقرأ نص الزيارة فإننا نستشعر أن الإمام أستشهد من أجل التقوى ، فنخاطبه عليه السلام : أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله حتى أتاك اليقين ، ونشهد له ايضاً : لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها .. وأشهد أنك الإمام البر التقي .. وأشهد أن الائمة من ولدك كلمة التقوى .. وندعوا الله في زيارة أمين الله التي تزار

بها جميع المشاهد المشرفة بقولنا : اللهم فاجعل نفسي .. متزودة التقوى ليوم جزائك ..

فكل هذا الألفاظ والمعاني تعلمنا أهمية التقوى عند الله تعالى وأنها من أخلاق والتزامات وسنن المزور والتي ينبغي ان يتخلق بها الزائر ايضا ..

رثاء الإمام الحسين عليه السلام

الأدب الحيّ

اقترنت نهضة الإمام الحسين عليه السلام منذ قيامها وإلى الآن بألوان الأدب وفنون الشعر والنثر والخطابة .. والتي احتوت على بحرٍ متلاطم من الصور الشعرية والأساليب البلاغية والفصاحة العربية .. عبّرت عن عقائد راسخة ومشاعر صادقة ودموع حارقة ، ودوّنت تاريخ الطفّ ونقلت مجريات الواقعة وعبّرت عن حال شخوصها وأحزانها خير وأدقّ تعبير ..

يقول الشيخ محمد جواد مغنية في تقديمه لموسوعة أدب الطف للسيد جواد شبر : " ان الحسين ع قد مضى على استشهاده ألف وثلاثمئة سنة او تزيد ، ومن يومه الى يومنا هذا ، والأجيال من قوميات شتى ينظمون فيه الأشعار بالفصحى وغير الفصحى ، وقد تغيرت الحياة ومرت بالعديد من الأطوار ، وقضت على الكثير من العادات الا الاحتفال بذكرى الحسين ، والهتاف باسم الحسين ، نثراً وشعرا ، فإنه ينمو من عصر الى عصر ، تماماً كما تنمو الحياة ، وسيستمر هذا النمو .. وما عرفت البشرية جمعاء عظيماً من ابنائها قيل فيه الشعر ما قيل في الحسين بن علي عليه السلام .." .

ويقول الشيخ عبد الحسيب طه حميدة ، وهو عالم مصري من علماء الأزهر في كتابه (أدب الشيعة) : " وكانت حادثة كربلاء الملطخة بدماء الحسين وآل بيت الرسول حدّاً فاصلا ً بين طورين من أطوار هذا الأدب الخصب ، كان حبّاً صادقاً ، ومدحاً خ الصاً .. كانت حادثة كربلاء ، تلك الحادثة المروّعة المشؤومة ، فاتحة طور جديد من أطوار هذا الأدب الشيعي ، كما كانت ذات أثر عميق في النفوس الإسلامية ، والعقائد الشيعية ، والحياة السياسية . والواقع أن قتل الحسين على هذه الصورة الغادرة .. لا بد أن يلهب المشاعر ، ويرهف الأحاسيس ، ويُطلق الألسن ، ويترك في النفس الإسلامية اثراً حزيناً داميا ، ويجمع القلوب حول هذا البيت المنكوب ..

ومهما يكن من شيء ، فقد صبغت حادثة الحسين - ولا تزال تصبغ - أدب الشيعة بالحزن العميق ، والرثاء النائح ، والمدح المبتهل ، و العصبية الحاقدة .. وغدونا امام أدب تبعثه عاطفتان بارزتان : عاطفة الحزن وعاطفة الغضب ، تصدره الأولى حزيناً باكياً ، وتبعثه الثانية قوياً ثائرا .

والعاطفة أقوى دعائم الأدب ، فإذا اثيرت وهاجت ، وكان بجانبها لسان طلق ، وبيان ناصع ، ونفس شاعرة متوثبة ، فهناك الأدب الحيّ ، والقول الساحر ، وكذلك الشيعة . تجمعت لهم كل عناصر ا لأدب : لسان وعاطفة ، وفواجع من شأنها ان تستنزف الدم ، وتذيب القلب ، وتنطق الأخرس ، فقالوا ، وبكوا ، قالوا في الحق وطلبه ، والأرث وغصبه " .

ومن أشكال حياة الأدب الحسيني ايضا كثرته ، يقول السيد جواد شبر في مقدمة موسوعته الرائعة أدب الطف : " ان الشعر الذي قيل في يوم الحسين عليه السلام يحتاج الى مئات المجلدات إذا أردنا استقصاءه وجمعه ، وإن شاعراً واحداً وهو الشيخ أحمد البلا دي من شعراء القرن الثاني عشر الهجري نظم ألف قصيدة في رثاء الامام الحسين عليه السلام .. " .

ويقول ايضا : " وكان السبب الكبير الذي دقع بالشيعة لهذا الإكثار من الشعر هو حث ائمتهم لهم على ذلك وما أعد الله لهم من الثواب تجاه هذه النصرة ، قال الامام الصادق عليه السلام : من قال فينا بيتاً من الشعر بنى الله له بيتاً في الجنة " .

هذه الكثرة الفريدة كانت رغم الخوف من رثاء الحسين والتخفي عن السلطات الظالمة على مر العصور ، يقول ابو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين : " كانت الشعراء لا تقدم على رثاء الحسين عليه السلام مخافة من بني أمية وخشية منهم " .

عـزاء الله ، كيف وماذا ؟

قال الإمام الحسين لأخته العقيلة زينب عليهما سلام الله قبيل استشهاده : يا أخيّة .. تعزي بعزاء الله .. فهي بالتالي وصيّة لكل من يريد أن يحزن على مصائب أبي عبد الله ، ان يلتزم بهذه الوصية ، فنحن لسنا أشد حزناً من السيدة على أخيها .. !

ولا نشك بأنها عليها السلام قد التزمت بهذه الوصية بأعلى مستويات الالتزام ، وكانت مظهراً جلياً لعزاء الله .. ولهذا اذا اردنا ان نعرف (عزاء الله) علينا ان ننظر الى العقيلة ونتابع حركاتها وسكناتها بعد عاشوراء ونستنتج المعنى العملي له وان نتعزى بعد هذه المعرفة بهذا العزاء المقدس ، ومن تلك الأمور التي تصرّفت بها السيدة عليها السلام والتي يمكننا الاقتداء بها :

1. الصبر الجميل والتسليم لأمر الله وقضاءه ، (الهي تقبّل منّا هذا القربان) ، (الهي ان كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى) ، (ما رأيت الا جميلا) .. بمثل هذه العبارات أفصحت السيدة عليها السلام عمّا تنطوي عليه نفسية وعقلية المتعزّي بعزاء الله .

2. عدم الانشغال بالعزاء والحزن بما يؤدي الى التفريط بالدين وشريعة سيد المرسلين ، ففي قمّة مصائب السيدة عليها السلام نجدها اشدّ حرصاً على أدق الأحكام وأعظم الواجبات ، ومن أعظم ما قامت به هو المحافظة على حياة الامام السجاد عليه السلام الذي يمثل بقية العترة الطاهرة ووارث حملة الرسالة ، فنجدها قد افتدته بنفسها ، فتقول للطاغية - في الكوفة والشام - عندما أمر بقتل الامام السجاد وبعد ان اعتنقت الامام (فإن قتلته فاقتلني معه) ..

3. الحزن على سيد الشهداء واظهار اللوعة ولكن مع مظهر الشموخ والعنفوان والكرامة والشجاعة بوجه الظلمة والمنحرفين وعدم الظهور بمظهر الضعف والانكسار والغلبة ، انظر الى هذا المقطع في محضر يزيد مقرّعة له (أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وأماءك وسوقك بنات رسول الله ص سبايا , قد هتكت ستورهن , وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد ألى بلد ويستشرفهن أهل الناهل والمعاقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ليس لهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولي وكيف يرتجى من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر ألينا بالشنف والشنآن والأحن والأضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم : لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لاتشل) .. اي شموخ هذا !!

4. الحزن على المظلوم يحتاج الى فضح الظالم وتعرية جرائمه وكشف حقيقته ورفع الستر عن خساسته ، وفي المقابل ردّ الشبهات عن الدين وائمة المسلمين واهل بيت رسول رب العالمين واعطائهم حقهم من التعظيم والتبجيل والمنزلة الرفيعة والكرامة المنيعة ، وخير ما قام بهذا الدور بطلة كربلاء عليها السلام ..

5 . التعريف بأهداف الثورة والمحافظة على قداستها والحرص على استمرار اتقاد جمرتها .. وكذلك التعريف بمستقبل هذه الثورة وثمارها التي ستحصدها بالإضافة الى الجزاء الجزيل والعطاء الجميل الذي سيناله اصحابها في الدنيا ودار الآخرة (فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فو الله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها ، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد ، وجمعك إلا بدد ، يوم ينادى المنادي ألا لعنة الله على الظالمين ».

هذه بعض مظاهر عزاء الله الذي التزمت به السيدة عليها السلام بوصية من ابي عبد الله عليه السلام ، وقطرات من دموع زينب واترك لكم ذكر اشكال اخرى لعزاء الله جرى على حال ومقال زينب عليها السلام ..

الـزائـر الـعـارف

توطئة : أمران يمتاز بهما المخالفون والمُتربّصون للمذهب ، يتبعهم المُنافقون والمترددون والمرتدّون من داخل المذهب ، ومن خلال هذين الأمرين يتوهمّ هؤلاء ويُوهمون غيرهم بأنهم قد انتصروا عند النقاش او أنهم اصحاب حق .. وهذان الأمران هما :

١. اتباعهم اسلوب التشكيك والهدم ، وهذا الاسلوب من اساليب المُفلس في قافلة العلماء ، وهو من أيسر الطرق واسهلها ، فطريقه لإثبات نفسه منحصراً من خلال الطعن في الآخر ، واسلوب التشكيك هو الاقرب فهماً لعوام الناس وتراهم أميل اليه نفساً .. بينما طريق الاثبات والبرهان والدفاع هو الطريق الأصعب ، وجمهوره اقل في العادة من الآخر .. فالهدم أيسر من البناء . ولهذا أعطني نقاشاً علمياً واحداً أو محاججة على اصولها واحدة حصلت بين علمائنا ومشككيهم وقد انتصروا بها علينا منذ عهد الا ئمة وحتى الان .. لا سوق لديهم الّا عوام الناس ..

٢. اكثر اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام قد اخذوا عقيدتهم أخذ المسلّمات والبديهيات ، ولم يهتمّوا بالمبادىء والأصول و الطرق العلمية والبرهانية الموصلة لتفاصيل تلك العقيدة واركانها ، ولهذا ترى أحدهم - وللأسف - يقف متحيّراً عند أول صدمة ، وكالاً عن اجابة اول سؤال او ردّ أبسط تشكيك .. هذا الأمر استغلّه الآ خر حتى اصبح ميزة له يستفيد بها علينا ..

في حين أنّ مذهبنا قائم على الدليل ومبني على المعرفة الحقّة ، نحن أبعد الناس عن السطحية وعن التقليد الساذج ، هذا ماينبغي أن نكون عليه .. نعود لعنوان هذه الورقة :

الزائر العارف بحقّ الحسين عليه السلام : تظافرت الأخبار المؤكِّدة على أهمّية معرفة الإمام الحسين عليه السلام من قِبل الزائر له ، وكون هذه المعرفة سبباً لكرامات وثوابات عظيمة ينالها الزائر ، سواء ما كان من أمر الدنيا أو الآخرة ..

عن هارون بن خارجة ، قال : سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام وأنا عنده ، فقال : ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام ؟ قال : إنّ الحسين عليه السلام لمّا أصيب بكتهُ حتّى البلاد ، فوكّل الله به أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة ، فمن زاره عارفاً بحقّه شيّعوه حتى يبلغوه مأمنه ، وإن مرض عادوه غدوةً وعشيةً ، وإن مات شهدوا جنازته واستغفروا له إلى يوم القيامة .

(كامل الزيارات ٣٥٣) .

وعن بشير الدّهّان ،عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث له - قال : يا بشير ، من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كان كمن زار الله في عرشه . (كامل الزيارات ٢٧٨) .

وعن عيينة بيّاع القصب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كتبه الله في أعلى عليين . (جامع أحاديث الشيعة ١٢: ٣٦٦) .

وغيرها الكثير من الروايات والأخبار التي تقيّد ثواب الزيارة على المعرفة بحقّ الحسين عليه السلام ، وسنتعرض لشيء من التفصيل حول هذا الموضوع ضمن تعليقات :

الأولى : حول ماهية المعرفة /

عارف : اسم فاعل من (عرفَ) ، و عرفَ تعني بحسب مراجعة معاجم اللغة (كالتهذيب ، التحقيق للعلامة مصطفوي) عدّة معان : منها (الإطّلاع على شيء والعلم بخصوصياته وآثاره وأسراره) ، (والمعرفة أخصّ من العلم ، فالعلم يكون في الكليّات بينما المعرفة تكون في التفصيلات والجزئيات) ،وتعني ايضاً (الاعتراف والإقرار) .

وللمعرفة آثار ، ومن آثارها : الصبر والسكون والطمأنينة ، ولهذا قيل : رجل عارف أي صبور ..

ثمّ نحتاج الى معرفة معنى لفظ - حقّه - ، وأيضاً تتحفنا معاجم اللغة ببعض المعاني المناسبة لها : (الحقّ خلاف الباطل) ، (ما

وجب وثبت ، أو الثبوت مع مطابقته للواقع) ، (حققت الأمر بمعنى اصبح مُتيقناً) ، (حقيقة الشيء تعني منتهاه وأصله المشتمل عليه) .

وبين العلم والمعرفة خصوص وعموم مطلق ، فكل معرفة علم وليس كل علم معرفة ، لأن العلم على درجات ، وتأخذ المعرفة أعلى درجات العلم والتي لا يخامرها شك ولا ريب .. وأن المعرفة يتبعها عمل وهذا ما لا يُشترط في العلم ، فقد يعمل العالم على خ لاف علمه ..! وأن المعارف تنعكس الى حال بالنسبة للعارف والعلم يمكن أن يُختزن في زاوية من زوايا الإنسان ولا يُرى له عين ولا أثر .. والمعرفة حق لا باطل فيها ، وقد يشوب العلم الباطل و الشر .. ال غيرها من الفروقات التي ذُكرت للتفريق بين العلم و المعرفة ..

الثانية : أهمية المعرفة عموماً /

لقد صرّح القرآن الكريم وحديث المعصوم عن أهمّية المعرفة و المنازل والدرجات التي يكون عليها صاحبها ، قال تعالى (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) الزمر ٩ ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام (انك تحتاج في كل خطوة الى معرفة) ..

الثالثة : معرفة الإمام الحسين عليه السلام / يمكن أن نختصرها بقسمين مهمين :

١. العلم بمقامات ودرجات الإمام الحسين عليه السلام وواجباتنا اتجاه إمامته وقضيته ومظلوميته صلوات اللّٰه عليه وكل ما تمليه علينا العقيدة الإسلامية الصحيحة والمأخوذة من منابعها الحقّة .. مع الإيمان بكل ذلك والعمل بمضمونه عملا ً موافقاً لروح الدين وشريعة سيد المرسلين .

٢. هنالك معرفة فطرية بالإمام الحسين عليه السلام لا نحصل عليها في كتاب ، ولا نكسبها من تعلّم ، وإنما هي نور يقذفه اللّٰه بقلوبنا اتجاهه عليه السلام ، ونحصل عليه ايضا مما عملنا به في المعرفة الكسبية (من علم بما يعلم ، علّمه اللّٰه ما لا يعلم) ..والكلام اولا ً في معنى - عارفاً - الواردة في النصّ الشريف .

هذه بعض الإشارات المهمّة لأهمّية معرفة الإمام الحسين عليه السلام ولمعانيها ولبعض أشكال وطرق اكتسابها ، وتبقى معرفة أهل البيت لها أهلها ولها استحقاقاتها ومستحقيها الخاصّون ..

مسلم بن عقيل
يُمثّل أهم رسائل الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة

كلنا يعرف عن السيد الشهيد مسلم بن عقيل - رضوان الله عليه - بأنه رسول الحسين عليه السلام وسفيره الذي بعثه الى الكوفة ليختبر أهلها الذين طلبوا مجيء الحسين ع اليهم ، ووكل اليه مهمة المقارنة بين عزمهم ورسائلهم التي بعثوها الى الامام ع ومن ثم يُطلع الامام بالاوضاع وبحال أهل الكوفة ، وهذا ما قام به مسلم على أدق وجه - سلام الله عليه - حتى بعث الى الامام ع { فإنّ الرائدَ لا يكذب أهله ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفا ، فَعجِّل حين يأتيك كتابي ، فإن الناس كلّهم معك ، ليس لهم في آل معاوية رأي وَلا هَوى } .

الا أنّ ثمّة رسالة مخفية بعثها ابو عبدالله ع معه الى أهل الكوفة ليس من النوع المقروء ولا المحكي ، رسالة أخرى من النوع العيني والملموس ، تتمثل بشخصية مسلم بن عقيل وإيمانه بقضيته وشجاعته وصموده واستعداده الى بذل الغالي والنفيس من اجل تكليفه وقضيته ، هذه هي الرسالة التي قرأها أهل الكوفة من الحسين ع في شخص رسوله ، وكأنه يقول لهم هكذا هم رجالي وهكذا أصحابي الذين أُريد أن أقوم بهم .. ! وهي مشابهة للرسالة التي أوصلها الامام الصادق ع للخراساني عندما أمر هارون المكي أن يجلس في التنور بعد أن امتنع الخراساني الذي جاء للإمام ط الباً منه القيام وأن له شيعة وموالين كثر .. فتأمل

ولهذا ومن خلال المقياس الذاتي لأهل الكوفة والمسطرة الشخصية التي يعرفون بها أنفسهم (بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ

بَصِيرَةٌ) تيقّنوا بأنهم ليسوا أهلاً لهذه المهمة ولا كفؤاً لهذا التشريف ، حيث انسحبوا وتراجعوا ووهنوا أمام صبر وصمود مسلم فكيف سيكون مستوى المواجهة عندما يقودها الحسين ع ..!!

علموا من خلال مسلم بن عقيل أن الحسين ع مُقبل على قضية لا تقبل القسمة على اثنين ولا تعمل بأنصاف الحلول ، فعندما رأوا مسلماً متطرفاً في مهمته يعمل بواجبه الأساسي ولا يختلق لنفسه معاذير العناوين الثانوية ولا الاحكام الفرعية ولا حتى الا ضطرارية .. شخصية تسخّر الدنيا للآخرة ولا تعمل للدنيا .. عندها أدركوا أنهم أمام عار كبير وخذلان عظيم ، فقبلوا بالعار أمام حرّ السيف ، وأما مسلم عليه السلام فلاقى ربه صابراً محتسباً بعد أن أعطى رسالة أخرى لبني أمية وأذيالهم من خلال موقفه وصلابته أنهم أمام معركة حامية الوطيس ، فعدّوا العدة حتى وصل تعداد جيشهم عشرات الألوف أمام عشرات ..!!

مسلم بن عقيل كان على قدر ثقة الإمام عليه السلام وعلى قدر المسؤولية ، ويستحق أن يقول بحقه صلوات الله عليه فى رسالته الى أهل الكوفة (إني باعثٌ أليكم أخي وأبن عمي وثقتي مسلم بن عقيل فأسمعوا له وأطيعوا) .

اما أصحاب مسلم الذين لم يقصّروا معه على شحّتهم ، فهؤلاء نصروا الحسين عليه السلام قبل واعيته ، فلشهداء " الكوفة" الذين نصروا القضية الحسينية وضحّوا من اجلها قبل الطف وقبل ان يسمعوا واعية الامام الحسين ع - وعلى رأسهم الشيخ الجليل هاني بن عروة - هؤلاء لهم خصوصية وميزة لا يشاركهم فيها أحد ..!

ففرق بين من اجتمعت لديه كل محفزات النصرة في كربلاء من وجود الامام عليه السلام وما يبثه فيه من طاقة وعزيمة ، وعايش مظلومية الامام وأهل بيته وما يبعث ذلك فيه من عاطفة وحماس

، وسمع خطب الامام وصدّق بنفسه معاجزه وكراماته في الطف .. الخ وبين من نصره وبذل مهجته ايضاً بدون كل ذلك .. ! ولقد رجّحت الشريعة الذين يؤمنون بالغيب على الذين آمنوا في الشهود وحضروا اقامة المعجزات ..

وأنا لا أريد أن ارجحهم على اصحاب الحسين عليه السلام في الطف ، ولكن اريد ان اقول أنّ أصحاب مسلم بن عقيل هم بمنزلة أصحاب الحسين ع بل منهم - وسفينة الحسين ع واسعة - ، فعدم قتلهم بين يدي المعصوم لا يُنقص من فضلهم شيء للخصوصية التي ذكرناها .. فأصبحت لدينا فئات ثلاث من ناحية النصرة :

+ فئة سمعت واعية الحسين ع ونصرته

+ فئة سمعت الواعية ولم تنصره عليه السلام

+ فئة نصرته قبل الواعية

تتمة / الحسين عليه السلام ضحية خطأ الحَلَقة الوسطية

لا أشك في غيبية القضية الحسينية ، ولا أريد أن أقلل من شناعة وبشاعة العصبة الأموية في قتل ابي عبدالله ع واهل بيته وصحبه وما جرى بعد ذلك على عياله ونساءه ..وإنما اريد التركيز على خطأ التقدير الذي تقع فيه القاعدة ومنها الحلقة الوسطية بين القائد والقواعد ومدى ضرر ذلك على القاعدة نفسها وعلى قائدها .

فنحن نعلم أن الامام الحسين عليه السلام أعلن معارضته ورفضه لتولي يزيد من أول الأمر وكان رفضاً قاطعاً ، بل عزز رأيه ورفضه هذا بالهجرة عن المدينة هو وعياله واهل بيته وبعض صحبه

وتوجه بذلك الى مكة ، وأقام فيها فترة شهرين في مكة .. بعد ذلك وعندما علم أهل الكوفة معارضة الامام الحسين عليه السلام لتولي يزيد أمر الامة ورفضه لذلك بدأوا بإرسال الكتب والوفود ط البين منه أن تكون الكوفة عاصمة هذه المعارضة السياسية وأهلها سيكونوا جنوداً مجندة لذلك ..

هنا (وكما اتفقنا نتعامل بالعامل الطبيعي والظاهري) بدأت البوصلة تتجه باتجاه الكوفة وبدأ صلوات الله عليه يقدّر بعض الا مور ويدرسها جيداً قبل بدأ هذه الحركة ، وعلى رأس تلك الا جراءات التمهيدية هو ارسال ابن عمه وثقته مسلم بن عقيل الى الساحة الجديدة للعمل والحضور الميداني بها ودراسة الوضع هناك .. وفعلا ً ردّ سفيره اليه اخباراً جيدة ومتفقة مع رسائل ووفود الكوفة بعد ان اطلع على حجم الجماهير وسعة المعارضة فيها .. فتوجه صلوات الله عليه الى الكوفة وحصل ما حصل ..

اكتشف مسلم بن عقيل مؤخراً وبعد اول اختبار لاهل الكوفة بأن قادة الكوفة وزعماؤها قد اخطأوا التقدير بالنسبة لأنفسهم - إلا البعض - وبالنسبة لجماهيرهم ، وأن المعارضة الواسعة عبارة عن فقاعات وبالونات لا اكثر ، ولكنه سلام الله عليه لم يستطع ادراك ا لامر بعد ان ارسل للحسين عليه السلام بأن أقدم الى الكوفة ..

وبيت القصيد هنا : على الجماهير ان لا تستعرض أمام قادتها بشكل مبالغ فيه ومغاير للحقيقة وعلى الحلقة الوسطية ايضاً ان تحسن التقدير وترفع الموقف الحقيقي والواقعي للقائد .. لأن ذلك سيكون المادة التي يتخذ على أساسها القائد قراراته ومواقفه .. وهذا درس ينبغي تعلمه في حياتنا حرصاً على قادتنا ورسالتنا وسائر اهدافنا وطوحاتنا ..

هذا حسب الظاهر واما العامل الغيبي فانها مشيئة اللّه تعالى : شاء اللّه أن يراني قتيلا ً وشاء اللّه أن يراهنّ سبايا .

سفارة مسلم بن عقيل

تشكّل سفارة مسلم بن عقيل رضوان اللّه عليه فصلا ً مهماً من فصول واقعة كربلاء من الناحية التاريخية ، لأنها توضّح تفاصيل دقيقة ونافعة في معرفة مقدمات وإرهاصات قيام الإمام الحسين عليه السلام ، وكذلك تفاصيل وأسباب حصول الفاجعة ووقوع مأساة عاشوراء ..

اما ما يخصّ مقدمات كربلاء ، فإنها توضّح الإجراءات والتدابير اللازمة من الناحية الإدارية والسياسية والعسكرية وحتى الشرعية المتخذة من قبل الإمام الحسين عليه السلام - من الناحية الظاهرية - قبل أن يخطو الخطى بإتجاه كربلاء ، وتبيّن لنا هذه

السفارة ان الإمام عليه السلام كانت وجهته الكوفة وليس كربلاء ، اي وجهته قيادة ولاية الكوفة وليس قيادة معركة كربلاء .. !! و الفرق كبير وجوهري ..

فلم يسير الإمام عليه السلام الى العراق إلا ّ بعد أن أكّد له مسلم بن عقيل بأن آلاف الكتب التي وردته من جماهير وأعيان الكوفة تمثّل الرغبة الحقيقية لأهل الكوفة وتعكس واقع حال المدينة ، بل الأمر أكثر من ذلك فإن البيعة تمّت لمسلم بن عقيل بالنيابة عن الإ مام الحسين عليه السلام ، وكان عدد الذين بايعوه اثني عشر ألفاً وفق أقلّ عدد ذكره المؤرخون ، فالإمام أقبل الى الكوفة وقد تمّ حسم أمرها الاجتماعي والديني والسياسي له وهذا ما ثبّته مسلم في رسالته الى الإمام عليه السلام : (أما بعد ، فإن الرائد لا يكذب أهله ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فعجّل الاقبال حين يأتيك كتابي هذا ، فإن الناس كلهم معك ، ليس لهم في ال معاوية رأي ولا هوى ، والسلام) تاريخ الطبري ٣ : ٢٩٠

فهذا الأمر غاية في الأهمية ويجيب عن كثير من الاسئلة والإ ستفهامات والإستغرابات حول أسباب توجّه إلإمام عليه السلام بدون عدّة وعدد لازمين للمعركة ..!! وكيف يلقي بيده الى التهلكة ، وكيف يأتي بأهل بيته وبالنساء والأطفال معه ..!!

وسفارة مسلم بن عقيل تسفر لنا ايضاً عن طبيعة المجتمع الكوفي وقتئذ وتعطي تفاصيل عن تركيبته الإجتماعية وتحلّل لنا شخصيته من الناحية النفسية ، الفردية والجماعية .. ولقد توصّل الباحثون من قراءة تاريخ سفارة مسلم ابن عقيل عليه السلام إلى معرفة العديد من صفات وأخلاقيات ذلك المجتمع ، كصفة التخاذل الذي دأب عليه أهل الكوفة ، والشلل الذي أصاب العقل الجمعي لهم ، وتعدد الأهواء والانتماءات ، والتأثر بالإشاعات ، وحب المال والميل الى العافية ، وعدم وجود قائد يجمع أمرهم ويوحدّ إرادتهم وطاقاتهم .. فآلاف الرسائل التي أرسلت الى الامام دليل عدم وجود قائد او قادة تمثلهم - .

الكوفة كحاضرة مدنية شكّلتها السياسة والحروب ابتداءً من

اتخاذها معسكراً من قبل سعد ابن ابي وقاص بعد معركة القادسية في ١٧ هج ايام خلافة عمر ابن الخطاب ، مروراً باتخاذها أمير المؤمنين عاصمةً للخلافة الإسلامية سنة ٣٦ هج ، وحتى رضوخها تحت حكم ال اميّة .. هذا التأسيس السياسي ، وتعاقب السياسات والإدارات المختلفة عليها أدى إلى تنوّع الولاءات وإختلاف الإ نتماءات .. وبالتالي انعكس هذا على خلق ازدواجية اجتماعية خطيرة ، منها ماهو معروف ومشهور ، من أمثال قول الفرزدق للإ مام (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) ، او وصف المختار عندما سأله عنهم عبد الله بن الزبير (لسلطانهم في العلانية أولياء وفي السر أعداء) .. ! ومنها ما نريد التركيز عليه هنا وهو فيما يخصّ القضية الحسينية .. فقبل ان يخذلوا مسلم بن عقيل كانت نسبة كبيرة منهم تُعدّ من شيعة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلا م ، فهم بأنفسهم يراسلون الإمام عليه السلام برسائل تبدأ بقول (للحسين بن علي أمير المؤمنين ع ، من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين ..) .. ، أمّا بعد تخاذلهم فأصبحوا كما ناداهم ابو عبدالله عليه السلام (ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان ..) .. !!

والغريب أنهم بعد الواقعة وبعد أن ألقى الإمام زين العابدين خطبته في الكوفة قاموا يبكون ويندبون وبأصوات مرتفعة كما تصفهم الرواية التاريخية وبدأوا يعطون للامام مواثيق النصرة ..!! الا ان الامام السجاد ع أجابهم (هيهات هيهات ، أيّها الغدرة المكرة ، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم ، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى أبي من قبل ؟! كلّا وربّ الراقصات ..) ، فالكوفة قتلت ا لإمام عليه السلام وقبله مسلم ابن عقيل رضوان الله عليه بتخاذلهم قبل سيوفهم .. !

وقد يقول قائل أن سفارة مسلم ابن عقيل لم تكتشف جديداً في أخلاق وصفات أهل الكوفة وإنما جلّ ما قدّمته للتاريخ هو أنها أكدت تلك الصفات السيئة التي طالما اكتوى بها أهل البيت عليهم السلام بنارها ، سواءً مع أمير المؤمنين أو مع الإمام الحسن عليهما السلام ..!! وقد أخبر الإمام الحسين عليه السلام من حاول ثنيه عن الذهاب الى الكوفة باعتبارهم أهل غدر وخيانة .. فلماذا لم

يتعامل الامام مع ذلك بجدية وحذر ..؟!

والجواب بإختصار نضعه في مستويين :

الأول : أن الكوفة كانت في أيام أمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام مصابة بمرض الشك وعدم القدرة على التمييز بين الحق والباطل وهل هو مع ال علي ام مع معاوية وال ابي سفيان ..!! اما بعد ذلك فقد توضح لهم الحق مع مَن وعرفوا ا لأمويين على حقيقتهم وندموا على غدرهم وفعلهم مع أهل البيت عليهم السلام .. ولكن كانت تنقصهم الإرادة وكان مرضهم الشلل العام في جسدهم كمجتمع في تفصيل ليس هنا محله ..

الثاني : لا ننسى أن قضية الامام عليه السلام الرئيسية هي ليس ا لإمرة على الكوفة ولا مقاتلة يزيد وإنما المسألة الأساسية عنده صلوات الله عليه هو عدم مبايعة يزيد والصمود في جبهة المعارضة وعدم اضفاء اي درجة من درجات الشرعية على خلافته ، وكان يعلم الإمام ان دمه سيكون ثمناً لهذه الممانعة ، وما عليه الآ ن ان يختار أفضل سيناريو استشهاد وأعظم عملية قتل تطاله بدلا ً من قتله بدم بارد او شهادة ليس لها أثر على واقع الحال .. فكان مخيّراً بين السلّة والذلّة كما هو صرّح بذلك عليه السلام ، ووفق هذا المعطى فإن اختيار الكوفة كان يوفر للامام أحد احتمالين ، احتمال تخليهم عن صفة الغدر ولو لمرة واحدة خاصة وان كتبهم ووفودهم وسفارة ابن عقيل اعطت لهذا الاحتمال نسبة قوية ، والاحتمال الآخر هو القتل في سبيل الله الذي يعقبه فتحاً كبيرا .. فتأمل

الحزن والمواساة في الإسلام

قال تعالى (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) يوسف ٨٦

هذه الآية المباركة من سورة يوسف تتحدث عن حزن نبي الله يعقوب على فراق ولده يوسف النبي عليهما السلام ، والحزن حسب معاجم اللغة هو : خلاف الفرح ، وهو حالة من الغمّ والكآبة الباطنية ، ويُترجِم عنه الظّاهر في الغالب ..

وقابلية الحزن مما فُطر عليه الإنسان ، وأسبابه عديدة بتعدد إهتمامات الشخص وطبيعة شخصيته ..

وللحزن مراحل ، وحسب نموذج كيوبلر روس أو ما يعرف بـ (مراحل الحزن الخمس) وهو نموذج يتضمن خمس مراحل تصف الطريقة التي يتعامل بها الأفراد مع الحزن الكارثي ، مثل الموت أو الفراق وغيرها من المصائب . قدمته الطبيبة النفسية السويدية (إليزابيث كيوبلر روس) لأول مرة في عام 1969.

1- الإنكار – هنا يبدأ الشخص في إنكار الكارثة ويحاول إيهام نفسه أنها غير حقيقة أو لن تؤثر عليها : "أنا بخير" "هذا لم يحدث" "كل شيء على ما يرام" .

2- الغضب – في المرحلة الثانية يبدأ الإنسان في الغضب ومحاولة إلقاء اللوم والغضب على شيء ما ويكون الغضب عارم وحساس : " لم أنا ؟ " " كيف يحدث لي هذا ؟ " "من الملام على هذا ؟ " .

3- المساومة – بعد مرحلة الغضب تبدأ مرحلة المساومة أو التمني وفيها يستعد الشخص لتقديم تنازلات حتى يعود ما فقده : " دعني أراه مرة أخرى" "سوف أفعل أي شيء ليعود مرة أخرى" .

4- الاكتئاب – المرحلة الرابعة هي مرحلة الوصول لحقيقة أن الأ

أمر أصبح واقعا فيقع الشخص في حزن عميق : "أنا حزين" "سأموت على أية حال" "ما الفائدة من هذه الحياة ؟ " .

5- التقبل – هنا يبدأ الشخص في الوعي بحقيقة الحياة وأنها تستمر على أية حال ومهما كان الحزن كبيراً فسينتهي : "سأكمل الطريق" "لا فائدة من مقاومة الأمر" "ما حدث قد حدث" .

وهذا النموذج – بحسب بعض الانتقادات – يعتبر إرشادياً وليس بالضرورة أن يمر الشخص بجميع تلك المراحل ، إلا أنه يعطي صورة إجمالية حول الموضوع ..

ومما يعالج به الحزن هو العلاج بالعزاء ، والعزاء لغة : هو المواساة ، والمواساة : ما يخفف الحزن ويزيد صاحبه تصبّرا ، ولهذا :

** تارة يكون الإنسان الحزين هو من يقوم بالعزاء ليخفف عن حزن نفسه .. كأن يبكي أو يشكو لغيره همومه أو يتذكر مصائب غيره ويتأسى بها .. الخ

** أو يأتيه العزاء (المواساة) من غيره .. فيبكون معه ويشاركونه حزنه أو يذكرون له بما يزيد من تصبره وتجلده .. الخ

وكلا العزائين (الذي يقوم به الشخص لنفسه أو لغيره) تارة يكون خاضعاً للضوابط العقلائية الإسلامية وأخرى يخرج عن سيطرتهما ونطاقهما ..

فمن العزاء الإسلامي الشخصي مثلا : أن تكون شكوى المسلم لله تعالى ويطلب منه أن يرفع أو يخفف عنه الحزن والهم والغم (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُون) ..

ومن العزاء الإسلامي الشخصي ايضا هو الصبر الجميل الخالي من

الجزع والإعتراض على الله (معاذ الله) وإحتسابه قربة الى الله تعالى وتذكر مصائب الانبياء والأوصياء واهل البيت ع وتذكير النفس ما للصابر من اجر عظيم وأن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد وأن الصبر مفتاح الفرج .. الخ (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) ..

أما العزاء الإسلامي الذي يقوم به الغير للحزين فمنه مثلا : تذكير ا لآخر بأن الله قريب من عبده المؤمن المظلوم والمكسور القلب (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) ، أو يعرض المواسي على الحزين المساعدة بما يخفف من همه (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِين) ..

ولكن هنالك عزاء ثالث لكل مسلم ولكل مؤمن حزين ومهموم ، و المعزي فيه هو الله سبحانه وتعالى ، وهذا العزاء نجده في القرآن الكريم ومبثوث في آياته ، وعلى كل مؤمن محزون أن يتذكر أو يقرأ هذه الآيات ليخفف عن همه وحزنه مع ملاحظة أن أكثر الآ يات نزلت بحق الرسول صلى الله عليه وآله او ممن عاصر نزول الوحي من المؤمنين ولكن لا شك أن قاعدة الجري والتطبيق جارية وأن المورد لا يخصص الوارد ثابته .. ومن هذه الآ يات نذكر :

** عزاء الله لمن يخسر معركة وهو على حق : (لا تهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) ..

** عزاء الله لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر : (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ

مِمَّا يَمْكُرُونَ) .. َ

** وأعطى الله بشارة للصابرين بأن الله معهم (إن الله مع الصابرين) ..

وغيرها عشرات الآيات ..

أذن بهكذا أسس قرآنية وعلمية نفسية ينبغي أن ندير ونتعامل مع الحزن على ابي عبدالله الحسين عليه السلام ، فهو من جهة يعتبر مواساة لأهل بيت العصمة ، ومن جهة أخرى مواساة لأنفسنا ولبعضنا البعض ..

الشهيد الفاتح

● الخبر : روى محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الرسائل ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن أيوب بن نوح ، عن صفوان ، عن مروان ابن إسماعيل ، عن حمزة بن حمران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ذكرنا خروج الحسين عليه السلام وتخلف ابن الحنفية فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا حمزة إني سأخبرك بحديث لا تسأل عنه بعد مجلسك هذا ، إن الحسين لما فصل متوجهاً ، دعا بقرطاس وكتب فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى بني هاشم أما بعد : فإنه من لحق بي منكم أستشهد ، ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام " .

(المجلسي / بحار الأنوار / ج٤٤ ، ص ٣٣٠)

● أهمّية الكلمة : هذه الكلمة من غرر كلمات ورسائل الإمام الحسين ع ومن أعلاها أهمية بين مستندات ونصوص كربلاء ، ولأ سباب :

١. انها من الرسائل الخاصة والموجهة الى بني هاشم ، ولهذا فإن محددات التقية السياسية او التقية الفكرية مرتفعة هنا بقدرٍ كبير نسبة الى غيرها من الكلمات التي أطلقها الإمام الحسين ع والتي راعى فيها حال المُخاطب واعتبارات أخرى ، وبحسب تعبير السيد المقرّم (وإنما لم يصارح بما عنده من العلم لكل من رغب في إعراضه عن السفر الى الكوفة لعلمه بأن الحقائق لا تفاض لأي متطلب بعد اختلاف الأوعية سعة وضيقاً وتباين المرامي قرباً وبُعدا ، فلذلك عليه السلام يجيب كل احد بما يسعه ظرفه وتتحمله معرفته وعقليته .. } مقتل الحسين للمقرم ٦٥_٦٦ ، علاوةً على حرص الإمام عليه السلام على كتابتها ولم يكتف بالتحدث بها سلام الله عليه ، فهي من هذه الناحية كلمة مهمة عند الإمام ع قبل ان تكون مهمة عند غيره .

٢. مضمونها المُلفت للنظر والتفكر ، فمن جهة فيها إخبار صريح بشهادة من لحق به عليه السلام ، ومن جهة أخرى الإخبار بحصول نتيجة عاليه ونصر سامي للذي لحق به .. وهو مما يبدو غريباً للوهلة الأولى ..!

٣. كما ترى أنها رواية مروية عن الإمام الصادق عليه السلام ولم تكن من النصوص التاريخية التي في العادة لا يُهتم بناقلها او بضبط كلماتها وتفهّم معانيها بمثل ما هو معمول به في علم الرواية والدراية .. فأهميتها تأتي من رصانة متنها ووثاقة رواتها وعلى رأسهم الامام الصادق ع .

٤. انها فصلت الجدال في مسألة مهمة من تاريخ الطف ، وهي مسألة التخلّف عن ركب الحسين عليه السلام والإلتحاق به لأي سبب كان .. فمن تخلّف عن ركب كربلاء ولم يستشهد بين يدي ابي عبد الله قد فاته الفتح الخاص بكربلاء ..

٥. الحديث مهمّ عند الإمام الصادق ع ايضاً ، وهذا ما نستشفه من قولته عليه السلام لحمزة بن حمران : يا حمزة إني سأخبرك بحديث لا تسأل عنه بعد مجلسك هذا ، إن الحسين .. ، وتشعر بأن هذا الحديث يجيب على كثير من الاسئلة ويحل الكثير من الإشكا لات ..

• منطق جديد في كربلاء : ثم أننا نفهم من رسالة الإمام الحسين عليه السلام هذه لبني هاشم أنه عليه السلام في طور رسم منطق جديد لمعارك الإسلام وتأسيس جديد لنتائجها ، وهو منطق الشهيد الفاتح ، والمقتول الغالب .. وقلنا منطق جديد لأن المنطق المعروف في الإسلام هو منطق (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) النساء ٧٤ ، ومنطق إحدى الحسنيين (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) التوبة ٥٢ . أما كلتا الحسنيين (الشهادة والفتح) فهذا من فتوحات كربلاء ..!! فتأمل .

• صحبة كربلاء شرط منطقها الجديد هذا : وبحسب الظاهر أن هذا المنطق الكربلائي الخاصّ يعتمد بشكل رئيس على نوع خاص من الصحبة ايضاً ، وخير ما وصف هذه الصحبة هو ابو عبد الله الحسين ع بقوله : (فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا ..) الإرشاد / الشيخ المفيد / ج٢ ص٩١

بل شهد لهذه الصحبة اعدائها ، فوصف رجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد عن مواقف أصحاب الحسين (ع) في ذلك اليوم

فقال : (ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كأسود ضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالا ً وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ج 3 ص 267

وقول كعب بن جابر قاتل الشهيد برير بن خضير الهمداني ، فإنه لما رجع إلى بيته عتبت عليه امرأته بقولها : أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد أتيت عظيماً من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبدا ، فقال لها من ضمن أبيات يصف الصولات البطولية لأصحاب الحسين :

ولمْ ترَ عيني مثلهمْ في زمـــــانهمْ *** ولا قبلهم في النـــاس إذ أنا يافعُ

أشدّ قراعاً بالسيــــوفِ لدى الوغى *** ألا كلُّ من يـحمي الذمارَ مقارعُ

وقد صبروا للضربِ والطعنِ حُسّراً *** وقد نــــــازلوا لو أن ذلكَ نافعُ

مقتل الحسين / عبد الرزاق المقرم ص 286

- مفهوم جديد للشهادة : فإذن نحن في ظلّ هذا المنطق الجديد نكون أمام مفهوم جديد للشهادة ايضا ..! فطالما قرأنا الشهادة من جانبها الفردي الأخروي ، وطالما حصرناها في هذا الجانب وضيّقنا عليها أيّما تضييق - رغم أهميته - ، فنهتم بدرجة الشهادة عند الله ، وفضلها في الإسلام ، والمنازل التي سيرقى لها الشهيد في الجنّة .. أمّا أن نتحدث عن الانعكاسات الاجتماعية و الرسالية للشهادة والإنتصارات التي حققها الشهيد بشهادته فهذا ما لم نؤكد عليه في العادة ، وإن ذكرناه فعلى نحو الشعار أوالندبة أو المبالغة في الإفتخار ، لا على نحو الحقيقة والواقع ..

ولهذا نجد ان القرآن الكريم ينهى عن التفكير بالشهادة ضمن عالم الأموات ، ويأمرنا بالتعامل معها تعاملنا مع الحياة (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) البقرة ١٥٤ ، وقال تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ال عمران ١٦٩ .

نعم .. تختلف شهادة عن شهادة بمستوى ما تتركه خلفها من نتائج وثمرات ، فبعضها لا يكاد يُرى لها نصراً - وإن لم تخلو ما دامت شهادة - وبعضها الآخر تترك بعدها فتحاً وأي فتح ..!!

وبحسب ما نفهمه من ظاهر مجموع عدد من النصوص ان شهادة كربلاء خاصة ، وأصبحت درجة يُقاس بها غيرها ، كدرجة شهداء بدر مثلا ..

- معنى مغاير للفتح : ولكن للشيخ المجلسي (طاب ثراه) معنى مغاير للفظ الفتح الوارد في رسالة الإمام الحسين عليه السلام ، فهو يفهم هنا من هذا اللفظ الفتح المذموم في الدنيا والذي يتأمله المتخلف عن ركب الإمام الحسين ع ، فجاء البيان والتنبؤ الحسيني بأن من يتخلف سوف لا يحصل على ما تخلف من أجله .. فبعد ان ذكر العلامة المجلسي الخبر الذي فيه كلمة الامام ع ، علّق بدوره على الخبر بقوله : { بيان : قوله عليه السلام : " لم يبلغ الفتح " أي لم يبلغ ما يتمناه من فتوح الدنيا والتمتع بها ، وظاهر هذا الجواب ذمه .. } البحار ج٤٢ ص٨١

ونعتقد أن هذا المعنى يهبط في معنى ومستوى الوصية كثيراً ، ونستبعده شخصياً من خلال :

١. لم يذكر لنا التاريخ ان هنالك جوائز وعوائد كانت تنتظر من لم يلتحق بكربلاء الى الدرجة التي يمكن ان نصفها بالفتح ..!! جل ما يمكن ان يحصل عليه المتخلف هو البقاء على قيد الحياة لبضعة

ايام او سنوات تحت حكم وطغيان ال أمية ..

٢. تتبع استعمالات لفظ الفتح ، في القرآن الكريم خاصة ، لا يساعد على تقريب معنى مذموم وواطىء له ، فعادة ما تستعمل هذه الكلمة في الانجازات والثمرات العظيمة والحقيقية .. كما سنشير الى ذلك في نهاية المقال ..

٣. المعنى الذي اخترناه هو مطابق للنتيجتين اللتين أشارت لهما ا لآية المباركة (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) التوبة ٥٢ ، اي اما النصر واما القتل في سبيل الله ، كل ما هنالك ان كربلاء تقدمت خطوة على المعارك الإسلامية المعتادة واستثناها الله بخصوصية جمع الحسنيين ..

٤. هنالك معنى جامع للعبارة بين الرأي الذي نرجّحه ورأي الشيخ المجلسي رضوان الله عليه ، فيمكن ان نفهم عبارة (لم يبلغ مبلغ الفتح) هو أن المتخلف سوف لن ينال شيئاً من الفتوحات الوهمية يرقى الى مستوى الفتح الذي سيناله الملتحق به والمستشهد معه في كربلاء .. فيبقى الفتح هنا خاصّاً بنتائج كربلاء ..

٥. هنالك معنى آخر يمكن ان نقبله تنزلا ً ، نحفظ به المعنى الإ يجابي والحقيقي للفتح مع امكان نسبته الى كل من الملتحقين و المتخلفين ، وهنا نحتاج الى ان نفهم عبارة الإمام بأنها : من لم يلتحق لا يتوقع انه ستأتي اليه فرصة اخرى بعمل او جهاد يحصل من خلالها على الفتح الذي سيناله الملتحق بكربلاء .. كما فعل التوابون مثلا بقيادة سليمان بن صرد ..

- ختامها في معنى الفتح : يبقى لنا أن نختم بتوضيح لمعنى

الفتح - بمعناه الإيجابي - ، وهو بحسب ما نرجّحه هنا أن المقصود بالفتح : الذي هو أعلى وأكبر وأوسع من النصر ، يقول العلامة مصطفوي : وقد يكون النصر من مقدمات الفتح في مرتبة الإيجاد لا البقاء كما في (اذا جاء نصر الله والفتح) ١١٠ / ١ ، (نصر من الله وفتح قريب) ٦١ / ١٣ - التحقيق في كلمات القرآن الكريم (مادة فتح) -

فالنصر مؤقت وقد لا يكون دائميا ، وقد يكون في جولة من جولا ت المعركة ولا يحسم كامل النتيجة ، والنصر قد يكون في جانب معين من المواجهة ولا يشمل جوانب أخرى ، والنصر قد لا يؤدي الى فتح وإنما يكتفي بالغلبة على العدو ، والنصر قد لا تتحقق منه الأهداف كلها او بعضها .. بينما الفتح يشمل اكثر جوانب وجهات المواجهة ويختطف النتيجة النهائية للمقابَلة ، ويحقق أغراضها وأهدافها (الدنيوية والاخروية) التي قامت من أجلها ، قال تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا) من سورة الفتح ..

وأهم ما الفتح الحقيقي وعلى رأسه فتح كربلاء هو الديمومة ، الفتح الذي لا إغلاق فيه .. هذه بعض معاني الفتح في كربلاء ، فهو فتح عزيز وفريد ، مفتاحه كانت الشهادة بين يدي الحسين ع في كربلاء ..

ولنعلم ايضاً أن مظلومية كربلاء معركة مستمرة بذاتها على الظالمين ، والدم الذي ازكى رمال الطف يغلي ويفور على مدى الأ يام والدهور ، فكربلاء فتحت باب الحرب على كل ظالم ، انتصاراتها غير متوقفة ، وفتوحاتها ليست منتهية ..ما عليك سوى إحياءها احياءاً واعياً وسترى عندها كأنك أحد أبطالها ..

يقول الباحث التوراتي والمستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن : " لقد افتتح استشهاد الحسين عصراً جديداً لدى المسلمين " .

عاشوراء ، وعيٌ وإصلاح

(قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يوسف ١٠٨

لمن يدقق في أوراق كربلاء ويطّلع على أسسها ومنطلقاتها وأهدافها .. سيجد أنها واقعة بين حقيقتين ، حقيقة انطلقت منها وغذّت أفكارها وشحذت همّتها وعزيمتها وأعطت شرعيتها ، هي سماء وسموّ القضية الحسينية ، وهذه متمثلة ب (الوعي) ، وعي المهمّة ووعي المسؤولية ووعي الزمان والظروف المحيطة .. وحقيقة أخرى اتجهت كربلاء نحوها وسارت إليها وخططت من أجل الوصول لها وبذلت دماً في سبيلها ، تتمثل ب (الإصلاح) ، الإصلاح الحقيقي والشامل لكل الجوانب التي تتشكل منها شخصية الإمّة الإسلامية ، وهذه الحقيقة هي أرض القضية وواقعها الخارجي ..

ولا ينفصل (وعي) كربلاء عن (إصلاحها) وعلى طول خط مسيرتها ، بل يتحدان الى الدرجة التي يمكننا التعبير : بأن إصلاح كربلاء عبارة عن عملية صناعة وعي عالٍ في الأمّة .. الأمّة التي أصيبت في أدق مدركات وعيها ومُدخلات فهمها ومقوّمات نهضتها المعرفية ابتداءً من صدمة وإنقلاب السقيفة وصولا ً الى أن تبتلى براعٍ مثل يزيد ..!! وما مُلأت بينهما من تشويه حقائق وإخلال موازين وإعماء بصائر وإغماء عقول ..

احتاجت كربلاء في قيامها الى ثلاثة مرتكزات ينبغي ان تتوفر عند الملتحق بها ، بحيث تعتبر هذه المرتكزات علامة الوعي اللازم لها والمُنتج لإصلاحها المطلوب وهي : (عقل واعٍ ، وقلب سليم راسخ في الإيمان ، وإرادة قوية) وأن أي نقص بأحدهما سيكون سبباً لحرمان صاحبه من هوية كربلاء وعنوان الطف الخالد ، هذا

المثلث كان مدار النجاح والفشل ، وعليه رهان إدراك الفتح الخاص بقيام ابي عبد الله عليه السلام ، هذا المثلث الذي تجسّد في أبي الفضل العباس ع صاحب لواء كربلاء ، يصفه الإمام الصادق ع : « كان عمي العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان » ، وأما إرادته فشاهدها شهادته ..!!

ولهذا نجد ان المعسكر المقابل يتكون من مثلثات ناقصة لضلع أو أكثر من اضلاعها الثلاث أعلاه ، فمنهم مَن لا يعي الكلام ولا يفقه الخطاب ، الى الحدّ الذي عبّروا به عن أنفسهم بعد خطاب الإمام الحسين ع لهم : (لا نفقه ما تقول ، انزل على حكم ابن عمك) ، ومنهم مَن يعي المسألة ولكن قلبه مال الى الدنيا وتعلّق بهواه ، ولعل عمر بن سعد على رأس هؤلاء وهو خير من عبّر عن هذا الفشل وهذا النقص الذي بداخله :

فوالله ما أدري وإنّي لحائر   أفكّر في أمري على خطرين

أأترك ملك الرّي والرّي مُنيتي   أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

حسين ابن عمّي والحوادث جمّة   لعمري ولي في الرّي قرّة عين

ومنهم من أعمى الله بصيرته وأمات قلبه ، فأصبح كالحجارة أو اشدّ قسوة .. كالشمر بن ذي الجوشن الذي وصفه حبيب بن مظاهر رضوان الله عليه مخاطباً اياه (وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول - اي الحسين ع - ، قد طبع الله على قلبك) ، ومنهم من يعي المسألة بعقله ، ويميل الى الحق بقلبه ، ولكن إرادته ضعيفة وعزيمته منهارة الى الدرجة التي شهر بها سيفه على ابي عبد الله

ع ، وهذا السواد الأكبر الذي ابتلى به الحسين ع للأسف الشديد ، وخير من وصف اهل الكوفة في ذلك الفرزدق حينما لاقى الإمام في الطريق وسأله عليه السلام عن حال الكوفة وأجابه (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) ..

ولا بد من الإنتباه الى أننا في كربلاء أمام حركة وعي وإصلاح أمّة ، وليس مجرد وعي وإصلاح على المستوى الفردي والشخصي .. مما يعني ان الأمر أكبر وأدق وأخطر ، ولا نقصد بوعي وإصلاح الأ مة ما يرتبط بتكاثر الأفراد وتعدد الجماعات ، بل نقصد ما يكون حجمه وعمقه وإنتاجه على مستوى أمّة وإن كان صاحب الوعي و الاصلاح فردا (ان ابراهيم كان أمة) النحل ١٢٠ ، فليس الأمر ب الكمّ ، وإنما بالكيف والنوع ..

كان الإمام الحسين ع حريصاً في الحفاظ على وعي الثورة وهدفها الإصلاحي ، ونراه ما انفتل عن تغذية هذين الركنين الرئيسين وتأصيلهما عند أهل بيته وصحبه ومن لاقاه وتحاور معه وحتى من واجههُ في طف كربلاء من خلال ايجاد وإكمال هذه المرتكزات الثلاثة ، فقد رفع من وعي كربلاء الى درجات سامية ، وهذا ما نجده منعكساً بجلاء وصفاء عند أصحابه وأهل بيته ، فكانوا على دراية كاملة من قضيتهم وعلى استعداد تام لإكمال المهمة وعلى أحسن وجه ، فتارةً يرفع من معرفتهم ، وتارة أخرى من إيمانهم بقضيتهم ثم من عزيمتهم ، وتارة يختبرهم ويستنبأ ما طوت عليه نفوسهم ليزيد بذلك أجرهم ويرفع من مستوى تضحيتهم ..

يسأل الإمام ابن أخيه القاسم ع سؤالا ً لا يسأله في العادة والد لولده ، ولا حتى القائد لجنوده ، فيقول له : كيف ترى الموت ..! فيأتيه الجواب : فيك أحلى من العسل ..!! ، بأي لغة يتكلم هذا الفتى ابن ثلاث عشر سنة ، وعن أي إيمان وفقاهة ومسؤولية

ينطق ..!!

والأهم ما في هذا الموضوع الآن هو علينا أن لا نفصل كربلاء عن عنصري (الوعي) و (الإصلاح) ونحن نقوم بإحياء أمرها وإذكاء جذوتها وتعظيم شعائرها ، ومن يفعل ذلك فهو يقوم بجرم تجريدها عن هويتها من حيث يدري او لا يدري ، فلا نركز على مظاهر العزاء - مثلا ً - على حساب المضمون ، أو نركز على العاطفة ويكون على حساب البعد الفكري والعمق المعرفي للقضية الحسينية ، ليكن اهتمامنا في تأريخ كربلاء من أجل الإهتمام بـ الحاضر والعمل له ، اهتمام تجسيد لا مجرد تمجيد .. يقول الا ستاذ انطوان بارا وهو مسيحي وصاحب كتاب (الحسين في الفكر المسيحي) : أنتم الشيعة والمسلمون لم تعرفوا قدر الحسين ، فالمفترض أن تكون لديكم أمانة تامة بتوصيل صيحته يوم عاشوراء الى العالم ، وهذه الأمانة تستدعي التعمق بأركان وروحية حركته الثورية وعدم الاكتفاء بالسردية والمظهر الخارجي للواقعة - نقلا ً عن كتاب سلوا حسيناً ص٣٨ -

إحياء كربلاء يكون في إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع ، وفي رفض الظلم ونشر الوعي ، والمشاركة في نشر الفضيلة ونبذ الرذيلة .. ان تكون كربلاء حاضرة في جميع تفاصيل حياتنا .. ولا ينحصر إحياء عاشوراء في محرّم وصفر ، وإنما هما مجرد محطة تزويد بالطاقة الحسينية ليستعان بها في سائر أيّام السنّة ، احياء القضية الحسينية في خارج ايام عاشوراء أهمّ من احياءها في تلك الأيام ، ونستطيع ان نقول ان صدق احياء عاشوراء ومقدار نجاحه يظهر فيما بعد عاشوراء .. فتأمل .

مقياس حب الحسين ع والتفاعل مع قضيته ينبغي ان يكون وفق هذه المعايير والمحدّدات ، الحب الحقيقي هو الذي يؤدي الى اتّباع المُحب لمن أحب ، قال تعالى { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }
ال عمران ٣١

فنحن اذن أمام مسؤولية جديدة إتجاه القضية الحسينية ، وواجبات غير معتادة من قبل عشّاق ابي عبد الله ومحيي شعائره ، وهي مسؤولية رفع وعي الأمة والعمل على إصلاحها ، وحجم الإ صلاح هذا متعلّق بحجم الوعي تعلق العلة بالمعلول ، لا تكفي النيّة الصادقة وحدها ، ولا الحبّ والعاطفة .. على ضرورتهما ، بدون وعي يتناسب وحجم المهمّة وإصلاح حقيقي على أرض الواقع ..

العراقيون ، ومسؤولية تصميم وسنّ الشعائر الحسينية

تتميز كلُّ شعيرةٍ من شعائر إحياء القضية الحسينية بشكلها وأسلوبها الخاص ، فهي من جهةٍ عبارة عن تراث ديني ، ومن جهةٍ أخرى تُعتبر فلكوراً شعبياً له تقاليده وعاداته وموروثاته المتراكمة والتي باتت بمرور الزمن قوانيناً صارمة لا يَسمح القائمون عليها بتجاوزها أو الإعتداء على حرمتها ..

والفلكور الشعبي - بحسب بعض التعريفات - يمثّل : (حكمة الشعب ومأثوراته) ، ويسمّى ايضاً ب (علم الشعوب) ، ولقد (تطوّرت وتقدّمت مناهج علم الفلكلور وإتسع مجال بحثه ليشمل مختلف أوجه النشاط الخلّاق للإنسان في بيئته وارتباطه بالثقافة الإنسانية ككل) .. راجع ويكيبيديا ، مادة - فلكور - .

فالشعائر الحسينية من هذا الجانب عبارة عن طقوسٍ وعادات فلكورية اختص بها مذهب التشيّع والمفجوعون بمصيبة ابي عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء ، يُظهرون من خلالها صوراً ومظاهراً متعددة تترجم الى الخارج مدى الألم والحزن الذي

يشعرون به على هذا المصاب الجلل ، ويؤدّون ايضاً عن طريقها التزامات شرعية وعقائدية ارتبطت وتعلقت بهذه القضية المباركة ..

وقد تخرج بعض هذه الشعائر في البدء وهي تحمل ثقافة بلدٍ معيّن او زمان محدّد في طريقة التعبير عن المشاعر المختلفة ، ولكنها بعد ذلك نراها تُصدّر الى أماكن أخرى وتخلّد لأ زمان طويلة .. وعملية التصدير هذه لبعض هذه الشعائر قد تواجه في أول الأمر رفضاً او انتقاداً بسبب تعارضها مع موروثات وأعراف بلدان أخرى فيما يخصّ التعبير عمّا ينطوي عليه داخل الإ نسان من احاسيس ومعتقدات.. لحين تقبّلها واستساغتها فيما بعد من قبلهم بنسبة معينة تكبر أو تصغر ..

ولم تكن المحافظة على هذه الشعائر وإستمرار إقامتها بالأمر الهيّن والسهل منذ استشهاد ابي عبد الله عليه السلام الى يومنا هذا ، فقد مرّت بفترات عصيبة دفع شيعة أهل البيت من أجلها أنفسهم وبذلوا في سبيل استمرارها الغالي والنفيس ، فحاربها الطغاة وناوءها المتسلطون ، تختفي لفترة بسبب التضييق وشنّ الحرب السياسية والعقائدية ضدها ، ثم تُستثمر بعض الظروف المؤاتية لأتباع أهل البيت ع ويُخرجونها الى العلن لفترة اخرى ايضا .. وهكذا ..

الى هنا الكلام واضح وسليم ، الا أننا بحاجة اليوم الى ان تكون هذه الشعائر تابعة في مظهرها ومضمونها الى الثقافة الدينية الإس لامية اكثر من تابعيتها لثقافات البلدان والجماعات المتعددة ، ان تكون معبّرة عن الإسلام أكثر من تعبيرها عن المسلمين على اختلا ف حضاراتهم وأعرافهم وثقافاتهم .. وبهذا سنتجاوز عدد من المحاذير ونقتطف عدد من الثمرات ، فنتجاوز المحاذير الشرعية التي قد تقترف ، ونضمن بها الثواب والأجر ، ونعكس على القضية الصبغة الإسلامية ، ونبتعد عن النشازات الاجتماعية لهذه المنطقة او تلك ، ونترّفع عن بعض الممارسات التي تهوّن من شأن القضية

أو تهينها ، وباعتبار أن الإسلام هو دين الإنسانية جمعاء ، يتناسب مع جميع الأذواق السليمة والثقافات الانسانية الفطرية والعقلائية ، عندها نكون قد صدّرنا كربلاء بلغة عالمية وثقافة إنسانية نوعية ..

فتصميم الشعائر الحسينية وفق ذوق الشريعة ، وتهذيب الشعائر الموجودة طبقاً لمحددات الإسلام العقائدية والفقهية والاخلاقية ، ورفض كل ما يتقاطع مع الدين حتى لو كانت شعيرة بأكملها .. كفيل برسم صورة جديدة لكربلاء ترفع من شأنها وتعظّم من أمرها وتضمن بقائها ونحصد من خلالها أعظم الأجر والثواب ..

والتراث الإسلامي ليس فقيراً من هذه الناحية ، فلقد أحصى العلّامة الأميني (صاحب الغدير) في كتابه (سيرتنا وسنّتنا) عشرين مجلساً أقامها النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام في حياته وقبل كربلاء بعشرات السنين ، منها (مأتم الميلاد - مآتم في بيت السيدة أم سلمة - مآتم في بيت السيدة عائشة - وفي بيت الإمام علي ع - وفي مجمع من الصحابة .. الخ) ، وكذلك المآتم التي أقامها أهل البيت عليهم السلام في مناسبات مختلفة وكلماتهم التي وصفت شكل احياء أمر الحسين ع والحزن عليه ، فنرى مثلا ً الإمام الرضا عليه السلام وهو يوصي الريان ابن شبيب ببعض أهم مظاهر وسنن الإحياء ، فيقول له :

" يَا ابْنَ شَبِيبٍ : إِنْ كُنْتَ بَاكِياً لِشَيْ ءٍ فَابْكِ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السّلام) ، فَإِنَّهُ ذُبِحَ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ ، وَ قُتِلَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا مَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ شَبِيهُونَ ، وَلَقَدْ بَكَتِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ لِقَتْلِهِ .

يَا ابْنَ شَبِيبٍ : إِنْ بَكَيْتَ عَلَى الْحُسَيْنِ (عليه السّلام) حَتَّى تَصِيرَ دُمُوعُكَ عَلَى خَدَّيْكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتَهُ ، صَغِيراً كَانَ أَوْ كَبِيراً ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيراً .

يَا ابْنَ شَبِيبٍ : إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَلَا ذَنْبَ عَلَيْكَ فَزُرِ الْحُسَيْنَ (عليه السّلام) .

يَا ابْنَ شَبِيبٍ : إِنْ سَرّكَ أَنْ تسكُنَ الغُرَفَ المَبْنِيّةَ فِي الجَنّةِ مَعَ النّبِيِّ وَآلِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِمْ فَالعَنْ قَتَلَةَ الحُسَيْنِ .

يَا ابْنَ شَبِيبٍ : إِنْ سَرّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الثّوَابِ مِثْلُ مَا لِمَن اسْتُشْهِدَ مَعَ الحُسَيْنِ فَقُلْ مَتَى مَا ذَكَرْتَهُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً .

يَا ابْنَ شَبِيبٍ : إِنْ سَرّكَ أَنْ تَكُونَ مَعَنَا فِي الدّرَجَاتِ العُلَى مِنَ الجِنَانِ فَاحْزَنْ لِحُزْنِنَا وَافْرَحْ لِفَرَحِنَا وَعَلَيْكَ بِوَلَايَتِنَا ، فَلَوْ أَنّ رَجُلًا أَحَبّ حَجَراً لَحَشَرَهُ اللهُ مَعَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ " وسائل الشيعة : 14 / 502

ولكون العراق عاصمة التشيّع ، وشيعتهُ - أعزّهم اللّه - يشعرون أنهم اصحاب قضية ومسؤولية اتجاه كربلاء ، وأن العالم كلّهُ ينظر الى شيعة العراق بعين القدوة والأسوة فيما يرتبط بشعائر الحسين عليه السلام وإظهار مظلوميته .. من ذلك يكون العراقيون أمام هذه المسؤولية العظيمة والمهمّة الجليلة ، فكربلاء هنا ، ومرقد ابي عبداللّه بيننا ، والحوزة هنا ، والمواكب والهيئات الحسينية تم لأ مدننا وطرقنا ، وعشاق الحسين عليه السلام يسرّون الصديق ويغيضون العدو بعددهم واستعدادهم .. كل هذه المقومات لو اجتمعت لخرجت بأقدّس وأفجع حلة للشعائر الحسينية المقدسة ..

لم يألوا جهداً فقهاؤنا وطلبة العلوم الدينية وكتّابنا الإسلاميين ومنابرنا من تبيين المسائل الفقهية والعقائدية والأخلاقية المتعلقة بشعائر ابي عبد اللّه ع .. لكن لا زال أمامنا الكثير من العمل في هذا الإتجاه ..

هذا الموضوع أصبحَ ملحّاً في عصر التطوّر التكنولوجي الذي نعيشه ، والذي ذابت فيه كل الحدود والمسافات الجغرافية و الزمانية وأصبح العالم كلّه يُعرض في شاشة مرئية ومسموعة لا

تتجاوز مساحتها مساحة الكف الواحدة ..!! وهذا يستوجب الدقّة في الكلام والحذر في الحركة تفوق عن السابق بآلاف المرات .. !

ملاك الشعيرة هو احياءها للقضية الحسينية ، سواء كان بإشاعة أجواء الحزن على ابي عبد الله او بنشر مظلوميته او في مشاركتها في تحقيق اهداف القضية الحسينية العليا .. وتضييق ذلك بشكل وأسلوب خاص ومحدد هو من الالتزام بما لا يلزم وتضييق على النفس .. الا ما خرج بنصّ ودليل ، كشعيرة الزيارة او الخطابة واقامة المآتم والبكاء على ابي عبد الله عليه السلام .. وكذلك يمكن استثمار مظاهر اسلامية عامة في إحياء قضية الإ مام عليه السلام ، كإطعام الطعام مثلا ً وإقامة مجالس الوعي وا لإرشاد .. وغيرها .

وأما ما عدا ما نُصّ عليه وليس فيها محاذير شرعية فينبغي ان تكون رسالتها الإسلامية واضحة وفلسفتها الدينية معروفة وأن لا تفهم خطأ من قبل الاخر وبالتالي يكون لها مردود عكسي وتنقض الغرض الذي أقيمت من أجله ، فلا مجال للاجتهادات الشخصية او تحكيم العاطفة بشكل يتجاوز عن كل تلك الخطوط التي أشرنا اليها ، فالإمام الحسين عليه السلام لكل البشرية وقضيته ينبغي أن تقرأها الإنسانية جمعاء ، احتكارها سبيل ضمورها وقوقعتها .. وهذا ما لا يريده الحسينيون أنفسهم ..

الكلام عن الشعائر متشعب ولا يمكن استيعابه في مقال الا أننا اردنا ان نشير إشارة خاطفة الى بعض ما يتعلق بها من أفكار .

عاشوراء التاريخ أفجع من عاشوراء الشعائر

لا تستغرب إن قلت لك أننا امام كربلائين أو عاشورائين ، ولنقل توجد عندنا صورتان لعاشوراء ، واقصد بالإثنينية هذه ما يتعلق با لإنطباع او النظرة المنعكسة عندنا ، اي كربلاء المُخيّلة والمشاعر المتولدة عنها في أنفسنا ..

إحدى هذه الصور هي الأكثر شيوعاً والأكثر تواجداً والأكبر استخداماً في إحياء عاشوراء ، وهي الصورة التي ترسمها لنا بعض شعائر الإمام الحسين عليه السلام ، وخاصة التي تتخذ من القصص الأسطورية والأشعار التخيلية والندبة التي تتحدث عن لسان الحال ، أو ما تنعكس عن الشعائر التي تمارس بها بعض الطقوس ذات الأذى الجسدي ، او الشعائر المتعلقة بدوائر التمثيل (التشابيه) والمعتمدة أحياناً على سيناريوهات تهويلية أُعدّت بنسبة كبيرة من وحي الخيال ومن أجل إدرار الدمعة وإحداث الحزن واللوعة عند المتلقي ..

وأما الصورة الأخرى هي التي يرسمها لنا التأريخ الصحيح و المُحقق لواقعة كربلاء والخالية من الزوائد الشعرية ومقالات لسان الحال ومن الدراما والتمثيل الذي يضطر الى قانون الغاية تبرر الوسيلة او قاعدة الأعمال بالنيّات ..

الصورة الأولى تعتمد على الروايات الضعيفة ، وتعتمد على اجتهادات شخصية وتصورات شعرية كما قلنا ، وتعتمد ايضاً على ذوق ورغبة المتلقي وطلب الجمهور ، وقد تكون صادرة عن جياش عاطفي او ردّ فعل عكسي معين يتعلق بقضية ابي عبد الله عليه السلام ، بينما الصورة الثانية لا علاقة لها الا بما يثبته النقل التاريخي وتؤيد متنه ومضمونه الخطوط العامة للعقل والشريعة ومحدداتهما ..

فالصورة الأولى تسمح لنا مثلا ً بأن نتقبل اعداد قتلى جيش عمر بن سعد يفوق الاثني عشر الف قتيلا ، بينما الصورة الثانية يمنعها المنطق من القول في ذلك ، والصورة الأولى تقبل أن عابس يتقدم الى القوم مجرّداً من السلاح ومن لامة الحرب الى الدرجة التي يُتهم بها بالجنون ويقول (حب الحسين أجنني) بينما الصورة الثانية يمنعها من قول ذلك التحقيق التاريخي والذي يجد

أن هذه العبارة غير موجودة في تواريخ كربلاء الا بعد النصف الثاني من القرن المنصرم (وهذه من إفادات الشيخ حسن الصفار في إحدى محاضرات محرم هذا العام ١٤٤٣) .. والأمثلة كثيرة وقائمة الفوارق تطول .. يقول الشهيد مطهري في كتابه الملحمة الحسينية (إننا وللأسف الشديد حرّفنا حادثة عاشوراء الف مرة ومرة أثناء عرضنا لها ونقل وقائعها ، حرّفناها لفظياً أي في الشكل والظاهر أثناء عرض أصل الحادثة ، مقدمات الحادثة ، متن الحادثة والحواشي المتعلقة بها . كما تناول التحريف تفسير الحادثة وتحليلها ، أي أن الحادثة مع الأسف قد تعرضت للتحريف اللفظي كماتعرضت للتحريف المعنوي) ..

بالنسبة لي لا أتّهم أصحاب الصورة الأولى بسوء النية وخبث القصد لا سامح الله ، لأنه يوجد لدينا ما يبرر عملهم ويرفع عنهم هكذا اتهامات سيئة ، فمنه ما ذكرناه من تبريرات ، كالعاطفة و التوسع في الخيال الشعري والإعتماد على روايات تاريخية ضعيفة ، بل أحياناً مزيفة وموضوعة ، ولعل أهم رواية مقتل موجودة هي في كتاب المقتل المنسوب الى ابي مخنف ، هذا الكتاب الذي ليس له أثر ولا عين إلا ما جاءنا عنه في تاريخ الطبري ، احتوى هذا المقتل على بعض المخالفات .. يقول فيه المحدّث النوري الطبرسي [من المؤسف أن أصل المقتل الذي لا إشكال في صحته مفقود ولا اثر له ، والمقتل المتوفر حالياً والمنسوب له يشتمل على جملة من الموضوعات المخالفة لإصول المذهب أقحمها الأعداء وا لأصحاب عن جهل تحقيقاً لغاياتٍ فاسدةٍ ولهذا فهو ساقط عن الا عتبار ولا يمكن الاعتماد عليه ولا يطمئن إلى مفرداته] ذكر هذا في كتابه اللؤلؤ والمرجان ص ١٥٠ ، وكتاب اللؤلؤ والمرجان أعدّ من قبل المحدث النوري لهذا الغرض كما يقول هو في مقدمته [كتب لي أحد العلماء من الهند يشكو من كثرة الأكاذيب التي يروّج لها قرّاء التعزية الحسينية في تلك البلاد وقد رجاني أن أعمل شيئاً بهذا الخصوص كأن أكتب كتاباً يساهم في منع استمرار الخطباء من الكذب على المنابر الحسينية] .

ومما يبرر عملهم ايضاً بعض الروايات التي تتحدث بعبارات تبيّن عظم المصيبة وفداحة الفاجعة وبالشكل الذي توحي به الى امكانية توقع وتصوّر أفجع مظلومية للمصاب وأبشع سيناريو ، من أمثال (لا يوم كيومك يا ابا عبد الله) ، وروايات الحث على التباكي والإبكاء ، وروايات الجزع على ابي عبد الله .. الخ

ولكن التبرير هذا لا يمنع من تهذيب شعائر الإمام الحسين عليه السلام من كل ما يرسم لنا صورة غير واقعية لمجريات الفاجعة ويعكس في نفوسنا نظرات غير دقيقة عن شخصيات أبطالها ، وبالتالي يولّد عندنا حزناً طارئاً يزول بزوال مسببه بعد الإطلاع على ما يخالفه ولا يتفق معه .. ما أريد أن أقوله هنا أمرين :

١. ينبغي أن لا نُحرَم من الصورة الحقيقية لفاجعة كربلاء وبالتالي تنعكس فينا صوراً غير حقيقية عن مجريات هذه الواقعة الاليمة وعن شخصيات قادتها وأبطالها ، فلا تحتاج شخصية القاسم بن إلإ مام الحسن عليه السلام الى ان نتصورها بشخصية ودور الشاب (العرّيس) في الطف ، ولا يحتاج يوم عاشوراء الى معجزة بحيث نضيف 50 ساعه الى ساعته لكي نجعله طويلا ً وثقيلا ً..!!

٢. إن كربلاء المُحققة ليست أقل حزناً أو فاجعةً من كربلاء الشعائر ، وأقصد هنا الشعائر التي لا تلتزم التحقيق التاريخي للقضية بالخصوص ، فالروايات الصحيحة الواردة في الواقعة من شأنها ان تصل بالسامع الى درجات عالية من الحزن والى حدّ الجزع .. ولقد شهدنا علماء كبار يتحدثون بهذه الروايات وبدون زوائد كلامية ولا حتى استعانة بأطوار الحزن والبكاء .. وبنفس الوقت يُحدثون ضجة من البكاء والأسى في المجلس بعد ان تخرج الكلمات منهم بحرقة ولوعة تختلط معها دموعهم الحارة ..

الحرية : من أهداف كربلاء العالمية

نقلَ أرباب المقاتل أن الإمام الحسين عليه السلام عندما أراد جيش عمر بن سعد ان يحول بينه وبين رحله ، كخطة لمحاصرته و الضغط عليه بعد أن رأوا بأسه ورباطة جأشه ، صاح عليه السلام بهم : { ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان ! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحرارا في دنياكم .. } (نقلها المجلسي في بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٥١) ..

وبرأيي ان هذه الكلمة تنقل أهداف ومطالب كربلاء من الإطار الإسلامي والديني الى العالمية والى الدائرة الإنسانية ككل ، فهي تقدّم كربلاء ببعدها الأممي وبأدق صورة وأبلغ تعبير ، فنفهم من عبارة (إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم) أنها خطاب الى كل أحرار العالم بغض النظر عن الدين و المعتقد ، ونفهم منه عليه السلام هنا أن رسالة كربلاء رسالة ذات أبعاد تشمل النوع الإنساني والفطرة البشرية والضمير الحيّ لكل بني آدم ومن دون محدّدات وانتماءات أخرى .. !!

وبنفس الوقت نفهم من هذه المقولة مدى الوحشية واللا إنسانية التي يتصف بها الجيش المقابل له عليه السلام والجهة التي يأتمر بها هذا الجيش ..!! وطبعاً أن ما قام به هذا الجيش من أعمال وجرائم في هذه المعركة تخرجه عن كل انتماء بشري على هذه الأرض مما يؤكد صدق الكلمة التي أطلقها ابو عبد الله عليه السلام .. ولقد تنبأ صلوات الله عليه بحال هؤلاء القوم وماذا سيفعلون به من أفعال لا تقوم بها الا الوحوش ، فمن خطبة له عليه السلام عندما عزم على المجيء الى العراق { .. مَا أوْلَهَنِي إلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إلَى يُوسُفَ ، وَخُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أنَا لَاقِيهِ ، كَأنِّي بِأوْصَالِي تَقطَعُهَا عُسْلَانُ الفَلَوَاتِ ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاءَ فَيَمْلَأنَّ مِنِّي أكْرَاشاً جُوفاً ، وَأجْرِبَةً سُغْباً لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالقَلَمِ .. } نزهة الناظر و تنبيه الخاطر : 86 (عسلان : ذئاب)

كونوا أحراراً اي لا تكونوا عبيداً لما يخرجكم عن إنسانيتكم وما

يبعدكم عن فطرتكم البشرية ، سواء كانت هذه العبودية عبودية ا لأنا والنفس .. ! أو عبودية الغير .. ! ، وإن اسوء ما في العبودية هو ان يتخلى الإنسان عن إنسانيته ويصبح ضحية لأهواء نفسه او لأحقاد ولعب غيره .. ! يقول أمير المؤمنين عليه السلام (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا) ميزان الحكمة ج١ ص٥٨٢

فلما رأى الإمام عليه السلام أن الدين لا يعمل عندهم ، وان الآخرة لا مكان لها في حياتهم ، وأنهم قد تخلوا عن التشريع .. حاول أن يطرق ابواب التكوين لديهم وما احتوت عليه خلقتهم ، فلعل شيء منها لم يُمسخ ولم يشوّه بعد ..!! وفعلا ً استطاع عليه السلام أن يغيّر حال وموقف عدد ممن التحق في أول الامر مع جبهة ال أمية ثم رزقه الله شرف النصرة ، كالأنصاريين : سعد بن الحارث وأخوه ابو الحتوف .. وغيرهما .

ومن هذه الفلسفة العميقة لكربلاء نتفهم تأثّر الكثير من قادة وأحرار العالم بكربلاء واستفادتهم منها ، سواء كانوا أحرار جهاد ونضال ، أم أحرار فكر ونظر ، والتي عبّرت عن هذا التأثير كلماتهم وكتاباتهم ، نستعرض قسماً منها :

+ { إن الإمام الحسين وعصبته القليلة المؤمنة عزموا على الكفاح حتى الموت ، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تتحدى إعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا.. } الكاتب والمؤرخ الإنكليزي السيد برسي سايكس ، كتابه (العلم عند العرب) .

+ { تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر } - غاندي ، من كتاب غاندي محرر الهند .

+ { لقد قدم الحسين بن علي أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية ، وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة } الآثاري الإنكليزي/ وليم لوفتس .

+ { إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الا ستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي } الباحث الإنكليزي/ جون أشر ، كتاب : رحلة إلى العراق .

فكربلاء هي أحد أهم فصول المواجهة بين الطبيعة الإنسانية و الطبيعة الشيطانية بكافة أشكالها وهيئاتها على هذه الأرض..! ، ومن هذه الحيثية نفهم وراثة الإمام الحسين عليه السلام لآدم في زيارة وارث (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله) .. فهي معركة تخوضها الطبيعة البشرية بإمتياز لو استطعنا توظيفها وإيصالها بأمانة الى جميع شعوب العالم ..!

تجلت الحرية في الإمام الحسين عليه السلام في أبهى صورها وأعلى درجاتها وكمالاتها في كربلاء ، كان أعظم مظهر من مظاهر العبودية لله عز وجل ، وتجليّاً فريداً من تجليات قوله تعالى (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يوسف ١٠٨ ، تجلى ذلك في حاله ومقاله ومآله صلوات الله عليه ، يقول عليه السلام { إني لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد } ، ويقول { إني لا أرى في الموت إلا سعادة والعيش مع الظالمين إلا برما } ، هو أبو الأحرار صلوات الله عليه وملهم الحرية ، ترك لنا كربلاء لتكون مدرسةً للحرية ومصنعاً للأحرار ..

مفهوم النصرة في معجم معاني كربلاء

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۖ) الصف ١٤ .

اعتمدت الرسالات السماوية والدعوات الإلهية والحركات التي رفعت شعار الحرية والإصلاح والتغيير - بل كل حركة اجتماعية لها اهداف معينة - على النصرة اعتماداً رئيسياً ومباشراً وبالدرجة التي يتوقف نجاح هذه الرسالة او تلك الدعوة والحركة عليها ، ويدور مدار تحقيق أغراضها مدار نوع ومستوى تلك النصرة ..

فهي بالتالي سنّة الهية جارية وقانون سماوي ناجز في خلقه ، و النصرة تعبّر عن درجة إيمان عاليه بالرسالة - اي رسالة - ومستوى عالٍ من الإمتثال والإتباع ، لأنها تنطوي على مضمون الإعانة و التقوية والمشاركة وتحمّل المسؤولية مع القائم (القائمين) بتلك الرسالة بما يؤدي الى نجاحها وتحقيق أهدافها ..

ونصرة قادة وحركات الخط الإلهي من أشرف وأهمّ أشكال النصرة على الإطلاق ، لأنها في حقيقتها تتركب من ثلاثة أمور تكتسب منها هذه القيمة قيمتها وأهميتها .. وهي :

الأول : أنها نصرةٌ لله ، والآية التي إستهللنا بها الموضوع واضحة وصريحة في ذلك ، حيث عبّرت عن نصرة عيسى عليه السلام بأنها نصرة اللّه تعالى ؛ (من أنصاري الى اللّه) قالوا (نحن أنصار اللّه) ، ويقول العلامة مصطفوي : [ولا يخفى ان النصر لله تعالى

ليس من جهة احتياج الله تعالى الى الناس ، وإنما هو مثل سائر العبادات ..] التحقيق - مادة نصر - .

الثاني : إن أنصار الرسالات يمثلون تجلي من تجليات نصرة الله لرسله ، قال تعالى (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) غافر ٥١ ، وورد في الدعاء (اللهم اجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري ..) .

الثالث : الفوز بنصر الله وتأييده ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) محمد ٧

بهكذا موقع وهكذ مرتبة وهكذ أهمية تتربع نصرة الحق وأهل الحق ، فهي تقع ضمن الهيكل الإداري المنفّذ لإرادة السماء على الأرض وجزء من كابينة القيادة ، وتتصدر خطّ المواجهة الأول ..

ثم أن النصرة تقع على درجات ومقامات وإن كانت كلها تحت عنوان نصرة الحق وأهل الحق ، لأن المفاضلة ايضاً قانون الهي في خلقه ، فقد فضّل الله الأنبياء بعضهم على بعض رغم سموّهم وعلوّ كعبهم ، قال تعالى (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) الإسراء ٥٥ ، إلا أن المفاضلة لا تأتي اعتباطاً وإنما تستند على مرجّحات تعمل على تقدّم الفاضل وتأخر المفضول ..

ولقد تميّز أنصار وشهداء معركة بدر عن باقي جميع معارك الإسلام ، ولعل أبلغ تعبير نجده في فضل اهل بدر وأسباب هذا الفضل هو دعاء الرسول صلوات الله عليه في هذه المعركة بقوله (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٧١ ، فهكذا أسست واقعة بدر

لدين الإسلام أساساً عميقاً ومديدا في بعده الوجودي ، وهكذا استمدّت هذا الفضل العظيم لأصحابها من هذا التأسيس ..

وهناك مفاضلة أخرى للنصرة أكثر شمولا ً في الإسلام ، حيث فضّل الله القتال بين يدي رسول الله قبل الفتح - فتح مكة - على ما بعد الفتح ، قال تعالى (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) الحديد ١٠

من هذه السنّة الكونية للنصرة والحكمة الربانية للمفاضلة المرتكِزة على قانون العدل الإلهي .. نستطيع أن نفهم أهمية وفضل نصرة أبي عبد الله عليه السلام في كربلاء فهماً واسعا ، هذه الأهمية وهذا الفضل الذي أعطاه ابو عبدالله النسبة المطلقة بقوله (فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٩١ .

فأي فضل لعاشوراء على الإسلام ، بل على الدين كله بحيث انعكس - هذا الفضل - على صنّاع عاشوراء ..!! ، هو فضل بقاء الإ سلام الذي عبّر عنه صلوات الله عليه (وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٤ ، ونفهمه من قول رسول الله صلوات الله عليه (حسين مني وأنا من حسين) بحار الأنوار ج٤٣ ، ص ٢٧١ ..

فالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه كانوا أمام مسؤولية بقاء الدين وشريعة سيد المرسلين ، ولقدّ أدّوا ما عليهم بأفضل وجه وأحسن اداء ، وفازوا وسُعدوا بأعلى الدرجات صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا زال المؤمنون يتمنون هذه النصرة ويتحسرون على فرصتها (يا ليتنا كنّا معكم فنفوز معكم فوزاً عظيما) ، ولم تزل نصرة ابي عبد الله متاحة وبمستوى عالٍ من الأهمية والفضل ، وكل بحسبه وظروفه وما يتيسر له ، تارةً بإحياء أمره وتارة بـ

السير على نهجه الإصلاحي وتارة بالتمهيد لظهور من يأخذ بثأره ويحقق أهدافه ..

محورية نصرة الأقرباء في مهامّ الأنبياء والاوصياء

نركز كثيراً على الجزء الأول من كلام الإمام الحسين عليه السلام (فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيراً من أصحابي) ، ولكن على حساب تكملة حديثه صلوات الله عليه في أهل بيته الذين جاءوا بنفس سياق المفاضلة (ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا) ..!

فالإمام عليه السلام هنا ايضاً شهد للهاشميين الذين التحقوا معه في كربلاء - كقدر متيقن - ونصروه وبذلوا من أجله كل ما أمكنهم بذله وتقديمه .. بأنهم أبرّ وأوصل - للرحم - على الإطلاق .. !

وكما قلنا في موضوع النصرة بأن وجود الأنصار مع أصحاب الرسا لات الالهية والحركات الاجتماعية من السنن الإلهية المؤدية الى نجاح تلك الرسالات والحركات ، فكذلك أهل بيت المصلحين و الرساليين ومن يتصل معهم برحم وقرابة ، فإن لهم الدور الأعظم في نجاح تلك الرسالات والحركات ما لو أدّوا دورهم كما ينبغي ..

ولعل من أوضح مصاديق هذا المعنى هو بعثة الرسول صلوات الله عليه في بداية الدعوة الى عشيرته الأقربين (وأنذر عشيرتك الأقربين) الشعراء ٢١٤ ، لأن القرابة قوة ومنعة وحمى .. وهو مما

يحتاج إليه الثائرون اجتماعياً ورسالياً أشدّ حاجة ، يقول صاحب تفسير الأمثل تعقيباً على هذه الآية : (ولا شك أنه للوصول إلى منهج تغييري ثوري واسع ، لابد من الإبتداء من الحلقات الأدنى وا لأصغر ، فما أحسن أن يبدأ النبي دعوته من أقربائه وأرحامه ، لأ نهم يعرفون سوابقه النزيهة أكثر من سواهم ، كما أن علائق القربى والمودة تستدعي الإصغاء إلى كلامه أكثر من غيرهم ، وأن يكونوا أبعد من سواهم من حيث الحسد والحقد والمخاصمة ! ، إضافة إلى ذلك فإن هذا الأمر يدل على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس لديه أية مداهنة ولا مساومة مع أحد ، ليستثني أقرباءه المشركين عن دعوته إلى التوحيد والحق والعدل !) .

وفعلا ً ، قام الإسلام بدفاع وحمى ابي طالب وأموال خديجة وشجاعة الحمزة ابن عبد المطلب وسيف علي بن ابي طالب .. وحتى قيامه الأعظم على الإطلاق سيكون بيد بقية الله وبقية رسوله ، الحجة ابن الحسن المهدي صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ..

ولا يقتصر الأمر بنبي الإسلام ورسالته ، فنبي الله موسى عليه السلام عندما كلفه الله تعالى بمهمّة الذهاب الى فرعون وهدايته ، طلب من الله تعالى أن يعضده بأخيه هارون (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ، وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ) الشعراء ١٢ ،١٣ .. واستجاب له الله تعالى طلبه (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) القصص ٣٥ ، بل الأمر اوسع من ذلك ، فإن الأنبياء كلهم من ذرية واحدة ونسل واحد ، ولعل طلب - او استفهام - نبي الله ابراهيم عليه السلام (ومن ذريتي) عندما قال له تعالى (أني جاعلك للناس إماما) يصبّ في هذه الفكرة في خطوطها العامّة وتعطي معنى من معاني نصرة القرابة بعضهم لبعض حتى ولو تباعد الزمان بينهم ..

وتجلّى هذا المعنى في واقعة الطف تجلياّ عظيما ، فلقد حرص ابو عبد الله عليه السلام - وهو وارث رسالات السماء - على نصرة ورفقة ومشاركة بني هاشم في مهمّته ضد الأمويين ، ولم يكتف بـ الرجال وإنما أعطى دوراً مهمّاً حتى للنساء والأطفال من أهل بيته ، رغم علمه المسبق بصعوبة الأمر وخطورته (إن الله قد شاء أن يراهن سبايا) الملهوف ٥٦ .

بل الحرص كان متبادلا ً من جهة أهل بيته ايضاً ، فلقد ضربوا أروع وأعلى وأسمى أشكال البرّ والوفاء وصلة الرحم مع أبي عبد الله عليه السلام ، بدءاً من قمر العشيرة ابي الفضل العباس عليه السلام والذي نقرأ في زيارته (فنعم الأخ المواسي لأخيه) ، حيث واسى أبو الفضل الامام الحسين بكل وجوده محتسباً صابراً وعلى بصيرة من أمره .. مروراً بآل علي وآل عقيل وابناء العقيلة وبقية بني هاشم .. وانتهاءً بالطفل الرضيع ..! عليهم صلوات الله وصلوات ملائكته اجمعين ..

ان من قُتل من بني هاشم مع الإمام الحسين عليه السلام في الطف واحد وخمسون هاشمياً بحسب تحقيق الشيخ محمد صادق الكرباسي في الجزء الثالث من دائرة المعارف الحسينية .

ولقد نُعي بنو هاشم في الأخبار الواردة قبل وبعد الواقعة كقتلى مع أبي الأحرار ، فهم في سجلّ هذه الواقعة وفي قائمة سموّها وشرفها ولم تكن مشاركتهم مجرد صدفة او عصبية ، ففي كامل الزيارت لابن قولويه قول الملك للنبي ص وآله : (إن سبطك هذا - وأومأ بيده الى الحسين ع - مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك ...) ، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر في مجلد ترجمة الحسين ع ، ص 186 الحديث 236 : عن

أميرالمؤمنين ع مخاطباً جماعات عند مروره بكربلا : (ليحلّن ههنا ركب من آل الرسول ص يمر بهذا المكان فتقتلونهم) .

الكربلائي - مواطن عالمي

أصبحت العالمية صفة ضاربة في الحضارة المعاصرة وباتت مضماراً تتنافس له الشخصيات والجماعات والمؤسسات و الحكومات ، والشركات التجارية والعلمية والثقافية .. ولم تعد ثقافة الاستيراد والتصدير تقتصر على البضائع والسلع الصناعية و الاستهلاكية ، وانما وبفضل ما نشهده من ثورة تكنولوجية ورقمية وتطور في وسائل النقل والاتصال ، أصبح كل شيء عبارة عن بضاعة صالحة للتدويل ، مادي أو فكري او أخلاقي ومعنوي ..

ومن هذه الحقيقة نقول أن كربلاء الثورة وكربلاء القضية ، حدودها تقع ضمن دائرتين :

الدائرة الأولى : الأمة الإسلامية (امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا ما عبّر عنه الإمام عليه السلام في وصيته لأخيه محمد ابن الحنفية (.. وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا

ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٩

الدائرة الثانية : الإنسانية ، وهذا ننتزعه من الدائرة الأولى اولا ً ، باعتبار ان كل ماهو اسلامي فهو انساني (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) سبأ ٢٨ ، ونأخذه من دعوة الإمام الى القوم (ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان ! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحرارا في دنياكم .. } بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٥١ .. وكل من يحاول ان يختزل كربلاء بحدودها الجغرافية او بإنتماءها السياسي والإداري المعاصر .. فهو اما أنه لم يفهم القضية ، او لديه غايات أخرى ..

لا يوجد في مستندات كربلاء ما يدعو الى الولاء للوطن على حساب الولاء للإسلام والإيمان ، فالحسين عليه السلام بحسب الإنتماء المكاني هو (مكي) و (مدني) - نسبة الى مكة والمدينة - ، وعندما استغاثه أهل العراق أجابهم بكل ما يملك .. !!

لا تقل لي أن الأمور قد تغيرت والوضع العالمي لا يسمح .. لأني سأقول لك ان هذا مانع وليس في أصل القضية ولا من دروسها المستفادة كما يدّعي البعض ، فلنقل أننا لا نقدر على تطبيق مباديء ودروس كربلاء ولا نقول أن كربلاء تدعونا الى كسر أواصر الإيمان بحجة حدود جغرافية وضعتها قوى الاستكبار العالمي .. !!

نحن في الوقت الذي نتحمل به مسؤولية تعميم كربلاء وتصدير دروسها وأهدافها ومظلوميتها الى العالم ، وفي الوقت الذي ينبغي أن نجعل راية عاشوراء راية الإصلاح العالمي .. نأتي لنجعل كربلاء سبباً للتفرقة والمناطقية وكل ماهو ضيّق ومحدود ..! كل شعوب العالم تسعى الى تصدير ثقافتها ، ونقوم نحن بتحجيم أعظم ثقافة واعظم ثورة إسلامية في تاريخنا .. فأي احياءٌ لكربلاء بربكم ..!

الحسين عليه السلام قتيل الله ، الإمام الصادق يقول في زيارة جده عليهما السلام (وَاَشْهَدُ أنّكَ قَتيلُ اللّه ِ وابنُ قَتيلِهِ واَشْهَدُ أنّكَ ثارُ اللّه ِ وابْنَ ثارِهِ) ، بأي منطق نقرأ عاشوراء ، وبأي نفوس ضيّقه يتعامل معها البعض .. !! الحسين عليه السلام وارث الأنبياء وقضيته وارثة رسالات السماء ..

الإمام الحسين عليه السلام قائد عالمي ، وكل من ارتبط بالقائد العالمي فهو عالمي ، تتجاوز هممهم حدود بيئتهم وتصل أهدافهم الى أبعد نقطة يمكن أن تصل إليها الأهداف البشرية . وكذا لغة كرب لاء ومنطقها ايضاً لغة ومنطق على مستوى عالمي ، لأنها تخاطب العقل غير المثقل بالعقد والخلفيات الفكرية الطارئة ، وتلامس الفطرة البشرية والطبيعة الإنسانية الخالية من التشوّهات او التغيّرات المكتسبة ..

مواطنو كربلاء - القضية - بين بطاقتين ، بطاقة الدين والإيمان ، وبطاقة الإنسان ، وكل من يرى غير ذلك فليراجع عقيدته او ثقافته .. فمن يحمل رسالة كربلاء ويعمل لأجلها فهو مواطن ع المي ..

حب الحسين ، العين التي نرى بها جمال كربلاء

كربلاء هي لوحةٌ أبدعت يدُ الغيب في تصويرها وجادت فرشاة فنانها في رسمها ، فيها لغزٌ عميق يتمثل في التالي :

من كان يعشق قضيتها وقائدها فسيجدها خارقة الجمال ، ولكن من خالطه غير ذلك من بغض او ريبة فسوف يراها بشعة .. اول ما شاهد جمالها واستلذّ به ثم صار جزءاً من هذا الجمال وشعاعاً من اشعة نوره الوضّاء هو من عاش كربلاء مع ابي عبد الله الحسين عليه السلام وحجز مقعداً في رحلة موكب العشق الخالد ، وإليك منهم :

♡ الحسين عليه السلام : فروي ان الحسين كان في يوم الطف كلما اشتد الأمر أشرق وجهه ، وهدأت جوارحه ، وسكنت نفسه ، حتى قال الناس بعضهم لبعض : انظروا لا يبالي بالموت .. و (روي ان شمراً حين ارتقى الصدر الشريف وهمّ بذبح الامام ، ابتسم عليه افضل الصلاة والسلام .. (انظر كتاب الحسين وبطلة كربلاء – محمد جواد مغنية - ص٢٢٤ .

♡ الحوراء زينب عليها السلام : هذه السيّدة كان الجمال عندها مطبقاً على كربلاء ، بلسانها قالت : (ما رأيت الا ّ جميلا) عندما قال لها اللعين (كيف رأيت صنع الله فيك ..؟) .

♡ القاسم عليه السلام : هذا الفتى ابن اثني عشر عاماً ذهب الى أعلى قائمة جراحات كربلاء وهو الموت ، وأراد ان يختزل جمال عاشوراء به ، (يا عم فيك أحلى من العسل) هكذا وصفه عندما سأله الإمام عليه السلام (يا بني كيف الموت عندك) ..!!

♡ الشهيد سعد ابن عبد الله الحنفي : هذا السعيد كان يطمع في جمال كربلاء كثيراً ، ويجد أن النظر الى كربلاء مرة واحدة لا تفي بجميع جوانب جمالها ، فيقول للإمام عليه السلام : والله لو أعلم أني اقتل ثم أحيا ، ثم أحرق ثم اذرى ، ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك .. وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي موتة أو قتلة واحدة ثم هي بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا ..

♡ حبيب بن مظاهر الأسدي : قال الكشي : .. خرج حبيب بن مظاهر وهو يضحك ، فقال له يزيد بن حصين الهمداني وكان يُقال له سيّد القرّاء : يا أخي ليست هذه بساعة ضحك ، فقال : أي موضع أحقّ من هذا بالسرور ، والله ما هو إلّا أن تميل علينا هذه

الطغاة بسيوفها فنعانق الحور .

♡ باقي الأصحاب في ليلة انتظار السعادة : يصف الطبري حالهم في ليلة عاشوراء : (وباتوا ليلتهم هذه فرحين مسرورين غير وجلين ولا خائفين بما يلاقوا من صبيحتهم هذه مقبلين على الله بكل مشاعرهم وافكارهم، فهم بين راكع وساجد وقائم وقاعد وبين تالٍ للقرآن ومستغفر، لهم دوي كدوي النحل) ..

كلما زاد عشقنا لأبي عبدالله كلما زادت لنا كربلاء جمالاً وإبداعا .. ولعل الحرارة التي في قلوب المؤمنين التي أشار لها رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله (إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ .. حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَداً) مستدرك الوسائل: ج 10، ص 318 ، هي حرارة العشق ، لأن القلب السليم هو المسكن الشرعي للعشق الشريف والمقدّس ..

حب الحسين هو شفرة النظر الى جمال كربلاء ، بل حب الحسين هو مفتاح رؤية جمال الله ، روى الترمذي في صحيحه بسنده عن يعلى بن مرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه (و آله) و سلم : " حسين مني و أنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط " ..

لعنة الطغاة في إهراق الدم المقدّس

كثيرة هي الدروس المستفادة من عاشوراء ، وعظيمة هي الحِكم التي جادت بها كربلاء على الإسلام وعلى الإنسانية جمعاء .. ومن بين تلك العبر التي نأخذها من مظلومية ابي عبد الله عليه السلام هو مجابهة الطغاة والجبارين والظلمة بدمٍ مقدّس وطاهر .

فالطغاة تكبر عروشهم بالدماء وتقوى شكيمتهم بزهق الأرواح ، ولكن عندما يتورطون بدمِ العظيم ونفس مقدّسة فإن سلطانهم سرعان ما يهتز ويتقوّض ويؤول الى الزوال بشكل غريب وبشع ، فالدماء الزكية تزلزل عروش الظالمين ..

يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً) آية 5-7 : لما ذبُح يحيى بن زكريا عليهما السلام تدَرَتْ قَطَرَة من دمه على وجه الأرض ، فلم تزل تغلي حتّى بعث اللّه عليهم (بني إسرائيل) بُخْتَنَصّرَ فألقى في نفسه أنْ يقتل على ذلك الدّم منهم حتّى يسكن ذلك الدّم . فَقَتَلَ منهُم سبعينَ ألفًا ..

ولعل ما حصل مع الحجاج (لعنه اللّه) بعد قتله للتابعي سعيد ابن جبير رضوان اللّه عليه من أوضح مصاديق هذه السُنّة ، يقول ابن كثير : فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوما ، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : يا عدو اللّه فيم قتلتني؟ فيقول الحجاج : مالي ولسعيد بن جبير ، مالي ولسعيد بن جبير ؟ .. وذكر عن الإمام أحمد أنه قال : قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال مفتقر - إلى علمه . ويقال ان الحجاج لم يسلط بعده على أحد .. (البداية والنهاية ج٩ ص ١١٥) .

أول ما يعيشه الطغاة بعد إهراق دم الصالحين هو تأنيب الضمير ومحاسبة النفس ، ثم أنهم يعيشون بحَرَج أمام شعوبهم ومن يحكمونهم ، لأن الدم الطاهر عندما يُراق فإنه يعطي القرار النهائي للقاتل بأنه في خانة الباطل وفي صفحة العتاة والمردة .. ومهما

حاول في تبرير فعلته أو الاعتذار عنه فإنه لا ينفعه ..

وحادثة عاشوراء ضمن سياق هذه الحكمة بل تتربع على كرسيّها ، فقتْل الإمام الحسين عليه السلام كان القرار الرسمي لتصنيف بني أمية في قائمة شرار الخلق وعتاة القتلة عند من كان عنده شك أو ريب في ذلك ، يقول ابن الأثير : (وقيل : لمّا وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده ، ووصله وسرّه ما فعل ، ثمّ لم يلبث إلا ّ يسيراً حتّى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم ، فندم على قتل الحسين ، فكان يقول : وما عليّ لو احتملت الأ ذى ..) - الكامل في التاريخ 3 / 439 - ، وقال السيوطي : (ولمّا قُتل الحسين وبنو أبيه ، بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد ، فسُرّ بقتلهم أوّلا ، ثمّ ندم لمّا مقته المسلمون على ذلك ، وأبغضه الناس ، وحقّ لهم أن يبغضوه) - تاريخ الخلفاء : 248 - .

وأما هلاك يزيد فكان في أبشع قتلة ، وقُتل ثأراً لأبي عبدالله من قبل أحد المؤمنين ، ذكر السيد ابن طاووس : قال أبو مخنف : وأمّا ما كان من أمر يزيد بن معاوية فإنّه ركب في بعض الأيام في خاصته في عشرة آلاف فارس يريد الصيد والقنص فسار حتى بعد من دمشق مسير يومين فلاحت له ظبية فقال لأصحابه: لا يتبعني منكم أحد ، ثم إنه أنطلق جواده في طلبها وجعل يطاردها من وادٍ إلى واد ، حتى انتهت إلى واد مهول مخوف فأسرع في طلبها فلما توسط الوادي لم ير لها خبراً ولم يعرف لها أثراً وكضه العطش فلم يجد هناك شيئاً من الماء وإذا برجل معه صحن ماء فقال يا هذا اسقني قليلا ً من الماء ، فلمّا سقاه قال لو عرفت من أنا لازددت من كرامتي ، فقال له : ومن تكون ..؟ قال أنا أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فقال الرجل : أنت والله قاتل الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) يا عدو الله ثم نهض ليلزمه فنفر من تحته فرمى به عن مستتر فعلقت رجله بالركاب فجعل الفرس كلما رآه خلفه نفر فلم يزل كذلك إلى أن مزّقه وعجّل الله بروحه إلى النار .. (اللهوف في قتلى الطفوف -ص 152-) .

وذكر القرطبي في موضع آخر من تفسير آية (فاذا جاء وعد اولا هما ..) : وعن ابن عبّاس قال : (أوْحَى اللَّه إِلَى مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي قَتَلْت بِيَحْيَى بْن زَكَرِيَّا سَبْعِينَ أَلْفًا ، وَإِنِّي قَاتِل بِابْنِ ابْنَتك سَبْعِينَ أَلْفًا وَسَبْعِينَ أَلْفًا) .

نحن لا نقول هنا أن المظلومية واراقة الدم الطاهر كانت هدف عاشوراء وخطة الإمام الحسين عليه السلام ضد بني أمية ، ولكن نقول أن إحدى الدروس المنتزعة من هذه الحادثة العظيمة وأنها من التجارب الحيّة والسنن الثابته ، وهذا عين ما استفاد منه غاندي حين قال (تعلمت من الحسين أن اكون مظلوماً فأنتصر) .

فقتل الأنبياء والأولياء والصلحاء والعلماء .. يعود على القتلة بِ اللعنة ، ولكن على الأمم بالحياة الخالدة تحت ظل الرسالة و المبادىء والقيم والأهداف التي سالت دمائهم الزاكية من أجلها ..

فاجعة السبي

السبي والسباء لغة : الأسر ، يقال : سبى العدو وغيره سبياً

وسباء : إذا أسره ، فهو سَبيّ على وزن فعيل للذكر . والأنثى سبي وسبية ، ومسبية ، والنسوة سبايا ، وللغلام سبي ومسبي . أما اصطلاحا : في الغالب يُخصّ السبي بالنساء والأطفال ، والأسر بـ الرجال .

كربلاء فاجعة ، والسبي فاجعة اخرى جرت على أهل البيت عليهم السلام ، لها مصيبتها وآلامها ومظلوميتها الخاصة بها ، تمييزها عن ما جرى في الطف له ضرورته وله منطقه التاريخي الخاص ، وما يؤكد هذا الانفراد عن مجريات الطف هو تفجّع أهل البيت بمصيبة السبي بشكل خاص ، وكذلك تفاصيل أحداث السبي تدعو لذلك ..

فروي أنّه دخل على الامام السجاد عليه السلام يوماً أبو حمزة الثماليّ رضوان الله تعالى عليه فوجده حزيناً كئيباً ، فقال له يا بن رسول الله ، أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقلّ ؟ سيّدي إنّ القتل لكم عادة وكرامتكم من الله الشهادة ، ألم يقتل جدّك عليّ بن أبي طالب بسيف ابن ملجم ؟ ألم يقتل عمّك الحسن ؟ فما هذا البكاء ؟ فالتفت إليه الإمام زين العابدين عليه السلام وقال : شكر الله سعيك يا أبا حمزة ، هل رأت عيناك أو سمعت أذناك أنّ علويّة سُبيت لنا قبل يوم عاشوراء ؟ قتل الرجال لنا عادة ، ولكن هل سبي النساء لنا عادة ؟ هل حرق الخيام لنا عادة ؟ والله يا أبا حمزة ما نظرت إلى عمّاتي وأخواتي إلّا وذكرت فرارهنّ يوم عاشوراء من خيمة إلى خيمة ومن خباء إلى خباء ومنادي القوم ينادي ، أحرقوا بيوت الظالمين وهنّ يلذن بعضهنّ ببعض وينادين : واجدّاه وا محمّداه . (إرشاد الخطيب ، السيد جاسم السيد حسن شبر : 33) .

وجاء عن سبط بن الجوزي عن جده انه كان يقول : ليس العجب أن يقتل ابن زياد حسينا وإنما العجب كل العجب أن يضرب يزيد ثناياه بالقضيب ويحمل نساءه سبايا على أعقاب الجمال قد رأى

الناس في السبايا من الفجيعة أكثر مما رأوه في قتل الحسين وهذا ما أراده الحسين (عليه السلام) من الخروج بالنساء و الصبيان ، ولو لم يخرج بهن لما حصل السبي الذي ساهم مساهمة فعالة في الهدف الذي أراده الحسين من نهضته وهو انهيار تلك الدولة الجائرة .

لا نريد ان نسرد قصة سبايا آل رسول الله صلى الله عليه وآله بقدر ما نريد أن نوضح ان تفاصيل أحداث السبايا تعتبر نكسة ضمير لا تجبر في التاريخ الإسلامي ووصمة عار لا تمحى في سيرة اعداء آل البيت . لا نتحدث هنا عن مصارعة الرجال للرجال ، وانما حديثنا هو في سبي وأسر نساء ال محمد وأطفالهن وهن ثكالى وأرامل على جمال هزّل بلا غطاء ولا وطاء والتجول بهن من مدينة الى مدينة ، مروراً بالكوفة ووصولا ً الى الشام .. أمامهن رؤوس قتلاهن ويسير معهن شرار خلق الله ، أناس نزعت من قلوبهم الرحمة ، يسكتون هذه ويضربون بالسياط تلك ..!! جاء في كتاب المنتخب إن عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وعمرو بن الحجاج وضم إليهم ألف فارس وأمرهم بإيصال السبايا والرؤوس إلى الشام .

هكذا وصفت عقيلة الطالبيين بعض معاناة السبي وهي تقرع بيزيد لعنه الله : (أمِنَ العَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلَقاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَسَوْقُكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ سَبَايَا ؟؟ قَدْ هَتَكْتَ سُتُورَهُنّ وَأَبْدَيْتَ وُجُوهَهُنّ يَحْدُو بِهِنّ الأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَيَسْتَشْرِفُهُنّ أَهْلُ المَنَاقِلِ وَيَبْرُزْنَ لِأَهْلِ المَنَاهِلِ وَيَتَصَفّحُ وُجُوهَهُنّ القَرِيبُ وَالبَعِيدُ وَالغَائِبُ وَالشّهِيدُ وَالشّرِيفُ وَالوَضِيعُ وَالدّنِيُّ وَالرّفِيعُ ، لَيْسَ مَعَهُنّ مِنْ رِجَالِهِنّ وَلِيٌّ وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنّ حَمِيمٌ ، عُتُوّاً مِنْكَ عَلَى اللهِ وَجُحُوداً لِرَسُولِ اللهِ وَدَفْعاً لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَلَا غَرْوَ مِنْكَ وَلَا عَجَبَ مِنْ فِعْلِكَ) .

القتل والسبي هما جريمتان اثنتان ولا يمكن ان نختزلهما بجريمة واحدة ، وهذا ما عبّر عنه ابو عبد الله الحسين عليه السلام وتنبأ به عندما قال (شاء الله ان يراني قتيلا ً) وهذه الجريمة الأولى ، و (وشاء الله أن يراهن سبايا) وهذه الجريمة الثانية ..!!

دور مولاتنا زينب الكبرى في فاجعة رحلة السبي كان عظيماً رغم ألم المصيبة وعظم الجراح ، واستطاعت صلوات الله عليها القيام بأدوار جليلة ومهمة في هذه المرحلة ، بدءاً من حفظ الإمام السجاد عليه السلام وحفظ عيال الرسالة ، مروراً بتثبيت وحفظ جانب المظلومية والأحقية للنهضة الحسينية ، وانتهاءً بتقريع الظالمين وفضح افعالهم وجرائمهم بل قلب المعادلة عليهم تماما ..

أعطت السيدة زينب عليها السلام وجهاً آخر للعفاف ، ومفهوماً جديداً للحجاب ، ومستوى غير تقليدي للخدر .. فإذا كانت حكمة العفاف والحجاب والخدر هو أن تحفظ المرأة بهما دينها وعفتها على المستوى الفردي أو الشخصي ، فإنه عندما يتوقف حفظ دين الأمّة على أخذ بعض أدوار الرجال والعمل ببعض وظائفهم .. فيتعيّن اذن . فواعز الحجاب هو الواعز لكلا الدورين ، ولكن شكل الحجاب يتغير وفق تبعاً لمستوى وعي المرأة ومسؤوليتها وطبيعة الدور الجديد الذي ستؤديه ..

وكثيراً ما يُناقش موضوع مرور السبايا عند الرجوع الى المدينة بكربلاء ، بين من يؤكد وبين من ينفي .. أقول ان زيارة الأربعين يمكن أن نعبّر عنها بزيارة عاشوراء السبايا ، سواء مرّوا او لم يمرّوا ، لأن جريمة السبي لوحدها تحتاج الى تذكير بالمظلومية وتستحق الحزن والمواساة .. فجريمة الطف قد أخذت نصيبها من الإحياء في عاشوراء ، فلتكن زيارة الأربعين مخصصة لمصائب أهل البيت فيما يخص سبي نساءهم وذراريهم صلوات الله عليهم اجمعين .. وهو بالتالي كله من إحياء النهضة الحسينية المقدسة .

الحسين (عليه السلام) قضيّتنا

كربلاء قضيتنا ، وبالمفهوم العرفي العشائري بمعنى (طلابتنه) ، هكذا هي في الحقيقة الدينية وعلى مستوى الوعي والتفكير ، وهكذا ينبغي أن تكون على مستوى التطبيق وفي إطار الأداء الحسيني الخارجي المتنوع .. ولزيادة التوضيح نقول : أن المؤمن المفجوع بكربلاء يقع عليه ثلاثة أمور أساسية :

الأمر الأول / الإحياء والإقتداء : فينبغي ان تبقى كربلاء حيّة في عقولنا ونفوسنا ومشاعرنا ، نحييها كفكرة وعقيدة ، ونحييها كدمعة وحزن ومظلومية ، ونحييها على مستوى الإقتداء ، الالتزام بمبادىء كربلاء ، فكربلاء تشمل كل ماهو مبدأ والتزام إنساني أولا ً ، وكل ما هو الهي ورسالي وديني ثانيا .. ينبغي ان نفهم وثفهم العالم بأن عاشوراء عنوان لا ينحصر بجغرافيا وتاريخ كربلاء يوم العاشر من محرم لسنة ٦١ للهجرة ، وانما يتسع لكل جغرافيا الإ نسانية ويستوعب زمانها الأبدي .. فالحسين هو وارث الأنبياء وقضيته وارثة رسالات السماء ..

الأمر الثاني / الدفاع عن كربلاء : فإذا كان الواجب الأول يُعنى بتفعيل ما به احياء كربلاء وجعلها تعيش في تفاصيل حياة الفرد والمجتمع ، فإن الواجب الثاني يُعنى بقلع واستبعاد ما به الاساءة الى كربلاء او تضعيفها في ضمير وحياة الأمة او إماتتها نهائياً لا سامح اللّه . كربلاء من وجهها الآخر صَنعها آل ابي سفيان باعتبارهم ورثة كل جبهات وحركات الباطل على هذه الأرض ، و التي طالما واجهت جبهة الحق وقاتلت قادته ، كربلاء من هذه

الجهة هي محاولة إماتة وحي السماء وإضعاف إرادتها ، ولهذا نجد أن السيدة زينب عليها السلام كانت دقيقة في كلامها وفي وصف هذا المعنى وهي تخاطب يزيد عليه لعائن اللّٰه : (فكِدْ كيدَك ، واسْعَ سعيَك ، وناصِبْ جهدك ، فوَاللّٰه ِ لا تمحو ذِكرَنا ، ولا تُميت وحيَنا ، ولا تُدرِكُ أمَدَنا ، ولا ترحضُ عنك عارها ، وهل رأيُك إلا ّ فَنَد ، وأيّامك إلا ّ عَدَد ، وجمعك إلا ّ بَدَد !! يوم ينادي المنادي : ألا َ لعنةُ اللّٰه ِ علىٰ الظالمين ! فالحمد لله الذي ختم لأوّلنا بِ السعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل اللّٰه أن يُكملَ لهم الثواب ، ويُوجِبَ لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، إنّه رحيمٌ ودود ، وحسبُنا اللّٰه ُ ونِعمَ الوكيل) .

الأمر الثالث / ثارات كربلاء : فالحسين عليه السلام ثأر اللّٰه ، ودمه لا زال يفور ، والجاني لم يُقتص منه بعد .. فلا بد من أخذ الا جراءات اللازمة للتسجيل بقائمة المطالبين بدم المقتول بكربلاء ، هذه القائمة التي سيكون على رأسها الإمام المهدي عجل اللّٰه فرجه الشريف .. ولا نتوقع ان الجاني ينحصر بفرد او بأسرة او بجهة ، وانما الجاني هو عبارة عن ظاهرة ، والجاني يمثل طبيعة تفكير وشكل من أشكال التلبّس بالإسلام وبالدين عموماً ، ونوع من أنواع المسخ البشري للإنسانية ، فالجناية لها دوافع ، ولها غطاء فكري وغطاء ديني مزيّف واغطية متعددة تتلبس بها ، ولها أدوات وأساليب ووسائل تعمل من خلالها ، الاقتصاص من المجرم لا يعني أننا اقتصصنا من الجريمة ..!!

وطلب الثأر هو عقيدة وهو ثقافة إيمانية ايضاً عملَ على ترسيخها ونشرها والعمل بها أهل البيت عليهم السلام ، فيروي علقمة أنه قا ل للامام الباقر عليه السلام عندما أمرهم بندبة الامام الحسين ع : قُلْتُ : وَ كَيْفَ يُعَزّي بَعْضُنَا بَعْضاً ؟ قال : " تقولُ : عَظَّمَ اللهُ أُجُورَنَا بِمُصَابِنَا بِالحُسَيْنِ عليه السلام ، وَ جَعَلَنَا وَإِيّاكُمْ مِنَ الطَّالِبِينَ بِثَأْرِهِ مَعَ وَلِيِّهِ وَالإِمَامِ المَهْدِيِّ مِنْ آلِ مُحَمّدٍ .." . وسائل

الشيعة: 14 / 509

وجاء في تفسير قوله تعالى قال اللّه تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ الأسراء ٣٣ ، عن الإمام الصادق (ع) : أنها نزلت في الحسين (ع) ، فلو قتل به أهل الأرض لما كان مسرفا . الكافي ج 8 ص255 ، بحار الأنوار ج44 ص219

الغاية من هذا الموضوع هو الإشارة الى ضرورة توسيع أفق الإحياء الحسيني وزيادة أبعاد الخدمة الحسينية ، وكذلك تصنيف مستوى الاداء والواجبات الملقاة على عواتقنا اتجاه كربلاء وعاشوراء ، لأن حصر الاهتمام ببعض الأمور دون الأخرى قد ينسي بعض الواجبات ويضيّق من مساحة العمل ويقلل من حجم تغطيتها نوعاً وكمّا ..

الاستحقاقات الحسينية كثيرة ، وهي في تزايد مستمر وخاصة مع تزايد مساحة الباطل وتبنّي الشر من قبل دول كبرى واتفاق عالمي شبه مبطن على كل ذلك التراجع الروحي والأخلاقي الذي تعيشه البشرية .. فالظلامات كثيرة ومصائب الشعوب كبيرة في قبال عمل قليل ومتواضع في جبهة الدفاع عن الحق وأهل الحق للأسف الشديد ..

الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض

عن عيون أخبار الرضا (ع) : أحمد بن ثابت الدواليبي ، عن محمد بن علي بن عبد الصمد ، عن علي بن عاصم ، عن أبي جعفر الثاني ، عن آبائه ، عن الحسين بن علي عليهم السلام قال : (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أبي بن كعب فقال لي رسول الله عليه السلام : مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين ، قال له أُبي : وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحد غيرك ؟ فقال : يا أبي والذي بعثني بالحق نبيا إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض ، وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله " مصباح هدى ، وسفينة نجاة ، وإمام غير وهن ، وعز وفخر وعلم وذخر " وإن الله عز وجل ركب في صلبه نطفة طيبة مباركة زكية .. الرواية) .

بحار الأنوار ج٩١ ص١٨٥

هذه الكلمة من أعظم الكلمات التي تحدّثت عن مقامات وفضائل ا لإمام الحسين عليه السلام ، لأنها :

١. صدرت عن الذي قال الله بحقه (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ) النجم ٣ ، ٤ ، ٥ .

٢. مضمونها العالي ، فالرسول صلوات الله عليه يُقسم هنا ، و الرواية تتحدث بلسان المقارنة والمفاضلة ، وتتكلم عن حقيقة مقامات الإمام في السماء الملكوتية وإن ذكرت مقاماته في عالم المُلك - كما سيأتي - ، وتتحدث عن تثبيت ذلك في أشرف ما في السماء وهو العرش ، فهو شرف فوق شرف ، وذكرت ايضاً مقامات عاليه ودقيقة (زين السموات والأرض - مصباح هدى - سفينة نجاة .. الخ) .

٣. صغر عمر الامام الحسين عليه السلام في وقت إخبار الرسول صلوات الله عليه ، فكان أقل من ٧ سنوات أو يساويها على أعلى تقدير ، مع اعطاءه كل تلك العناوين الكبرى ، وعلى البعدين السماوي والأرضي .. يدل على أن الامام الحسين عليه السلام مشروع الهي على الأرض ، وزرع أنبتته السماء فيها لأهداف عليا تتعلق بعلة وجود الإنسان على ظهرها ..

٤. هذا الحديث من الأحاديث الخاصة التي لا يتحملها كل أحد خاصة في تلك الفترة التي كان فيها الناس حديثو عهد بالإسلام وبالإيمان ، ولا زالت بعض النعرات الأسرية والشخصية موجودة ، فقيمة الرواية من قيمة مَن قيلت له ايضا ، وهو أبي بن كعب (رضوان الله عليه) فهو الذي قال له الرسول صلوات الله عليه (إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك . فقال : يا رسول الله ، بأبي وأُمّي أنت ، وقد ذكرتُ هناك ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : نعم باسمك ونسبك . فأرعد أُبي ، فالتزمه رسول الله حتّى سكن وقال : (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) الدرجات الرفيعة ٣٢٤ ،

وقال عنه السيد بحر العلوم (قد) : « سيّد القرّاء ، وكاتب الوحي ، عقبي ، بدري ، فقيه ، قار ، أوّل مَن كتب للنبي (صلى الله عليه وآله) من الأنصار ، وهو من فضلاء الصحابة ، ومن أعيانهم) الفوائد الرجالية ج١ ص ٤٦٥ .

وهو من الأثني عشر رجلا ً الذين قاموا في المسجد النبوي بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ، حينما رقى أبو بكر المنبر في أوّل جمعة له ، فوعظوه وخوّفوه من الله سبحانه وتعالى ، ودافعوا عن أحقيّة الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة ، حيث قال : « يا أبا بكر ، لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك ، ولا تكن أوّل مَن عصى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وصيّه وصفيّه وصدف عن أمره ، أردد الحقّ إلى أهله تسلم ، ولا تتماد في غيّك فتندم ، وبادر الإنابة يخف وزرك ، ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك ، فعن قليل تفارق ما أنت فيه وتصير إلى ربّك ، فيسألك عمّا جنيت ، وما ربّك بظلام للعبيد » الاحتجاج ج١ ص١٠٢

٥. ولكل منطوق مفهوم او اكثر من مفهوم ، ولعله من المفاهيم التي ننتزعها من هذه الرواية هو مظلومية الإمام ابي عبد الله الحسين عليه السلام في الأرض وأنه سوف لا تعطي الأمة حقه ومقامه وفضله ورتبته الإلهية .. وهذا ما حصل فعلا ً مع شديد الأسف ، فالحسين بن علي رحمة الهية وثروة ربانية مهدورة بيننا .. فالرواية بحسب هذا المضمون تكون في سياق استشراف المستقبل .

٦. رغم أن لسان الرواية يتحدّث عن الحسين في السماء ، فإنها ذكرت انعكاسات تلك المقامات في الأرض ، وخاصة تلك التي ركّزت على إمامته (مصباح هدى - سفينة نجاة - ركب في صلبه نطفة طيبة مباركة زكية مما قد يشير الى ذرية الامامة من صلبه - إمام غير وهن ..) . فاتصال هذه المقامات الأرضية بتلك المقامات النورانية السماوية إشارة الى ثباتها وبقاءها في حياته

وبعد مماته عليه السلام ، شاء من شاء وأبى من أبى ، أعطي مقامه من قبل الأمة أم كفرت به وظلمته .. لأن الحقيقة والجوهر لا تتغير او تتحرك الا بالتغيير والحركة التكاملية وفي مدارج السموّ والرقيّ ..

٧. فيها إشعار الى أن تعظيم أمر الإمام الحسين عليه السلام مهما كبر وعظم فإنه أقل من قدر الإمام عليه السلام ، فلا نستكثر خدمة حسينية ولا نستعظم إحياءً لقضيته صلوات الله عليه .. بل ينبغي أن نشعر دائماً بالقصور والتقصير أمام مقامه وظلامته عليه السلام .

٨. وأخيراً : يمكن ان نفهم أن عطاء الحسين عليه السلام في السماء اكبر منه في الأرض ، فهو سفينة النجاة وهو شفيع المذنبين ، فمعاجز تربته والدعاء تحت قبته هنا قد تكون محصورة في منطقة وأبعاد محدودة ، أمّا وجوده على ساق العرش يجعل من السماء كلها قبة لأبي عبد الله ، ولعلها اشارة الى سعة كرامته وشفاعته في يوم القيامة .. والله اعلم .

ومهما تكلمنا فكلامنا أرضي ، والحسين في السماء أكبر ..

أبو ثمامة الصيداوي (الصائدي)

" ذاكر الصلاة "

تمرّ على الإنسان مواقف وأهوال وأمور ٌعظام تأخذ حين وقتها وحال حدوثها كلّ أو جلّ إهتمامه بحيث تذهله عن كل الأمور الأ خرى التي طالما شغلته وأسعفته ذاكرته على الإنتباه لها والاهتمام بها في الظروف الطبيعية ..

الا ّ أنّ ثمّة أمور لا تشرد عن ذهن الإنسان ولا تخونه ذاكرته او عزمه اتجاهها مهما كانت الظروف التي تطرأ عليه ويمرّ بها صعبة

وحتى في لحظات الاحتضار والنزاع مع الروح ..!

وهذه الأمور هي تلك التي حظيت على اهتمام المرء اهتماماً كبيراً في نوعه طويلا ً في أمده وقد أخذت حيّزاً واسعاً من حياته واهتماماته ، فكما حرص هو عليها في أيّام الرخاء ، فقد حرصت هي عليه في أوقات الشدّة .

ولعل ما حصل مع هذا الصاحب الجليل للإمام الحسين ع (أبو ثمامة الصيداوي)* خير شاهد ودليل ، فعلى الرغم من صعوبة كربلاء وحراجة الموقف في عاشوراء الا أنّ الساعة البايلوجية التي زرعها أبو ثمامة الصيداوي لمواقيت الصلاة ظلّت عاملة على أفضل وأدق وجه وفي أصعب وأحرج الأوقات ، مما يدلّ على انّه كان من أشدّ المحافظين على أوقاتها وأدائها في فضيلة أوقاتها ، تقول الرواية التاريخية أن أبا ثمامة لمّا رأى شمس يوم الطف قد زالت قال للإمام أبي عبدالله : [يا أبا عبدالله ، نفسي لنفسك الفداء ، إنّي أرى هؤلاءِ قد اقتربوا منك ، ولا واللهِ لا تُقتَلُ حتّى أُقتَلَ دونك إن شاء الله ، وأُحِبّ أن ألقى الله َ ربّي وقد صلّيتُ هذه الصلاة التي دنا وقتُها .

فرفع الإمام الحسين عليه السّلام رأسَه الشريف إلى السماء ، ثمّ قال : ذكرتَ الصلاة ، جَعَلَك الله ُ من المصلّينَ الذاكرين، نعَم ، هذا أوّلُ وقتها] .

كان لتذكر الصلاة في أول وقتها في عرصات كربلاء استحقاقاً وامتيازاً حسينياً فورياً وهو الدعاء : (ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلّين ، نعم هذا أول وقتها) ، وفعلا ً نال أعلى وغسام يمكن أن يناله مصلي ، الشهادة مع أبي عبد الله الحسين ع وأحد أصحابه ، نسلّم عليه في الزيارة ونقول : السلامُ على أبي ثُمامَةَ عُمَرَ بنِ عبدِالله ِ الصائدي ّ... السلام عليكم يا خيرَ أنصار، السلام عليكم بما صَبَرتُم فنِعْمَ عُقبى الدار، بَوّأكُمُ الله ُ مُبَوّأ الأبرار .

وسفينة ابي عبد الله عليه السلام واسعة ولا نستبعد أنّ دعاؤه يشمل كلّ من تذكر الصلاة وذكر الآخرين بها خاصة في أوقات

الغفلة والانشغال عنها ..

----

* كان أبو ثمامه تابعياً ، وكان من فرسان العرب ووجوه الشيعة ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام الذين شهدوا معه مشاهده ، ثمّ صحب الحسن عليه السّلام بعده، وبقي في الكوفة ، فلمّا توفي معاوية كاتب الحسين عليه السّلام، ولمّا جاء مسلم بن عقيل إلى الكوفة قام معه، وصار يقبض الأموال من الشيعة بأمر مسلم ، فيشتري بها السلاح ، وكان بصيراً بذلك. ولمّا دخل عبيد الله الكوفة ، وثار الشيعة بوجهه وجّهه مسلم فيمن وجّهه ، وعقد له على ربع تميم وهمدان ، وبعد أن خان أهل الكوفة وغدروا بمسلم بن عقيل اختفى أبو ثمامة ، ثم التحق هو ونافع بن هلال الجملي بركب الإمام الحسين عليه السلام .

الصلاة تمثل إحدى أهمّ رسائل كربلاء

قال تعالى (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) الأنبياء ٧٣

نالت الصلاة في كربلاء اهتماماً كبيراً وتعظيماً جليلاً ً ينبغي الوقوف عنده والتأسي به ، بل هذا التعظيم هو من أبلغ الرسائل

التي تركها لنا ابو عبدالله في عاشوراء ، ومن خلالها نستطيع ان نتعرّف على روح أهداف القضية الحسينية وأسباب قيام وإحياء عاشوراء ، فالصلاة كما في الخبر عمود الدين ، فلا نتوقع إصلاح بدون صلاة ، الصلاة بمعناها الإسلامي الحقيقي لا الصوري .

فلقد طلب أبو عبدالله عليه السلام تأجيل المعركة من تاسوعاء الى عاشوراء من أجل الصلاة والإكثار منها حين قال لأخيه العباس عليه السلام (ان استطعت ان تؤخرهم الى غدوة وتدفعهم عنا العشية لعلّنا نصلّي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم اني كنت احب الصلاة له ..) ..

وكذلك لم يتركها صلوات الله عليه في ذروة المعركة ، فأقامها في عرصات الطفوف وتحت تشابك الأسنّة وقرع السيوف ، ومن أجل ركعتي صلاة الخوف قدّم أصحابه الذين وقفوا يحرسونه اثناء صلاته وهم من خيرة الأصحاب على وجه الأرض ضحيةً وفداءً لتأديتها واقامتها ..

وهذا سفيره وثقته مسلم بن عقيل عليه السلام يطلب أداء ركعتين قبل رميه من أعلى القصر ، وكذلك فعل أولاد مسلم عليهم السلام على صغر سنّهم ..

هذه الصلاة عندما تكون قبل الموت المُحقّق يكون لها شأنها ولذّتها عند المصلّي ، ولهذا نقل الصدوق في الخصال باسناد عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليصلّ صلاة مودّع » ، وهو سرّ يعلّمناه الامام علي عليه السلام من أسرار صلاة الخاشعين ، فعندما يعلم المصلّي أن هذه الصلاة هي آخر صلاة يؤدّيها بالتأكيد ستكون مختلفة عن كل صلاة أدّاها من غير هذه الإحساس ، فسيكون خشوعها متميزاً والقلب فيها حاضراً وكل كيان الانسان متوجهاً ومتجرداً عن كل متعلق آخر يصرفه عن صلاته ..

ولهذا يركز المعصوم في زيارته للإمام الحسين عليه السلام على جزئية إقامة الصلاة (أشهد أنك قد أقمت الصلاة) . فعاشوراء قد أعطت للصلاة معناها ومحوريتها في الإسلام ، الصلاة تنهى عن

الفحشاء والمنكر (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ) ، وما قامت كربلاء الا لأجل النهي عن الفحشاء و المنكر .

من قواعد العشق الحسيني

اذا اكتمل الجمال ابتلى الرائي بالعشق واكتوى بناره ، وسيجد

نفسه مأسوراً له ومنقاداً إليه ، لا يملّ منه ولا يكلّ عن التعلّق به .. حتى يصبح كلّه هو (معشوقه) ..

وللحسين بن علي عليهما السلام قصّة عشق في قلوب المؤمنين ، رسَمت تفاصيلها أقلام كماله ، ولوّنت لوحتها فرشاة جماله ، حتى صار محبّوه على مذاهب شتّى في مغازلته ، وسبلا ً تلتقي عنده في لحظة من لحظات الفناء به .. والكلّ ماضٍ بقانون ، والجميع سالك طريقه الى معشوقه وفق قاعدة عشق قد ألِف معادلتها وسار بهديها ، ولقد قال ابن حمدون ابن الحاج :

وللناس فيما يعشقون مذاهب * وحكمة ربي في اختلاف المذاهبِ

فيما يلي بعض قواعد العشق ، والتي تدور في فلك العشق الخالد ابي عبد الله الحسين عليه السلام ، وجعلناها على أقسام أربعة :

- قسمٌ يكون فيه المعشوق هو الله جل وعلا والعاشق هو الحسين عليه السلام ومن عشق الله بعشق الحسين ..

- وقسم يكون فيه المعشوق هو الحسين عليه السلام والعاشق هو من تعلّق قلبه بالحسين ..

- وقسم يكون فيه المعشوق هم (عشّاق الحسين) ، والعاشق هو الحسين عليه السلام نفسه ..

- وقسم عندما يكون العاشق هو الله تعالى والمعشوق هو الحسين وعشاق الحسين .

♡ اما الأول : وهو ما كان المعشوق هو الله تعالى والعاشق هو الحسين ومن عشق الله بعشق الحسين ، فمن قواعد هذا العشق :

١. الرضا والتسليم للمعشوق في أصعب الحالات وأشد الابتلاءات : الإمام الحسين عليه السلام وهو يجود بنفسه ملطخ بدمه على رمضاء كربلاء ، نرى قلبه الذي أخذ منه سهم حرملة مأخذه يتمتم على لسانه (رضاً بقضائك وتسليماً لأمرك لا معبود سواك) ، بل يصل العاشق الى مرحلة لا يرضى بها على نفسه حتى يرضى محبوبه عنه (الهي ان كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى) .. هذا ما قاله ابو عبدالله في لحظات العطاء لله ..

٢. صنع المعشوق كلّه جميل بعين العاشق : هذه القاعدة التي وضعتها لنا زينب بنت علي عليهما السلام ، المسبية والثكلى بإمامها واخوتها وابناءها وابناء عمومتها وأصحاب اخيها .. عندما سألها الملعون يزيد عن كل تلك المصائب : كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللّه بِأَخِيكِ وَأَهْلِ بَيْتِكِ؟ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ إِلّا جَمِيلا ً، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَتَبَ اللّه عَلَيْهِمُ القَتْلَ، فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ . هؤلاء في فلسفة زينب قرابين المعشوق للعاشق (اللّهم تقبل منا هذا القربان) .

٣. التحدث مع المعشوق والاستماع لحديثه : السمر مع المحبوب مطلب المُحب ، يُسمعه ما يحب ويستمع الى ما يحب ، وهذا ما فعله ابو عبدالله في ليلة عاشوراء ، تقول الرواية ان الإمام طلب من أخيه العباس عليه السلام ان يتكلم مع القوم من أجل تأجيل القتال لليلة ، (ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غد ، وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم أني كنت قد أحب الصلاة له ، وتلاوة كتابه ، وكثرة الدعاء والاستغفار) ..

٤. ليل العاشق مختلف ، خاصة عندما يعلم أنه يفصله عن معشوقه سواد ليلة ، تقول الرواية ان اصحاب الحسين قضوا ليلة عاشوراء ولهم دوي كدوي النحل ، بين راكع وساجد ، وقائم وقاعد ..

٥. الوصال غاية العاشق من معشوقه ، حتى وإن كان موعد اللقاء تحت ظلال الرماح وتشابك الأسنة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * وبيض الهند تقطر من دمي

فودتت تقبيل السيوف لأنها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

الصلاة ، موعد العاشق مع المعشوق المطلق ، حينما حان موعد الوصال مع الله ، تذكرها عنترة الطف - وأين عنترة منه ..!! - ابو ثمامة الصائدي ظهر يوم الطف ، فوجد من هو اعشق منه لله ، الحسين عليه السلام داعياً له : " ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين " .

♡ واما الثاني : الذي يكون فيه المعشوق هو ابو عبد الله الحسين عليه السلام ، فلحبّه ايضاً قواعدٌ ومذاهبُ :

١. دم القلب (المهجة) ثمن المقعد في رحلة العشق : (كانَ بَاذِلًا فِينَا مُهْجَتَهُ وَمُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ ۚ نَفْسَهُ ، فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ) ، بهذا الثمن فتح ابو عبدالله شباك تذاكر رحلة العشق المتجهة نحو كربلاء ، يعلّمنا الإمام الحسين عليه السلام هنا قاعدة من قواعد عشقه ومحبته ، وهي دفع العاشق أغلى الأثمان في سبيل الالتحاق بمعشوقه ، وإعطاء المحب كل ما يملك لمحبوبه ..

٢. قتلة واحدة من أجل الحبيب لا تفي : هكذا يعلمنا عاشق الحسين عليه السلام وأول قتيل من الأصحاب يوم الطف مسلم بن عوسجة رضوان الله تعالى عليه وهو يخاطب أبا عبدالله (و الله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أذرى ، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها

أبدا) . وصدق من قال :
وما عجبي موت المحبين في الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب
٣. الوفاء ، من أخلاق الحب السامية :

وَلي في الحُبِّ أخـلاقٌ كِرامٌ * فسَلْ مَن شِئتَ عَني وامتَحِنّي
وحيثُ يَكونُ في الدُنيا وفاءٌ * هنالكَ إنْ تسلْ عني تجدني
حَبيبي مَنْ أكونُ لهُ حَبيباً * ويَجزيني الوَفا وَزْناً بوَزْنِ

عمرو بن قرظة الأنصاري وهو مثخن بالجراح : أوفيت يا ابن رسول الله ؟ قال : « نعم ، أنت أمامي في الجنة ، فاقرأ رسول الله مني السلام وأعلمه أني في الأثر » .

٤. حرارة القلب عند العاشق ، لا تهدئها الا دموع عينه : عَنْ إمامنا جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصادق عليهما السلام قَالَ : نَظَرَ النَّبِيِ صلى الله عليه وآله إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي عليهما السلام وَهُوَ مُقْبِلٌ فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ ، وَقَالَ : " إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَداً " ثُمَّ قَالَ عليه السلام : "بِأَبِي قَتِيلُ كُلِّ عَبْرَةٍ" قِيلَ : وَمَا قَتِيلُ كُلِّ عَبْرَةٍ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ ؟ قَالَ : "لَا يَذْكُرُهُ مُؤْمِنٌ إِلَّا بَكَى" ..

٥. عندما يطغى الحب بصاحبه ، يصبح حبّه نسخة ثانية من حبّ المحبوب ، فيحبّ ما يحبّ ويبغض ما يبغض : (إِنّي سِلْمٌ لِمَنْ س الَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداكُمْ) .

♡ والقسم الثالث : عندما يكون العاشق هو الحسين عليه السلام والمعشوق هو المفجوع بالحسين عليه السلام : فلنأخذ دروساً من

الإمام والقائد العاشق لمحبيه وأتباعه ..

١. إذا رأى القائد أن محبيه - من أصحاب وأهل - قد ذابوا به حبّاً وقد أثبتوا له ذلك من خلال الاستعداد الكامل لبذل غاية المجهود من أجله ، فلا يبقى أمامه إلا أن يعطيهم هو أعلى درجات التفضيل : فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا ..

وقد أجاد الشاعر بوصفهم :

قوم إذا نودوا لدفع ملمة * والخيل بين مدعس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا * يتهافت۔ون على ذه۔اب ألأ نفس

نصروا الحسين في۔ا لهم من فتية * عافوا الحياة وألبسوا من سندس

هكذا هو حال المعشوق وهكذا هي شهادة العاشق له ..

٢. نعرف ان القلب هو ساحة تبادل الحب والألم بين المحبين ، اما عندما يكبر هذا الحب ، فإنه سيملأ كيان المحبين ويحتل كل مشاعرهم وقواهم ، وهذا ما نجده بين ابي عبدالله وابي الفضل عليهما السلام عندما حان وقت الفراق ، يقول له الحسين وهو يمسح الدم والتراب عنه : الآنَ انكسَرَ ظَهري ، وقلّتْ حِيلَتي ، وَشمِتَ بي عَدُوِّي .

العلاقة بين العاشق والمعشوق هنا مختلفة ، لأنها أخذت مساحة أوسع من العادة ، فانكسار قلب الحسين لأبي الفضل مفروغ منه ،

وأما انكسار الظهر فهذا يعني ان الضربة أقوى والألم أوجع بكثير ..

٣. ومن الحبِّ ما قتل ، على فراق علي الأكبر كاد الإمام الحسين عليه السلام ان يموت ، تتحدث الروايات عن ردة فعل عجيبة للإمام على ولده الأكبر ، أغمي عليه ثلاث مرات ، وسمعت من أحد الفقهاء (المدرسي أطال الله في عمره الشريف) ان السيدة زينب عليها السلام شاهدت الإمام قد اشرف على الموت عند مقتل ولده ، فحاولت التحدث معه ولفت نظره عن المصيبة لبعض الوقت عسى ان يستعيد قواه .. (على الدنيا بعدك العفا) لسان حال ومقال ابي عبدالله عليه السلام ..

٤. المواساة بين الأحبة من أعظم المواساة ، لا يحتمل العاشق حزن او ألم أو خوف معشوقه ، وهذا ما نجده بين الإمام الحسين وأصحابه : عن الامام علي بن الحسين عليهما السلام : لما اشتد الامر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم ، لأنهم كلما أشتد الامر تغيرت ألوانهم ، وارتعدت فرائصهم ، ووجلت قلوبهم ، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم ، و تهدأ جوارحهم ، وتسكن نفوسهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا لا يبالي بالموت ، فقال لهم الحسين عليه السلام : صبراً بني الكرام ، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة ، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر ؟ وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب . إن أبي حدثني ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ،و الموت جسر هؤلاء إلى جنانهم ، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ، ما كذبت ولا كذبت .

وماذا أصبحوا بعد هذه المواساة ، يصفهم أحد الاعداء : (ثارت

علينا عصابة أيديها على مقابض سيوفها ، كالأسود الضارية ، تحطم الفرسان يمينا وشمالا ، تلقي نفسها على الموت ، لا تقبل الأ مان ، ولا ترغب بالمال ، ولا يحول حائل بينها وبين المنية أو الا ستيلاء على الملك ، فلو كففنا عنها رويدا لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها) .

♡ وأخيراً : العاشق هو الله تعالى ، والمعشوق هو الامام الحسين عليه السلام :

في البحار : باسناده عن موسى بن جعفر ، عن آبائه (عليهم السلا م) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا أحب الله تعالى عبدا نادى مناد من السماء: ألا إن الله تعالى قد أحب فلانا فأحبوه، فتعيه القلوب ولا يلقى إلا حبيبا محببا مذاقا عند الناس، وإذا أبغض الله تعالى عبدا نادى مناد من السماء: ألا إن الله تعالى قد أبغض فلانا فأبغضوه، فتعيه القلوب وتعي عنه الاذان، فلا تلقاه إلا بغيضا مبغضا شيطانا ماردا ..

نكتفي بهذه القاعدة الالهية ، وهي أن المحب لا يكتفي بحبه وعشقه لمعشوقه وانما يجعل حبه في قلوب الآخرين .. فتأمل .

قواعد العشق الحسيني تتعدد بتعدد عشاق ومحبي ابي عبدالله عليه السلام ، ولكل له قصة وقاعدة عشق معه سلام الله عليه ..

إمامة السجاد (عليه السلام)

لكل إمامةٍ عصرها وظرفها وطبيعة الأحداث التي تمرّ بها ، ثم أن هذا ينعكس على أسلوب وطريقة وأدوات إدارة وأداء مهام تلك الإمامة ، وتختلف إمامة السجاد - موضوع البحث - عن إمامة باقي الائمة عليهم السلام في عدد من الحيثيات ، ميّزتها وفرضت عليها بعض الأمور ، ومن تلك الحيثيات :

الأولى : قد تولى الإمامة عليه السلام بعد إبادة جماعية لأهل بيته وخلّص أصحابهم ، سواء ما حصل في كربلاء - وهو المصاب الأعظم - أو ما حصل في واقعة الحرّة ، وقد تكلمنا في مواضيع سابقة حول محورية وأهمية القرابة والصحابة في نجاح الدعوات

الرسالية للأنبياء والأوصياء وسائر المصلحين والرساليين .. ولقد ثبّت عليه السلام هذه الحيثية في أول كلمة له في المدينة بعد رجوعه من الأسر حيث قال مخاطباً أهل المدينة : أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين .. ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، ان هذا إلا اختلاق .. اللهوف ٧٦ .

الثانية : تنمّر يزيد ابن معاوية وزمرته على الأمّة الإسلامية وثوران طغيانه وظلمه وبشكل لم يعهده المسلمون من قبل ، فبعد واقعة كربلاء وسبي ذراري النبوة .. انتهك جريمة واقعة الحرة وأباح المدينة المنورة ثلاثة أيام والتي قتل فيها الالاف ، وكذلك ما قام به من هجوم على مكة المكرمة وإحراق للكعبة المشرفة .. !!

الثالثة : انفجار الثورات المطالبة بدم الإمام الحسين عليه السلام والتي خلقت ضغطاً سياسياً وأمنياً واجتماعياً وحتى اقتصادياً ورسالياً على الإمام عليه السلام ، كثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي ، وقيام المختار بن ابي عبيد الثقفي رضوان الله عليهما ..

الرابعة : بعد واقعة كربلاء بدأت الشيعة تتبلور وتتكتل بتكتلات ذات صبغة مغايرة عما قبل كربلاء ، فالصبغة السياسية المعارضة والصفة الثورية المطالبة بدماء كربلاء وصفة المظلومية عموماً .. وغيرها مما بدأت تتميز به الجماعة والفرقة الشيعية على وجه الخصوص ..

الخامسة : الحزن كان مخيّماً على شخصية الإمام عليه السلام . يقول الإمام الصادق عليه السلام : أن زين العابدين بكى على أبيه أربعين سنة .. (الوسائل ج٣ ص٢٨٢) .

هذه الحيثيات كان لها دخل في تحديد الصفة العامة لإمامة السجاد عليه السلام والأسلوب الذي يتبعه صلوات الله عليه في القيام بمهام ووظيفة القيادة الإلهية للأمّة خاصة في السنوات الأ ولى من إمامته .

فالإسلام أصبح يواجه خطراً شديداً كدولة وكدين ، اما الدولة فقد مزقتها الحروب والانتهاكات والثورات وما سببته من حصول فجوة كبيرة بين الجهاز الحاكم والمجتمع ، وأما الدين فإن الأمة قد تربّع على قيادتها طغمة من القتلة والفسّاق وشاربي الخمر و المنتهكين للأعراض .. وما يسبب كل هذا من تراجع روحي وفساد فكري وأخلاقي كبير ..

هذه المصائب والرزايا التي مُني بها الإسلام والمسلمون استدعت أن يقوم الإمام السجاد عليه السلام ببعض الوظائف ، ومن أهمّ تلك الوظائف هو أن يُعطي عليه السلام للأمة الشخصية المثالية التي ترى من خلالها الصورة الإسلامية بأكمل وأنصع حالاتها ، بعد أن اصابها ما أصابها من التشويه والتعتيم ، وأن تكون هذه الشخصية محلّ إجماع وإشعاع للجميع .. كان الإسلام بعد تلك التهتكات الأموية بحاجة الى جرعة روحية وأخلاقية عالية تواجه تلك الصدمة الكبيرة والجفاف المعنوي الذي أصاب حياة الأمة ..

وهذا ما نجح فيه فعلاً صلوات الله عليه ، فقد عالج المشكلة بنسبة كبيرة واستطاع أن يوفر عليه السلام البديل - وإن كان هو الأصل - ليحافظ على ما تبّقى من روحٍ تدب في جسد وضمير الأ مة ، وبشكل لا يختص بالتشيّع فقط وإنما بحسب الشهادات التاريخية كان لكل المسلمين ، وإليك هذه الأخبار التي تتحدث عن نجاح هذه المهمة :

- قال الذهبي في ترجمة الإمام السجاد : السيد الإمام ، زين العابدين ، وكان له جلالة عجيبة ، وحقّ له ذلك ، فقد كان أهلاً ل

لإمامة العظمى : لشرفه ، وسؤدده ، وعلمه ، وتالهه ، وكمال عقله . سير أعلام النبلاء 4: 398 .

- وقال المناوي : زين العابدين ، إمام ، سند ، اشتهرت أياديه ومكارمه ، وطارت بالجوّ في الوجود حمائمه ، كان عظيم القدر ، رحب الساحة والصدر ، رأساً لجسد الرئاسة ، مؤمّلا للإيالة و السياسة . الكواكب الدريّة 2: 139

- وقال الجاحظ : أمّا علي بن الحسين بن علي : فلم أر الخارجي في أمره إلا ّ كالشيعي ، ولم أرَ الشيعي إلا ّ كالمعتزلي ، ولم أرَ المعتزلي إلا ّ كالعامي ، ولم أرَ العامي إلا ّ كالخاصيّ ، ولم أجد أحداً يتمارى في تفضيله ويشكّ في تقديمه . عمدة الطالب 3 ـ 194

- وقال الجاحظ أيضاً : وأمّا علي بن الحسين (عليه السلام) ف الناس على اختلاف مذاهبهم مجمعون عليه لايمتري أحد في تدبيره ، ولا يشكّ أحد في تقديمه . رسالة الجاحظ ونقله عنه في كشف الغمّة 1: 31 .

فكانت صلاته التي تصل عدد ركعاتها في اليوم والليلة الى الف ركعة ، وصيام نهاره ، وبذل ما في يديه من صدقات للفقراء و المساكين ، والتركيز على الدعاء كوعاء للعقيدة والفكر الاسلامي و الأخلاق المحمدية والتربية الدينية الشاملة ، وحجّه لبيت الله عشرين مرة بين ماشي وراكب .. وتصدّيه بالدليل القاطع والحجة الدامغة للانحرافات المختلفة في جسد الأمة ، كالمجبرة والمرجئة وغيرهم .. هي زيت ووقود تلك الشخصية الإسلامية المحمدية التي كان الإسلام والمسلمون بأمس الحاجة لها ..

والروايات كثيرة عن عبادته وفضائله ، في الكافي (باب الخشوع في الصلاة) قال : كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة حتى

مات ولقب بزين العابدين لكثرة عبادته وحسنها . وروى علي بن أبي حمزة عن أبيه ، قال : (سألت مولاة لعلي بن الحسين (عليهما السّلام) بعد موته ، فقلت : صفي لي أمور علي بن الحسين (عليه السّلام) فقالت : أطنب أو أختصر ؟ فقلت : اختصري ، قالت : ما أتيته بطعام نهاراً قط ، ولا فرشت له فرشاً بليل قط . علل الشرائع للشيخ الصدوق، ص232 ، وعن سعيد بن المسيب : (كان الناس لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين فخرج وخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين سبّح في سجوده فلم يبق شجر ولا مدر إلا سبحوا معه ففزعت منه فرفع رأسه فقال : يا سعيد فزعت ؟ قلت : نعم يا بن رسول الله ، قال : هذا التسبيح الأ عظم) .

سلام الله على سيد الساجدين وزين العابدين علي بن الحسين ، يوم ولد ويوم أستشهد ويوم يُبعث حيا .

الإمام السجاد عليه السلام ومنطق الشهيد الحيّ

منطقان جادت بهما كربلاء على الإنسانية هما : منطق الشهيد الفاتح ، وتمثل بأبي عبد اللّه عليه السلام ، ومنطق الحيّ الشهيد ، وتمثل بالإمام السجاد عليه السلام . ومن بيان ذلك :

لأن أعطى الإمام الحسين عليه السلام منطق ومفهوم (الشهيد الفاتح) عند رفعه شعار (من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح) ورسّخه وأثبته في ضمير وتاريخ هذه الأمّة بعد ان كان الفتح حكراً على الحي المنتصر وبرهن ابو عبداللّه عليه السلام ان للشهاده في بعض حالاتها حصاد الحُسنَيين ، اي حسنى الدنيا وحسنى الآخرة ~

جاءت كربلاء وجادت علينا بمنطق آخر ، وتقلب لنا معادلة اخرى وتجعل من الحيّ شهيدا ، ولا نقصد بالحياة هنا ذلك المفهوم القرآني للشهيد : احياءُ عند ربهم ، وإنما استطاعت كربلاء من جعل حياة الإنسان في الدنيا بمنزلة الشهيد في الاخرة في حالة اعطائه وتحقيقه لنفس اهداف الشهيد ..

هذا المفهوم والمنطق قدّمه لنا زين العابدين عليه السلام عندما استبدل (بحسب الإرادة الالهية) القتل بالمنطق التالي : « ان اهداف الشهادة اسمى من الشهادة نفسها وانّ بذل النفس مقدمة لنتيجة ، فمتى ما توقفت تلك النتيجة على الحياة والبقاء حيّاً فيجب عندها البقاء » ..

وهذا المنطق هو قرآني بالأصل ، فينقل لنا الكتاب المجيد خروج موسى عليه السلام خائفاً يترقب خوفاً على رسالته ومهمّته لا على نفسه ..

فإن كانت أهداف عاشوراء لا تتحقق الا بالشهادة ، فعاشوراء برمّتها توقفت على حياة زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلا

ام الذي استمرت به الإمامة بأهدافها الكبرى ..

وهكذا على كل مجاهدي الإسلام أن يضعوا هذين المنطقين و الميزانين العظيمين نصب أعينهم وأن يشخّصوا ما هو مطلوب منهم بدقّة وهل هو منطق الإمام الحسين (منطق الشهيد الفاتح) أم منطق الإمام السجاد ع (منطق الشهيد الحي) .

قيام الإمام السجاد عليه السلام لنصرة أبيه عليه السلام

رغم مرضه هل كان تكليفاً أم عاطفة ..؟ أم ماذا ..؟

ذكرت اخبار كربلاء بأن الإمام السجاد عليه السلام عندما سمع نداءات أبيه الإمام الحسين عليه السلام وكذا رآه وحيداً في ساحة المعركة ، قام رغم مرضه مستنداً على سيفه قاصداً نصرة أبيه بما يمكنه نصرته غير أن الإمام الحسين طلب من اخته زينب عليها السلام أن ترجعه لكي لا تخلوا الارض من حجة ..

الإشكال الذي يرد على هذا الخبر هو : هل نهوض الإمام السجاد ع كان عن تكليف وشعور بأن نداء الإمام ع ناجز بذمته ، أم كان تصرفاً عن عاطفة (إيمانية أو نسبية) .. ؟ أم عن أمر آخر .. ؟

أقول : أما التكليف فساقط عنه لعلته ومرضه الذي جعله لا يستطيع صلوات الله تعالى عليه حتى النهوض إلا بعد الاتكاء على سيفه ..!! ، وثانياً لعلمه بأن وجوب (عدم إخلاء الأرض من حجة) يرفع وجوب (نصرة الإمام الحسين ع) .. وهو يقيناً يعلم بأنه هو الحجة بعد أبيه ..

وأما العاطفة فهذا محال لأن العاطفة مسموحة للمعصوم بحدود عدم تجاوز العصمة ، ونصرة الإمام الحسين ع يعني الموت المحقق وبالتالي ضرب القانون الإلهي المنجز عليه وهو لابدية وجود حجة على الأرض ..

وقد يقول قائل أن الحجة متحقق بالإمام الباقر ع ، والجواب هو عند صحة خبر وجود الإمام الباقر ع في وقتها فهذا يخالف ترتيب الأئمة ع وفق التنصيب الإلهي وتسلسله والذي نبأ به رسول الله ص وهو بنفسه تكليف عليهم ولكن بمستوى عال ولم يكن جبريا وخارج إرادتهم وهذا يحتاج إلى تفصيل ليس هنا محله .. فموت ا لإمام السجاد ع قبل الإمام الحسين ع يعني انتفاء إمامته البته .. فتأمل

إذن : لماذا نهض .. ؟

والجواب : يمكن أن نضعه ضمن احتمالات ..

1. لإثبات إمامته ، فقيامه للمشاركة في القتال ورفض الإمام ع رفضا منصوص العلة وهو قوله ع لتحقيق القانون الإلهي (عدم خلو الأرض من حجة) نوع أسلوب لإيصال أمر مهم وهو التصريح بأنه هو الحجة بعد أبيه ع وليس غيره ..

2. ليثبت الإمام السجاد ع أن نصرة الإمام الحسين ع واجبة وناجزة على كل أحد إلا أن يعذره الإمام الحسين ع نفسه .

3. كان واجبا اخلاقيا على الامام السجاد ع اتجاه إمامه وأبيه أراد أن يؤديه وهو على يقين بأن الإمام ع سيرجعه ..

4. بمجرد استجابته للإمام الحسين ع وارجاعه من قبله ع هو الفوز بثواب وأجر القتال بين يدي أبي عبدالله ع في الطفوف وهو

أجر لا يزهد به نبي ولا وصي نبي إطلاقا ..

5. الامام الحسين ع هو الإمام الفعلي حينها واكيدا هو ممثل السماء في الأرض وهو الوحيد الذي يعلم بأوامر السماء المستجدة وعليه فنصرة الإمام الحسين ع بعد نداءاته الأخيرة جعلت الإمام السجاد ع يحتمل أن حكما ما قد تبدل فيما يخص تكليفه وإحتاط بالنهوض ..

والله أعلم ..

مرض الإمام السجاد "ع" في كربلاء
إعجازي أم وفق الأسباب الطبيعية ..؟

مرض الإمام السجاد عليه السلام أثناء واقعة الطف ثابت ، و السؤال المطروح هو هل مرضه عليه السلام كان إعجازيا ً لحكمة الحفاظ عليه أم كان طبيعيا ً مما لم يستدع الأمر أسلوبا ً آخرا ً لحفظه كإمام وحجة بعد الامام الحسين عليه السلام ..

وقبل الإجابة لابد من تحديد الوجوه التي عندها يكون مرضه اعجازيا ، وهي حسب ما نرى :

1. أن نجد نصا ً معصوميا ً صريحاً يقول بأن مرضه كان إعجازيا .

2. أن يكون عليه السلام مما لا يطرأ عليه المرض تكويناً أو كرامة

، دائما ً أو في تلك الظروف ..

3. أن تكون عليه آثار المرض ولكن بدون مرض فعلي بحيث يقر ا لأطباء بأنه مريض ولكن بدون مرض ..

4. أن يكون مرضه منحصرا ً فقط عندما يريد المشاركة في القتال ويعزم عليه وفي غير ذلك يرتفع مطلقا ..

هذه الوجوه التي حضرت الآن في الذهن التي إن ثبت واحد منها أو أكثر نستطيع القول أنه مرض إعجازي ، وبعكسه لا نستطيع البت بذلك إلا أن تكون هنالك وجوه أخرى محتملة نتركها للقارىء أو الباحث ..

أما النص المعصومي على إعجاز مرضه عليه السلام فهو غير متوفر حسب اطلاعنا على نحو التصريح والنص ..

وأما الوجه الثاني فهم عليهم السلام بشر ، يمرضون ويشفون ويموتون ولا يختلفون من هذه الناحية ، فالعقيدة والتاريخ يثبت تعرضهم للمرض بشكل طبيعي ..

أما الوجه الثالث ، فلقد ذكرت بعض المصادر انه عليه السلام أصيب بمرض (الذ َرَب) ، وهذا ما قاله الشيخ المفيد في [الإ رشاد ، ج 2، ص 114] وهو مرض يصيب المعدة وتجعلها غير قادرة على هضم الطعام وبعضها قالت إنه عليه السلام كان مبطونا ، عن الإمام الباقر(ع) أنه قال : كان أبي مبطوناً يوم قتل أبوه صلوات الله عليهما .. [بحار الأنوار ج 45 باب ما جرى عليه بعد بيعة الناس ليزيد إلى شهادته ح 30 ص 91] ، وضعفه ونحولة جسمه كان واضحا في الأخبار الواردة .. فإذن هو مرض طبيعي ومشخص وليس مجهولا ..

وأما الوجه الأخير لم تساعد الأخبار الواردة على إثباته ..

إذن .. مرضه عليه السلام ليس إعجازيا ً ، وأن مقدماته ولوازمه طبيعية جرت وفق السنّة البشرية .

يبقى السؤال : هل حصل مرض الإمام السجاد في كربلاء اتفاقا ً وبدون إرادة وحكمة الهية اقتضت أن يحصل هذا العارض للإمام عليه السلام أم أن من وراء الأمر تدبير إلهي ولكنه جرى وفق الأ مور الطبيعية .. ؟

نقول : وفق المعطيات العامة وكذا الخاصة بكربلاء نستبعد أن يكون الأمر اتفاقيا ساذجا .. ومن هذه المعطيات :

1. النتيجة العظيمة المتمثلة بحفظ حياة الإمام السجاد ع من سطوة أناس لا دين لهم ولا إنسانية بحيث قتلوا حتى الرضيع و المرأة .. هذه النتيجة نستبعد أن تكون عن صدفة وإتفاق أعمى ..

2. شخصية الإمام السجاد عليه السلام كإمام تجعلنا نحكم أن كل أقواله وأفعاله وأحواله لها حكمة معينة ..

3. تخوف الإمام الحسين عليه السلام من مقتل الإمام السجاد ع وبالتالي خلو الأرض من حجة .

4. كان بإمكان الإمام السجاد عليه السلام الدعاء والشفاء من قبله أو من قبل أبيه عليه السلام لأهمية الأمر كما فعلها رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله مع أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى المعارك حينما كان ارمدا ً حيث شافاه بيده الشريفة ، وهذا ما لم يحصل ..!

5. كربلاء كلها ذات تخطيط إلهي مسبق وأهل البيت عليهم السلام يعرفون ما سيحصل بها من قتل وسبي ومن سينجو ومن سيستشهد ..

وهناك معطيات أخرى يمكن للقارىء اللبيب وضعها ..

النتيجة : أن مرض زين العابدين عليه السلام حصل وفق الأسباب الطبيعية ولكن وراءه حكمة تتوقف عليها مصالح كبيرة وأهمها (لو خلت الأرض من حجـ ـّة لساخت بأهلها) ..

يبقى إشكال واحد هنا ، وهو أن بعض الأخبار تقول أن الإمام الباقر عليه السلام كان موجوداً وعمره بضع سنوات ، وعندها يكون استشهاد الإمام السجاد لا يؤدي الى خلوّ الأرض من إمام وحجة ..؟ والجواب الذي يمكن أن نضعه هنا هو ما أشرنا اليه في الورقة السابقة وهوعلى نحو الاطروحة : لو قتل الإمام السجاد في الطف قبل أبيه فإن عدد الائمة الاثني عشر والتي اقتضت الحكمة الإلهية وجودهم سينقص واحداً ، لأن إمامة الإمام اللاحق تبدأ بعد رحيل السابق ، وأما بعد استشهاد أبيه فقد تعرض الى محاولات قتل كثيرة في مرحلة السبي ، وقد تعرضنا اليها مفصلا ً في ورقة (بقية السيف) من هذا الكتاب ، ولكن شاءت إرادت الله تعالى أن يبقى على قيد الحياة ليؤدي أدواراً مهمة ومكملة لعاشوراء ولإمامة أهل البيت النبوة عموما .. وكانت من إحدى أهم المهام بعد الواقعة للإمام السجاد هو مرافقة بنات وذراري النبوة ، هذا الهدف الذي تردد على لسان القتلة كسبب لتركه حيّا ، وجاء على لسان الإمام نفسه محاججاً يزيد عندما أمر بقتله .. فراجع ورقة (بقية السيف) ..

شهادة الإمام السجاد عليه السلام

(من وحي المناسبة)

انطبع تأريخ كربلاء على مساحة واسعة من تأريخ حياة الإمام السجاد عليه السلام ، فالمقطع الزمني الواقع بين يوم عاشوراء ورجوع السبايا الى المدينة المنورة والذي لا يتجاوز الشهرين لعله - على تقدير أن اليوم الأربعين من أستشهاد الإمام الحسين كانوا في كربلاء سلام الله عليهم - على أهمّيته الا أنه لا ينبغي على الكاتب والقارىء وكل من يؤمن بإمامته صلوات الله عليه أن يختزل حياة الإمام فيه ويجعله الانطباع العام لهذه الإمامة الربانية ..

واقعة الطف وقعت في بداية عام 61 للهجرة ، واستشهاد الإمام السجاد صلوات الله عليه كان في 95 للهجرة ، اي أن عمر إمامته هو 35 سنة ، وهي من الفترات الطويلة لتسنّم الإمامة عند مقارنتها مع باقي الائمة صلوات الله عليهم ..

انما ينبغي أن نهتم بفترات الإمامة من عمر المعصومين لأنها فترات تشريع بحسب ما نؤمن به ونعتقد ، تُضاف الى عدد سنوات البعثة الشريفة للرسول الأكرم صلوات الله عليه ، فهي بهذا تكون ذات قيمة عالية وأهمية بالغة والتفريط بها هو هدر لطاقة اسلا مية وثروة فكرية وروحية لا تعوّض ولا تُثمن أبدا ..

قول المعصوم وفعله وتقريره حجّة ، هذا يعني أن كل لحظة من لحظات حياته حجّة ، قبل تسنّم مهام الإمامة وبعدها .. نعم ، قد تكون المشكلة تكمن في المادة التاريخية الواصلة إلينا ، وأنها لم تستوعب عشر معشار حياة الائمة عليهم السلام (قولا ً وفعلا ً وتقريرا) ، إلا أن التقصير واقع من قبلنا في نفس هذه النسبة القليلة الواصلة ، فنقوم بإختزال المُختزل ، واجتزاء المُجتزء .. ! فيحصل النقص الفضيع في منظومتنا المعرفية ، وهذا النقص يستتبعه تعويض اضطراري يقوم به وحي الخيال او الوضع أو الا

اعتماد على ضعاف الأخبار ، أو يتبرع به لسان الحال .. الخ ، فينفتح باب واسع للتشويه والتحريف والابتعاد عن الصحيح و الواقع ..

ومن أهم ما ينبغي أن نهتم به ونلتفت إليه هو الروايات الواردة عن الإمام زين العابدين عليه السلام في شتّى المجالات العلمية و الفكرية والاجتماعية والفقهية والإسلامية .. لأن كل رواية واردة عنه تمثّل تدويناً صادقاً ودقيقاً لجزء من سيرته وحياته قد لا يكون واضحاً للمؤرخ او قارىء التاريخ ، وتحكي لنا التزاماً للإمام أو قناعة من قبله بشيء ما او نظرة معينة أو رأياً محددا ..

ثم أن هنالك باباً واسعاً للدخول الى الشخصية العميقة والهوية النورانية للإمام السجاد عليه السلام تعجز عن بيانها السيرة التقليدية ولا تفي بها ترجمة حياته بجوانبها الطبيعية ، وهذا الباب يطرقه لنا الدعاء ويفتح مغاليقه المناجاة الواردة عنه صلوات اللّه عليه ، فإننا حين نقرأ في الصحيفة السجادية انما نقرأ الإمام في حالة علاقته مع اللّه سبحانه وتعالى ، وهي أسمى وأرقى علاقة يمكن أن يكون عليها الإنسان بل كل مخلوق في هذا الوجود .. فأين حياة الامام السجاد التي ترسمها لنا شبكة علاقاته الإ جتماعية او الجوانب الحياتية الأخرى من حياته الخاصة مع ربّه ..!!

وكذلك يمكننا أن نجد جوانب مهمة من سيرة وحياة الإمام السجاد عليه السلام في رسالة الحقوق ، والتي برمج من خلالها حياة الإنسان وعلاقاته المختلفة وفق نظام حقوق دقيق ، من خلا له يستطيع تجاوز كل مشكلة واستثمار كل طاقة في حياته .

فحياة الإمام زين العابدين مليئة بالسنن والإرشادات والتوجيهات على مختلف الأبعاد والاتجاهات التي ينبغي أن يكون عليها

المؤمن ، فلنعش مع هذا الإمام الهمام في جميع مراحل حياته ولنطلّع على تفاصيلها فإن فيها زاداً نقوى به على أمورنا ونحصد منه خيراً لآخرتنا .

الحزن على الإمام الحسين مُهلك لصاحبه

الحزن على الإمام الحسين عليه السلام مما ندب إليه الشرع وتفرضه الفطرة السليمة وتقرّه الطبيعة البشرية ، غير أن مصيبة أبي عبد الله عليه السلام مُهلكة للأشخاص الذين يُطلق لهم العنان في الحزن والمواساة ، وتُنقل لنا قصص كثيرة في ذلك .

فهذه رقية بنت الإمام الحسين ماتت جزعا ً لكونها طفلة لم تستطع إدارة حزنها (إذا صح التعبير) كما يفعل الكبار .

والمتتبع للأحداث والمحاورات التي وقعت بين الامام الحسين و السيدة زينب عليهما السلام ، أو بين الامام السجاد وعمته السيدة زينب عليهما السلام ، سيجد فيها وصايا كثيرة لتخفيف الحزن خوفا ً من عواقبه ..

فيخاطب الإمام أخته العقيلة : (إتقي الله ، وتعزّي بعزاء الله ، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون وأنّ أهل السماء لا يَبقون ، وأنّ كلّ شيء هالِك إلا وجه الله ، الذي خلق الخلق بقدرته ، ويَبعث الخلق ويعيدهم وهو فردٌ وحده . جدّي خيرٌ مني ، وأبي خيرٌ منّي ، وأمّي خيرٌ منّي ، وأخي [الحسن] خيرٌ منّي ، ولي ولكلّ مسلم برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أُسوة) وقال لها ايضاً : (يا أُختاه إني أقسمتُ عليكِ ، فأبِرّي قسَمي . لا تشُقّي عَلَيّ جَيباً ، ولا تخمشي عليّ وجهاً ، ولا تدعي عليّ بالويل والثُبور إذا أنا هلكتُ) .

الإمام السجاد عليه السلام وهو الإمام المعصوم يقول (.. فكادت نفسي تخرج ، وتبينت ذلك مني عمتي زينب بنت علي الكبرى

فقالت : مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي ؟ فقلت : وكيف لا أجزع وأهلع ، وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضر جين بدمائهم مرملين ، بالعراء مسلبين ، لا يكفنون ولا يوارون ، ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر، فقالت : لا يجزعنك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله إلى جدك وأبيك وعمك ..) البحار ج٤٥ ص١٧٩ .

وفي زيارة الناحية المقدسة (فَلَئِنْ أخرَّتني الدُهُورُ ، وَعَاقَنِي عَنْ نَصْرِكَ المَقدُورُ ، وَلَمْ أكُنْ لِمَنْ حَارَبَكَ مُحَارِباً ، وَلِمَنْ نَصَبَ لَكَ العَدَاوَةَ مُناصِباً ، فَلأندُبَنَّكَ صَبَاحاً وَمَسَاءً ، وَلأبْكِيَنّ لَكَ بَدَلَ الدُمُوعِ دَماً ، حَسْرَةً عَلَيكَ ، وتأسُفاً عَلى مَا دَهَاكَ وَتَلَهُفاً ، حَتّى أمُوتُ بِلَوعَةِ المُصَابِ ، وَغُصّةِ الا ِكْتِئَاب) .

وينقل في هذا السياق عن أهل البيت عليهم السلام بعض الروايات ، منها : (إنه لو علمتم بعظم المصيبة لبكيتم حتى تزهق أنفسكم) وعن الامام الباقر عليه السلام : (لولا خوفنا على شيعتنا من الموت لروينا لهم ماجرى في كربلاء) ..

ولو تتبعت اصحاب المجالس والرواديد والخطباء في السابق ستجد انهم يقطعون النعي او اللطم وهو في اوجّه خاصة عندما يصل (العزم) عند المعزّي الى مستوى قد يضر به نفسه ..

اقول : الحزن على الامام الحسين عليه السلام خطر جدا ومميت والجزع على الامام قد يقصف العمر وهذا مما لا ينبغي ان يكون كحالة عامة وشاملة لان اهل الايمان والمخلصين منهم خاصة بحاجة اليهم وهلاكهم حزنا على الحسين ع ربحاً لهم وخسارة علينا ..

قتلة الإمام الحسين عليه السلام أضل ّ من قابيل
(قضية الدفن دليلا)

الآية : قال تعالى : (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) المائدة 31

هذه الآية المباركة من سورة المائدة تتحدث عن جانب من جوانب قصة جريمة القتل التي قام بها قابيل ضد أخيه هابيل لا لشيء الا لكون هابيل هو الأقرب الى ربه والأتقى في تعبده وهذا القرب و التقوى هما سبب قبول الأعمال من هابيل دون أخيه قابيل (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) .. وهذا القبول للأعمال أثار حسد وضغينة قابيل (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ..

ما يهمنا هو أحداث ما بعد الجريمة .. وخاصة شعور قابيل بالعجز عن الاهتداء لطريقة يواري بها جسد اخيه المقتول حتى بعث الله له غرابا يعلمه (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا

الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) .. ونريد أن نقارن بين هذه الواقعة وواقعة الطف ثم بعد ذلك ماذا نرى ..؟

- المقارنة الأولى : أن قابيل حسد ثم قتل هابيل على أمر آخروي وهو قبول الله لقربان هابيل ، في حين أن بني أمية لعنة الله عليهم قتلوا الحسين عليه السلام على أمر دنيوي وهو الكرسي والملك ..

- المقارنة الثانية : حسب بعض التفاسير أن هابيل يريد أن يعلق على عاتق أخيه جريمة القتل بحيث أعطاه عهدا بأنه سوف لا يحاول قتله حتى من أجل الدفاع عن نفسه (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِين ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) بينما يروي لنا تأريخ الطف محاولات الإمام الحسين عليه السلام الحثيثة لدفع القوم عن ارتكاب جريمة قتله حتى بكى عليهم لأنهم سيدخلون النار بسببه .. ملاحظة : القول أن هابيل مكن أخاه على نفسه رفضه صاحب الميزان .. وأوردناه على احتمال الصحة ..

- المقارنة الثالثة : استشعر قابيل القاتل الندامة والحسرة بعد أن رأى عجزه عن دفن أخيه .. في حين أن قاتلي الحسين عليه السلام رفعوا رأسه على الرماح ورضّوا صدره بالخيول وقطعوا اصبعه من أجل خاتم ..! وهم على فرح واستبشار تاركين جسده عاريا ً على رمضاء كربلاء ..

- المقارنة الرابعة : كان قابيل جاهلا بأصل طريقة الدفن في حين كان قتلة الحسين عليه السلام على دراية كافية وتعمّدوا عدم الدفن ..

- المقاربة الخامسة : أتعظ قابيل من غراب بينما لم يتعظ

قتلة الحسين عليه السلام من سادات خلق الله ..!!

كل هذا وغيره يعطينا دليلا ً قاطعا ً بأن الإمام الحسين عليه السلام أفضل من هابيل وأن من قـَتله أضل ّ من قابيل ..

إشكال : في عقيدتنا أن الإمام لا يلي أمره بعد موته الا الإمام فيما يخص تجهيز الميت ودفنه .. وعليه فإن القوم ليس لهم أن يدفنوا الإمام ..؟

جواب الإشكال : وهل يؤمنون هم بهذه العقيدة ..؟ ولو تنزلنا وقلنا أنهم يؤمنون بذلك فلماذا لم يهيئوا الأمور للإمام السجاد لكي يلي أمر أبيه .. ؟ ولو كان عندهم أدنى إحترام لجسده ع لما رضوا ضلوعه واحتزوا رأسه وقطعوا اصبعه ..؟

لعنة الله على بني أمية قاطبة وعلى ال زياد وال مروان وعلى عمر بن سعد وشمرا .. اللهم العن من رضي بفعلهم وأيدهم بقول أو فعل .. ؟

نافذة على ملكوت كربلاء

كثيرا ما نقرأ ونسمع عن كربلاء (كقضية حسينية) وهي بعالم المُلك والمادة وعالم المحسوس .. ونحن نعلم أن لهذا العالم الذي نعيش فيه ونتعاطى معه وندركه بحواسنا عوالم أخرى قد تدرك بعضها أذهاننا وأرواحنا .. وأول تلك العوالم ما وراء عالم الملك هو عالم الملكوت ..

وهو عالم حقائق الاشياء ، لا يعتريه اللبس او التداخل بين الحق و

الباطل ، لأن الله جل وعلا هو المتسلط عليه ولا نصيب لغيره فيه (قل بيده ملكوت كل شيء) .. وهذا العالم لو استطعنا الإطلاع عليه لاستطعنا تفسير كثيرا من الامور التي هي بمنزلة الطلاسم لنا في عالمها المادي .. فما لا ندركه هنا ندركه هناك .. وما نرفضه هنا قد نقبله هناك أو بالعكس .

ولقد دعانا القرآن الكريم الى النظر في عالم الملكوت وندبنا اليه ولكن من خلال مداخله الحقيقية الصحيحة (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض ..) ، ومن احدى اهم مخرجات هذا النظر في هذا العالم العلوي هو اليقين (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين) ..

وعليه : فالقضية الحسينية من الأمور التي تحتاج الى معرفتها الملكوتية ، ومن الضروري الإطلاع على جوانبها النورانية ، فهي من أدسم القضايا الإسلامية من هذه الحيثية – إذا جاز القول - ، فالمعرفة الملكوتية لكربلاء يحقق لنا هدفين مهمين :

الأول : هو إدراكها على حقيقتها وعظمتها ومظلوميتها ومكانتها في السموات والأرض .

الثاني : يرفع عنا كل خطأ او شك او كسل اتجاه هذه القضية المباركة ..

فينبغي لنا أن ننظر اليها بعالمها الحقيقي ، وهذا ما وفرته لنا جملة من روايات أهل بيت العصمه عليهم السلام .

ولكن للمعرفة الملكوتية مقدمات وشرائط ينبغي أن يتوفر عليها ط الب هذه المعرفة ، ومن مقدمات الحصول على المعرفة الملكوتية على النحو الأعم (ما يشمل ملكوت كربلاء وغير كربلاء) ، بحيث من أراد أن يلج هذا العالم ينبغي له أن يدخل بتلك المنافذ و المقدمات ويحقق تلك الشروط .

ومن هذه الشروط والمقدمات :

1. تحصيل الرضا والإذن الإلهي : فعالم الملكوت هو من عوالم الغيب ، والإطلاع على الغيب يحتاج الى هذين المفتاحين ، قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ...) ، نفهم من ذلك أن هذه المعرفة استحقاق وهي مقام ودرجة .

2. الإيمان والعمل الصالح : ورد عن أحد الصادقين (ع) : .. من قال لا اله الا الله فلن يلج ملكوت السماء حتى يتم قوله بعمل صالح .. الرواية . فهذه إشارة الى أن الإيمان المقرون بـ العمل مفتاحان ومدخلان لعالم الحقيقة . وورد عن الامام الصادق (ع) ايضا : لولا ان الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لرأوا ملكوت السموات والأرض .

3. القرآن الكريم : من اهم مصادر معرفة عالم الملكوت وعوالم الغيب عامة هو القرآن الكريم .. قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) .

4. روايات المعصومين ع : كذلك من إحدى أهم مصادر معرفة الغيب هي روايات الذين اطلعوا على هذه العوالم وهم المعصومين ع .

النقاط اعلاه تمثل بعض أهم منافذ الاطلاع على عالم الملكوت .. ولا يوفق اليها الا ذو حظ عظيم .

الآن ومن خلال منافذ علم الملكوت نحاول ان شاء الله الإطلاع على ما وراء كربلاء :

أولا : الإمام الحسين (ع) في عالم الملكوت :

نحن لم نر الإمام الحسين عليه السلام في عالم الشهادة ، ويفصلنا عنه الف وبضع مئات من السنين ، ورغم ذلك فإنه من الممكن أن نراه الآن بصورته الملكوتيه ، وهي أهم وأفضل الرؤيتين وإن كان الجمع بينهما أكمل ، فكيف يكون أبو عبدالله في عالم الملكوت يا ترى ...؟

صرحت بعض الروايات في ذلك وأعطت الصورة الحقيقية له صلوات الله عليه وما هي ميزاته ودرجاته ومقاماته التي نجهلها في عالم الملك والشهادة والتي وإن علمناها هنا فإننا لم ندركها على حقيقتها كما هي هناك او قد نستغرب ونستكثر بعضها عليه ..! فهو ميت عندنا في عالمنا ولكنه حي يرزق في ع المه الملكوتي قال تعالى في حق الشهداء (أحياء عند ربهم يرزقون) ، ومهما عظمناه هنا وأكبرناه فهو في عالمه أعظم وأكبر ، عن رسول الله صلوات الله عليه في كلام له مع أبي بن كعب : (يا أ ُبي ، والذي بعثني بالحق نبيا إن الحسين بن علي (عليه السلا م) في السماء اكبر منه في الأرض وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله (حسين مصباح هدى وسفينة نجاة)) ، وعندما ندخل الى مرقده الطاهر نطلب من الله جل وعلا أن يرزقنا الجنة ولكن لو أدركناه عليه السلام كما هو في الملكوت لرأينا الدخول اليه دخولا الى الجنة ، فعن النبي (ص) : (ألا وإن الحسين (عليه السلام) باب من ابواب الجنة ، من عانده حرم الله عليه ريح الجنة) . وقد ننبهر بالنظر الى أنوار مرقده الطاهر ولكن ليس كل واحد منا يدرك نور الحسين المقتبس من نور الله سبحانه وتعالى الذي هو ك الشمس بالقياس الى نور الشمعة (اذا صح التشبيه) في رواية عن الامام الكاظم ع نقتبس منها : (ان الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه واله من نور اخترعه من نور عظمته وجلا

اله ... فلما أراد أن يخلق محمدا منه قسم ذلك النور شطرين ، فخلق من الشطر الأول محمدا ومن الشطر الآخر علي بن ابي ط الب ... ثم اقتبس من نور محمد فاطمة عليها السلام ... واقتبس من نور فاطمة وعلي الحسن والحسين كاقتباس المصابيح) ، ولو كشف لنا الغطاء لرأينا أبا عبدالله ع كما جاء على لسان بعض النصوص الشرعية (باب حكمة رب العالمين - موضع سر الله - ثأر الله - زين السموات والأرضين) الى غيرها من الأوصاف التي لا ندرك معانيها حق ادراكها ..

غير أن ما هو مطلوب منا اتجاهها هو الإيمان بها وعدم إنكارها كونها من الغيب الذي أمرتنا الشريعة الإيمان به وجعلته من صفات المؤمنين المتقين .. قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) ..

ثانيا : ابو الفضل العباس عليه السلام :

وأول هذه الصور لأبي الفضل يلتقطها لنا الامام زين العابدين وينقلها لنا وكأننا نراه حيث يقول في كلام له : رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى ، وفدى أخاه بنفسه ، حتى قطعت يداه فأبدله الله بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن ابي طالب ، وأن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة ..

وأما الصورة الملكوتية التي يصورها لنا الإمام الصادق عليه السلام في كلمات قالها عند زيارته له : .. فبعثك الله في الشهداء وجعل روحك مع أرواح السعداء وأعطاك من جنانه أفسحها منزلا وأفضلها غرفا ورفع ذكرك في عليين وحشرك مع النبيين والشهداء والصالحين والصديقين وحسن اولئك رفيقا ..

ولأن رأينا الحسين عليه السلام في ملكوته وهو بابا من ابواب

الجنة .. فإن ابي الفضل العباس ع جعله الله جل وعلا (باب الحوائج) ،يقول الشيخ القرشي رحمه الله : ما قصده ذو حاجة بنية خالصة الا قضى الله حاجته ، وما قصده مكروب الا كشف الله ما ألم به من محن الايام وكوارث الزمان وكأن ولدي محمد الحسين ممن التجأ اليه حينما دهمته كارثة ففرج الله عنه ويقول الخطيب السيد صالح الحلي (بحق ابي الفضل) :

باب الحوائج ما دعته مروعة

في حاجة اسما ويقضي حاجها

فالسلام عليه وعلى أمه قاضية حوائج المؤمنين وعلى اخوته الطيبين ..

ثالثاً : مرقد أبي عبد الله الحسين عليه السلام :

لو كشف لنا غطاء الذنوب ، كيف نرى قبر الحسين عليه السلام .. ؟

نذهب الى قبر ابي الاحرار ونرى بأم العين مظاهراً نعجز ان نجد لها تفسيرا ً ، وتعجز الكلمات احيانا ً عن وصفها ، فالطوفان البشري والمشاعر الجياشة التي تجتمع عند قبره كلها من سنخ عالمنا ، وأما ما موجود في السماء وعالم الملكوت بالنسبة لقبر هذا العبد الصالح فأكبر وأعظم ، ولكن لم يبخل علينا ائمتنا بنقل وتوصيف بعض مظاهر وجوانب الصورة الملكوتية التي اطلعهم عليها الله سبحانه وتعالى للقبر الشريف ..

-عن الامام الصادق (ع) : موضع قبر الحسين عليه السلام من يوم دفن روضة من رياض الجنة ومنه معراج يعرج بأعمال زواره الى السماء ....

-عن الامام الصادق (ع) : إن اربعة الاف ملك عند قبر الحسين سلام الله عليه شعث غبر يبكونه الى يوم القيامة ، رئيسهم ملك يقال

له منصور ، فلا يزوره زائر الا استقبلوه ولا يودعه مودع الا شيعوه ، ولا مرض الا عادوه ولا يموت الا صلوا على جنازته واستغفروا له بعد موته .

-عن الامام الصادق عليه السلام : ان فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه واله تحضر لزوار قبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم ذنوبهم ..

هذا هو قبر الحسين عليه السلام في عالم الحقيقة .. فهو روضة من رياض الجنة ، وهو مركز من مراكز قبول وصعود الاعمال في هذا الوجود المحسوس ، وهو من اهم نوادي الالتقاء بالانبياء والاوصياء والملائكة وجميع النفوس الطاهرة المطهرة . وهو قبلة النفوس التواقة لشم ريح الجنة والقرب من مجالس خير ما خلق الله وكذلك هو مهوى ومحط قلوب الاحرار من بني البشر ...رزقنا الله واياكم نظرة ملكوتية تدركها عقولنا وتتحملها قلوبنا لقبر سيدي ومولاي سيد الشهداء ووارث الانبياء ووالد الائمة الاصفياء .. انه نعم المولى ونعم المجيب..

رابعاً : تربة قبر الإمام الحسين (ع) وخصائصها الملكوتية :

لقد فضّل الله سبحانه وتعالى بعض الاماكن على غيرها لخصوصيات وعلل ندرك بعضها ولا ندرك بعضها الآخر .. وترتب على هذا التفضيل إمتيازات وكرامات وفضائل لهذه البقاع المباركة ، بعضها لا تتقبلها نفوسنا بسبب الحجب الظلامية التي البسناها بها ، والبعض الآخر لا تدركها عقولنا بسبب قصورها ، وقسم ثالث من تلك الفضائل محصور ادراكه بأصحاب الدرجات والكمالات .. ولكن كما في الحلقات السابقة نرى أن أئمتنا عليهم السلام وضحوا لنا ما خفي عنا ولم ندركه وقربوا لنا المسافات المعنوية الطويلة وما علينا إلا الإيمان بها والنيل من بركاتها وعوائدها ،قال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وا

لأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) . ومن تلك الإطلا لات الملكوتية التي أتحفنا بها المعصومون صلوات الله عليهم لهذه التربة المباركة : عن الإمام الصادق عليه السلام : السجود على تربة ابي عبدالله عليه السلام يخرق الحجب السبع .

وعنه عليه السلام : السجود على طين قبر الحسين (عليه السلام) ينور الى الارضين السبعة ، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين (عليه السلام) كتب مسبحا وان لم يسبح بها .

وعن أبي الحسن (ع) (الامام الهادي) : اكل الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير الا طين الحائر ،فإن فيه شفاء من كل داء وأمنا من كل خوف .

هكذا هي تربة ابي عبدالله الحسين عليه السلام وما لم نذكره او ما خفي كان أعظم وأكبر .. فسلام على أرض كربلاء ومن ضمته ارض كربلاء من الطاهرين الطيبين ورحمة الله وبركاته ..

خامساً : الصورة الملكوتية لمجلس عزاء الحسين عليه السلا م :

المجلس الحسيني الشريف ركن عظيم من اركان احياء القضية المباركة وهو باب واسع من أبواب العطاء الحسيني ومنبر الحكمة الكربلائية ، فلمجلس العزاء الحسيني شأن عظيم في السماء والأ رض أدركه الانبياء والاوصياء والاولياء ، وأكدوت عليه الأخبار أيما تأكيد وأعطتنا الكثير من الحقائق المتعلقة به ، ومنها الحضور القدسي لأهل السماء ومشاركتهم أهل الأرض في إحياءه : روى الكشي بسند عن زيد الشحام ، قال : كنا عند ابي عبدالله عليه السلام ، فدخل عليه جعفر بن عثمان ، فقربه وأدناه ثم قال : يا جعفر ، قال : لبيك ، جعلني الله فداك ، قال (بلغني انك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد) فقال نعم ، جعلني الله فداك ، قال (قل) فأنشدته فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه

ولحيته ثم قال : يا جعفر والله لقد شهدت الملائكة المقربون ها هنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا وأكثر الى ان قال : ما من احد قال في الحسين شعرا فبكى وأبكى به الا أوجب الله له الجنة وغفر له (المصدر : رجال الكشي 187) .

سادساً : الصورة الملكوتية لأصحاب الحسين ع :

خير اصحاب بنص الإمام الحسين ع عندما قال بحقهم (فإني لا أعلم اصحابا أوفى ولا خير من أصحابي) فما هي حقيقتهم اذن في عالم الملك وكيف هم وماهي ملامح صورتهم ..؟ نستفيد من بعض الاخبار بعض ملامح تلك الصورة القدسية :

1.هم (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) حيث ورد عن المعصوم ع في الزيارة : اللهم ثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين واصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين ع .

2.ملكوت (جون) : لا شك انه ينعم بدعاء الامام الحسين ع : اللهم بيض وجهه وطيب ريحه واحشره مع الابرار وعرف بينه وبين محمد وال محمد ص .

3.ان الاصحاب الان وبشهادة المعصوم في الزيارة : اشهد انكم احياء عند ربكم ترزقون ، اشهد انكم الشهداء والسعداء وانكم الفائزون في الدرجات العلى .

4.كلام للإمام الحسين ع : صبرا بني الكرام فما الموت الا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء الى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة ، فأيكم يكره ان ينتقل من سجن الى قصر ؟ وما هو لأعدائكم الا كمن ينتقل من قصر الى سجن وعذاب ، ان ابي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء الى جنانهم وجسر هؤلاء الى جحيمهم

، ما كذبت ولا كذبت .

هذا هو سنخ عالم ملكوت اصحاب الحسين عليه السلام وهذه بعض جوانب حياتهم في عالم الحق والحقيقة .. (اشراقة : اختبر الامام الحسين ع اصحابه بأكثر من اختبار واهمهما 1. قال لهم انتم في حل من بيعتي وسمح لهم بتركه 2.اخبرهم بأنهم مقتولون . وعندما نجحوا بهذين الاختبارين واصروا على البقاء معه بشرهم ببشارتين : 1. انهم سوف لا يشعرون بحر السيف 2.كشف لهم الغطاء واطلعهم على منازلهم في الجنة).فالسلام على الحسين وعلى من قتل بين يدي الحسين ع .

سابعاً : ملكوت قتلة الحسين عليه السلام :

عند استنطاق بعض الروايات والاخبار التي تتحدث عن قتلة الإمام الحسين عليه السلام ، نراها أنها صورت لنا بعض حقائق هذه الطغمة وعواقبهم :

1. انهم ذئاب بحقيقتهم : قال تعالى (ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) ، فلقد اشارت الاية الكريمة الى حقيقة بعض بني البشر الذين ختموا على عقولهم واسماعهم حجب الضلال والشقاء ومنهم قتلة الحسين ع ، عن الامام الحسين ع (كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات ما بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشا جوفا وأجربة سغبا) عسلان : ذئاب

2. انهم كلاب بحقيقتهم : قال تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)، روي أنه لما كان وقت السحر استيقظ ا

لامام الحسين ع وقال : اتعلمون ما رأيت ..؟ قالوا فما رأيت ياابن رسول الله ؟ قال (رأيت كلابا قد شدت علي لتنهشني وفيها كلب ابقع رأيته كأشدها علي وأظن الذي يتولى قتلي رجلا ابرص من بين هؤلاء القوم .. .

3. عن الرسول ص : ان قاتل الحسين ع في تابوت من نار عليه نصف عذاب اهل النار وقد شد يداه ورجلاه بسلاسل من نار منكس في النار حتى يقع في قعر جهنم وله ريح يتعوذ اهل النار الى ربهم عز وجل من شدة ريح نتنه .. الرواية .

هذا هو حال اعداء الحسين عليه السلام وحال قتلته وهكذا هي حقيقتهم وهم يسئمون ويتعذبون بلعنة اللّه ودعاء جميع المخلوقات عليهم باللعن والعذاب .. اللّهم انا نبرء اليك منهم واجعلنا ممن شايع وتابع ونصر الحسين عليه السلام وارزقنا شفاعته يوم الورود ..

والحمد لله رب العالمين ..

مع المنبر الحسيني

(أصعد على هذه الأعواد ، فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا ولهؤلاء الجالسين اجر وثواب) بهذا المقطع عرّف الامام السجاد عليه السـ

لام المنبر في مجلس اللعين يزيد بن معاوية ..

للمنبر في الثقافة الإسلامية حضور مميز ، ويمثل أحد أهم الأ دوات والوسائل التي يطلّ بها الإسلام على شرائحه المختلفة التي يستهدفها ، وقبل أن يكون له حضوراً في الثقافة الإسلامية فإن له كذلك حضوراً في الثقافة الإنسانية ، لأن فيه تجتمع كل المؤثرات والمقوّمات التي تحتاجها الكلمة من أجل الوصول من المتكلم الى عقل وروح السامع ، فهو يحمل إذن هذا المستوى من الأهمية و الخطورة والحساسية ..

فالأديان لها منبرها ، والمعاهد التعليمية لها منبرها ، والمحافل الأ دبية والإعلامية .. الخ ، وكذلك القضية الحسينية المباركة ، فإنها اتخذت من المنبر إحدى أهم طرق وأشكال ومظاهر إحياءها وتأصيل أهدافها في الأمّة ، الى الدرجة الذي بات فيها المنبر الحسيني محلّ القلب من الجسد في مجمل الشعائر الحسينية المعظمة .. يقول محمد جواد مغنية في مقدمة ادب الطف لجواد شبر : " والشيعة لا يملكون من وسائل الاعلام الا المنبر الحسيني وبعض المؤلفات ، ولكن جماهير منبر الحسين لا يحلم بها كاتب ومؤلف ، وهو سلاح له خطره ومضاؤه في محاربة الباطل واهله ، والزندقة والالحاد ، لان الهدف الأول من هذا المنبر أن يبث في الناس روح الحسين ، حتى اذا رأوا باطلا ً قاوموه ، وحقاً ناصروه .. " .

سنحاول من خلال الفقرات التالية تناول بعض الجوانب المعرفية والمهمة للمنبر الحسيني الشريف :

▪ المنبر والكلمة الطيّبة : كثيرةٌ هي الطرق التي يُعالج فيها المنبر القضايا التي تهمّ مخاطبيه وشرائحه المستهدفة عموماً ، ولكن أكثر ما يعجبني من هذه الطرق هي تلك التي تناقش العقلية الخاصة بكل قضية وتوضح الافكار المنتجة لمظاهرها والموصلة

لنهايات حسمها ، على عكس الطرق التي تهتم بمناقشة ومعالجة ومواجهة الانعكاسات الخارجية لتلك العقلية والمصاديق الواقعية والظواهر المُشاهدة والمحسوسة لها ..

ففرق بين أن تنتقد او تؤيّد حالة معينة وبين ان تنتقد وتؤيد العقلية والآلية الفكرية التي انتجت تلك الحالة وتلك الجزئية المعينة .. فنقد العقلية المنتجة يكون اجدى نفعاً واغزر ايراداً واطول عمراً نافعا ، لأن الاشكال والمصاديق متغيرة بينما الافكار والايدولوجيات ثابتة واطول عمراً في العادة ..

ولعل هذا من مصاديق الكلمة الطيّبة التي عبّر القرآن الكريم عنها بأنها متمددة بالاتجاه المكاني والزماني ، اصلها ثابت وفرعها في السماء ، وكذلك تؤتي أكلها في كل حين .. في مقابل الكلمة التي لا قرار لها ومصيرها الفناء والنسيان ..!!

وهذا المنبر الذي تُطرح فيه الكلمة الطيبة - بحسب المفهوم المتقدم - لا نراه دائماً ، والسبب يعود تارةً الى الخطيب نفسه او الى جلاسه ومستمعيه ، بحسب المستوى والرغبة والتفاعل والا هتمام من قبل الطرفين .. الا أن الجمع انفع واولى ، فيمكن للخطيب البارع ان يُناقش الافكار والعقليات المختلفة للقضايا المطروحة ثم يُسندها بالاشكال والحالات المُعاشة والمحسوسة كأمثلة وشواهد ..

▪ المنبر الحسيني وتنازع المسؤولية بين الخطيب والجمهور : كلٌ منا يضع مسؤولية الارتقاء بالمنبر الحسيني والحفاظ على اهدافه ورسالته بعاتق الخطيب بالدرجة الأولى ، باعتبار ان ذلك راجع الى قوة شخصيته ومستوى علميته ومهارته للخطابة واجادته للقراءة الحسينية بما تتضمن من مقوّمات واركان ..

الا ّ اننا في ظل التطور الرهيب لوسائل الاعلام والمساحة العريضة التي اصبحت تغطيها وما رافق ذلك من تغيّر في مزاج المتلقي ومستوى ثقافته واختلاف قناعاته وارتفاع سقف مطالبه

ورغباته وبشكل اصبح الرأي العام يُصنع بسرعة البرق والعقل الجمعي بات يُقاد بكل يسر وسهولة .. هذا التغيير صار له تأثير كبير وقوي ومباشر على ثقة الخطيب بنفسه وطريقة طرحه ومادة معلوماته ووحدة موضوعه وسائر اختياراته ..

ولهذا فنحن أمام مسؤول جديد على المنبر الحسيني وهو (الجمهور) وليس (الخطيب) ، فأصبح المتلقي هو المسؤول على نجاح الخطيب وابرازه وانتقاءه ، وكذلك على مستوى واسلوب ذلك الخطيب من خلال حجم الحضور والرأي العام الذي يصنعه له عن طريق وسائل الاعلام المتوفرة لديه .

فعندما يجد الخطيب ان الجمهور يميل لمواضيع معينة دون اخرى ، وينشدّ الى اسلوب محدد في الطرح دون اخر .. فإنه سيضطر من حيث يريد او لا يريد الى مواكبة وارضاء الجمهور ..

سابقاً كانت المجالس مقتصراً سماعها على الحضور الخاص بـ المجلس ، وفي الغالب كان الخطباء محليّين لكل منطقة او مدينة ، ولا يُتاح للمتلقي المقارنة الكافية بين أكثر من خطيب ، وحتى ان قارن وانتقى فإن الانتقال بين البدائل غير ممكن له .. علاوةً على قناعة المتلقي سابقاً بمواضيع محددة واساليب معينة .. كل ذلك جعل المسؤول في السابق ومن له القول الفصل في المنبر هو الخطيب على عكس الآن كما بيّنا بأنه اصبح الجمهور ..

ولهذا اصبحت القضية اكثر تعقيداً واصبح المنبر الحسيني مهدداً بأن يكون موجـ َهاً لا موجهاً ، وتابعاً لا متبوعا ..

فدوفي الوقت الذي لا نقول فيه بالدور الكبير للجمهور في تقييم وتقويم ما يطرح على المنبر الا ّ اننا ينبغي ان نحافظ على دور الخطيب في ذلك ولتكن المسؤولية مشتركة ، فلقد ارتقى زين العابدين منبراً في محضر يزيد اللعين وكان الرأي العام كله ضده ولكنه عندما خطب خطبته التي التزمت بقانون (لله فيها رضا وللحاضرين اجر وصلاح) استطاع عندها ذلك المنبر ان يفعل فعلته ويعطي رسالته ويجني ثمرته ويقلب المعادلة على يزيد ..

▪ المنبر الحسيني (تبليغي أم شعائري ..؟) : إنّ المهمّة الأساسية للمنبر في الإسلام هي التبليغ ، والتبليغ مفردة قرآنية لها فلسفتها وعمقها الإسلامي الخاص ، فالتبليغ مهمّة نبي الإسلام صلوات الله عليه الرئيسة بل هي مهمة جميع الأنبياء والرسل (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا) ..

والمنبر الحسيني هو منبر رسول الله صلوات الله عليه ، وأن التبليغ هو المهمّة الأولى لهذا المنبر المقدس ، نعم ، لا ينبغي أن تطغى الصفة الشعائرية العاشورائية (وأقصد هنا صفة المُصاب بسيد الشهداء والحزن والبكاء عليه) على الصفة التبليغية وإن أصبح ذكر مظلومية كربلاء جزءً مهماً ومكمّلاً لوظيفة المنبر ومحرّكاً كبيراً نحو أهدافه وتحقيق غاياته ..

لقد استعمل رسول الله ص واله وأئمة أهل البيت عليهم السلام العاطفة في خطبهم وبلاغاتهم ووظفوها خير توظيف وهكذا استثمر أتباع أهل البيت ع منبر رسول الله ص في أداء فريضة تعظيم مصائب العترة الطاهرة ..

وهذا ما يقوم به أكثر خطباء المنبر الحسيني أعزهم الله اليوم ، فتراهم يجيدون المهمّتين معاً ، فيعطون للتبليغ الاسلامي حقّه ، يفسرون القرآن وينقلون الروايات الشريفة ويناقشون التأريخ الإسلامي ويبلغون أحكام الله ويرصدون مجتمعهم ويبذلون جهدهم في الإرشاد والتوجيه ثم يعرّجون على الطف ويعظّموا مصيبته ويحرّكون العواطف خير تحريك حتى يقوم مستمعهم من مجلس الوعظ والتبليغ والمصيبة متعمقاً في ثقافة دينه ومنصهرةً روحه مع روح الإسلام وقادته ..

▪ المنبر المعرفي : هل المنبر الحسيني هو وقفٌ لذكر القضية

الحسينية ومصيبة كربلاء أم هو أوسع من ذلك وأشمل ..؟

والجواب نجده سريعاً في قوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) يس 12 ، الوارد تفسيرها في علي بن ابي طالب عليه السلام بأنه هو الامام المبين .. وهم نور واحد صلوات الله عليهم اجمعين ..

فالمنبر الحسيني هو منبر رسول الله ص واله كما بيّنا في المنشور السابق ، ومنبر رسول الله هو منبر الاسلام ومنبر القرآن الذي قال تعالى عنه (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) ..

المنبر الحسيني منبر اسلامي انساني معرفي ، يتسع باتساع الاسلا م في الحياة ، وهو الحاضر الذي يأخذ من التأريخ ما ينفع في صناعة المستقبل ، وهو تلك الحاضرة العلمية التي ترفد الميادين بـ الابطال والقادة ، وهو ذلك الغيب الذي يتجلّى بكل ما هو عظيم وجليل القدر في عالم الشهود ..

ولعل منبر الشيخ الوائلي (قد) هو أحد أهم المنابر المعرفية التي عاصرناها ، ولعل شموليته المعرفية سببها امكانية الخطيب المعرفية من جانب وكون محاضرته عبارة عن محاضرة قرآنية بـ الدرجة الأولى حيث يبدأ بآية ثم يستوعبها تفسيراً وتأويلا ً معززاً ذلك بالشواهد التاريخية والعلمية المتنوعة والمختلفة ، ومن خلال خبرته وحذاقته يستطيع ان يعرّج الى كربلاء ويربط محاضرته تلك بواقعة الطف ربطاً سلساً يوحي لك بأن المحاضرة القرآنية كلها كانت عن كربلاء ومصيبتها ، ولا ننس صوته الشجي الذي ينمّ عن أحزان عميقة خالطتها مشاعر رقيقة تنحدر عن مطالب علمية دقيقة ، فكان ولا زال منبره عميد المنبر الحسيني بجدارة ..

فنعم .. الحسين هو تلك المعرفة الشاملة الحقة وحقيق بمنبره ان يكون منبراً معرفياً يشع نوره على غياهب ظلام الجهل والظلم في كل زمان ومكان..

▪ من أشكال المنبر الحسيني : توسّعت أشكال المنبر الحسيني بسعة مفهومه ومعانيه ، فلم يعد المنبر مختزلا ً بشكله المتعارف ولم يعد صوته محصوراً في زمان ومكان ضيّق وإنما أصبح يملأ كلّ العالم ويصل صداه الى كل زاوية منه ..

لم تعد مواضيع المنبر مقتصرة على إحياء كربلاء المصيبة وإنما بات المنبر الحسيني يحيي كربلاء القضية ، تلك القضية التي تمتد اهدافها بإمتداد الأرض واتساع السماء ..

لم يستهدف المنبر المعاصر دائرة المفجوعين بمظلومية الطف و المتألمين لمظلومية أهل بيت النبوة وأصحابهم وإنما بات لساناً ناطقاً عن كل مظلوم على وجه هذه المعمورة ، هو الناطق الرسمي عن كل ظليمه وكل حيف تصيب الإنسانية ..

منبرك يا سيدي يا ابا عبد الله بات صفحةً على فيس بوك او حساباً على تويتر وانستگرام ~ ، فضائيةً يملأ أثيرها الأجواء او موقعاً الكترونياً على الويب ..

استطعنا ان نجعل من منبر الأمم المتحدة اعواداً تُرتقى لكلام فيه رضى الله وصلاح الإنسانية ، واصبح مجلسك ميادين الاعتصام وساحات التظاهر ..

فهمنا كيف تكون كل أرض كربلاء وكل زمان عاشوراء ، ولا زلنا نفهم بعد ..

▪ المنبر الحسيني ببعديه العربي والاسلامي : العربية بلغتها وبلا

اغتها وابداعها هي لغة خطابية بإمتياز وقد توفرت لها كل أساليب وأدوات إيصال المعنى بأفضل القوالب اللفظية وأكثر الأساليب تأثيراً بالمتلقي وبشكل يكاد أن يكون بعض الاحيان إعجازياً وخاصةً عندما يفعل في المقابل فعلته ..

والخطابة هي عماد المنبر ووظيفته الرئيسة ، وكان الخطيب في الجاهلية له دوره ومكانته بين قومه حتى اصبح يُقدّم على الشاعر ، كتب الجاحظ : كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب ، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخّم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم ، فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء ، اتخذوا الشعر مكسبةً ، ورحلوا إلى السوقةِ ، وتسارعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر .. البيان والتبيين 126/1

وعندما جاء الإسلام كذلك اعطى اهتماماً خاصاً للمنبر وأضفى عليه قدسيته وجعله مكاناً مهمّاً لعبادة يُتقرب بها إلى الله تعالى ، فلقد مارس الرسول ص واله بنفسه الخطابة وتصدى للمنبر حتى اصبح المنبر الإسلامي يسمى منبر رسول الله ، ودّعمه صلوات الله عليه بالنصوص الشرعية بحقه ، مثل (منبري هذا على تُرعة مِن ترع الجنّة ، وقوائم منبري رواتب في الجنّة) و (ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنّة) و (منبري على حوضي) ..

وظّف رسول الله ص واله المنبر توظيفاً اسلامياً مرموقاً وفي احوال مختلفة واوقات حرجة جنى منه ثمرات كبيرة ، فنراه يقف خطيباً بشكل اسبوعي من خلال صلاة الجمعة ، وهناك خطابة حولية مثلا ً كما في العيدين ، يقف خطيباً في الحج على اختلا ف اماكن واوقات المشاعر المقدسة ، يقف خطيباً في الحرب والا وقات الحساسة .. ولكل خطابة اسلوبها الخاص واهدافها المرجوّة ..

وبعد واقعة الطف اعطى اهل البيت عليهم السلام مهمّة جديدة تضاف الى مهامّه الاسلامية المختلفة ، فكلّفوه بوظيفة احياء امر كربلاء وتعظيم القضية الحسينية والافصاح عن اهداف عاشوراء والعمل لأجلها والاعلام عن تلك المظلومية التي تعرّض لها ابو عبد الله ع واهل بيته وصحبه ، فبات المنبر الحسيني شعبةً مهمةً من منبر رسول الله ، اول من وقّع على انطلاقته هو الامام زين العابدين وعمته زينب عليهما السلام في قصور الظالمين وقعر دار ظلمهم وطغيانهم ..

وكما ان الحسين من رسول الله ورسول الله من الحسين ، فإن منبر الحسين هو من منبر رسول الله ومنبر رسول الله من منبر الحسين .. صلوات الله عليهم

▪ المنبر الحسيني والعاطفة : العاطفة جزء لا يتجزء من الخطابة الحسينية بل هي هدف من اهدافه الرئيسية لما فيها من اجر وثواب وكونها من اوضح مظاهر الإحياء الحسيني ..

ويُخصص في العادة لهذا الجزء المهمّ الدقائق الاخيرة من الخطبة واحياناً قليلة يقوم بعض الخطباء بتهييج عاطفة الحضور في بداية الخطابة ايضاً ، وان هذا الترتيب العام للخطبة الحسينية الذي هو :

* مدخل تقليدي في العادة يتمثل بالصلاة على رسول الله وعلى اهل بيته وعلى ابي عبدالله الحسين وتمني المعية معه في عرصة كربلاء ..

* المبحث الرئيس للخطبة

* ذكر المصيبة (العاطفة الحسينية)

* الدعاء

هو يعتبر ترتيباً نموذجياً في الواقع ولا اتوقع انه يُعرف له مقنن او واضع ..

ما اريد قوله هنا هو ان بعض الخطباء ومن اجل حصول حالة هيجان عاطفي كبير في مجلسه يعمد الى ذكر روايات تاريخية ضعيفة او اقوال لا اصل لها بعذر انها تتكلم بلسان الحال فضلا ً عن القصص الخيالية المختلقة .. وهذا الأمر فيه محاذير كبيرة ، فقد يعتبر كذباً على معصوم او هتك حرمته او يسبب ابتعاد عن امور مهمة في الواقعة بسبب كثرة الاختلاقات والاضافات .. في الوقت الذي يستطيع به الخطيب الحاذق والمتمكن من تهييج هذه العاطفة بروايات صحيحة وقصص حقيقية واحداث صادقة ، وهذا ما لاحظته شخصياً عند المرجع محمد تقي المدرسي دام ظله مثلا ً ، فرغم انه دام ظله ليس خطيباً محترفاً الا انك تجده من خلال رواية او روايتين صحيحتين يرويهما بعاطفة جيّاشة ودمعة صادقة وقلب حزين فعلا ً تجد مجلسه يعج بالحزن و البكاء والتأثر .. وكذلك وجدتها عند سماحة الشيخ المرجع اليعقوبي دام ظله ، فكم من رواية صحيحة نقلها نقلا ً بدون اي لحن او ترجيع بالصوت ينفجر فيها بالبكاء ويفعل فعلته بالاخرين وبشكل عفوي لا ارادي ، سواء في خطاباته الفاطمية او في كلماته التي يلقيها في مكتبه الشريف ..

فالعاطفة الحقيقية تُصَدّر للآخرين بكل سهولة ويسر وما يخرج من القلب يدخل الى القلب بلا استئذان ..

- من جهابذة المنبر الحسيني :

فقيد العلم والأدب والمنبر ، الدكتور أحمد الوائلي :

الحديث عن هذه الشخصية ينبغي أن يتعدد بتعدد جوانبها المباركة ، فهو حوزوي قد نال من دروس الحوزة الشريفة ما يؤهله لنيل أعلى درجاتها ، فقد سمعت منه ذات مرة ما يؤكد ذلك ، حيث سأله أحدهم سؤالا ً فقهياً فلم يجبه برأي غيره وكذلك اعتذر عن البت بالمسألة لأنه لم يقف على جميع ادلتها ومقدمات استنباطها بعد ..فتأمل ..!

وهو شخصية علمية اكاديمية نال في تخصصه - علم الاقتصاد - درجة الدكتوراه وما فوقها ، اي الاستاذية .. وهو شاعر وأديب ، له ديوان مطبوع ، وهو شخصية مثقفة ومطلّعة الى حد الموسوعية ، وهذا يُستشفّ من مجرد الاستماع اليه .. وهو رضوان الله عليه كاتب ومؤلف ، حيث له كتب مطبوعة ومعروفة ..

الا أن أشهر جانب معرفي له وأوضح كل تلك الجوانب هو تألقه في الخطابة الحسينية وما تتضمنه من وعي ووعظ وإرشاد ونصح وتوجيه وتعليم ، فهو مدرسة حسينية شجية وخطابية وعظية مرموقة ، بل هو على رأس قائمة الخطابة بلا منازع .. سواء من حيث المحتوى أو الأسلوب والطريقة التي باتت طريقة معيارية وقياسية لغيره من الخطباء ..

أفنى عمره (١٩٢٨ - ٢٠٠٣) يتنقل من أروقة العلم الى منابر الوعظ والارشاد ، عالج المشاكل الحياتيه التي يعيشها عصره بشتى الوسائل ، بقلمه وشعره ولسانه ، وتحمّل في سبيل ذلك وعائلته ما تحمّل من سجن وقتل ونفي وغربة ..

طريقته في الخطابة الحسينية باتت معروفة ومشهورة ، يبدأ بآية قرآنية أو آيات ، يدور محورها حول موضوع مهم يختاره بما يناسب المناسبة والظرف والحال ، يعالج من خلاله مشكلة او مشاكل علمية او اجتماعية او اقتصادية .. الخ ، يطعّمه بمسائل ونكات فكرية متنوعة ، يستطعم مائدته الخطابية كل صاحب

اختصاص ، وتنتفع منها كل شرائح المجتمع .. يعرّج بعد كل ذلك على مصيبة ابي عبدالله الحسين بذلك الصوت الحزين والشجي ..

هو صاحب رأي بكل ما يطرحه تقريباً في خطابته - رغم احترامه لاصحاب الاختصاص - ، سواء كان تفسيراً او تأريخاً او موضوعة علمية او اجتماعية .. يمتاز بالذوق الادبي وبالاسلوب المنطقي و التحقيقي ، يعرف كيف يبرهن ويجادل ، يناقش فكر الاخر بكل اخلاق وروية .. والكلام كثير وكثير ..

شيخنا الوائلي ، جزاك الله كل خير ، طاب ثراك وذكراك ، لم ولن تغب عن ذاكرة المنبر ما بقى الدهر ، ونقول لك كما كنت تنعى الحسين على لسان اخته زينب عليهما السلام :

الچان اتريدني أنسه

وأبطل النوح ووניني

اخذ ذكراك من گلبي

واخذ صورتك من عيني

+ عمره الشريف (١٩٢٨ - ٢٠٠٣) : ٧٥ عاماً

زيارة الحسين عليه السلام مشيا ً على الأقدام

التواضع والخضوع لله تعالى هو جوهر أكثر العبادات ، فالسجود على الأرض في الصلاة ، وتعفير الجبين ، وتخلي الحاج والمعتمر أثناء الإحرام عن المخيط ، والتظليل والإدهان ... الخ ، والجوع و العطش أثناء الصيام ، ومنطوق ومضمون الأدعية والمناجاة .. الخ كلها مظاهر عبودية وحالات تواضع وخضوع لله تعالى ، وعليها يدور مدار الأجر والثواب ..

والسعي مشياً لأداء بعض الفرائض العبادية من أظهر مظاهر التواضع لله تعالى ، وكان معروفاً لدى المسلمين ، وقد قام به بعض الائمة صلوات الله عليهم ، فروى الشيخ المفيد (قد) : روى إبراهيم بن الرافعي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : رأيت الحسن و الحسين يمشيان إلى الحج ، فلم يمرّا براكب إلا نزل يمشي ، فثقل ذلك على بعضهم ، فقالوا لسعد ابن أبي وقاص : قد ثقل علينا المشي ، ولا نستحسن أن نركب وهذان السيدان يمشيان ..

فقال سعد للحسن : يا أبا محمد ! إن المشي قد ثقل على جماعة ممن معك ، والناس إذ رأوكما تمشيان لم تطب أنفسهم أن يركبوا ، فلو ركبتما ؟ فقال الحسن لا نركب ، قد جعلنا على أنفسنا المشي إلى بيت الله الحرام على أقدامنا ، ولكنا نتنكب الطريق ، فأخذا جانباً من الناس ..

فالمشي فيه تواضع واضح مقارنةً بالراكب ، وفي الحديث عن النبي (ص وآله) : " ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة .. ! قالوا : وما حلاوة العبادة يا رسول الله ؟ قال : " التواضع " ..

ولمّا كانت زيارة ابي عبدالله الحسين عليه السلام من افضل العبادات والقربات الى الله تعالى ، جاء التأكيد على أداء هذه

العبادة المقدسة مشياً ، مع والثواب العظيم المذخور لذلك ..

ومرقد الإمام الحسين عليه السلام قريب للماشي ، وهذا ما نفهمه من منطوق الروايات التي تتحدث عن وحدة قياس المشي الى مرقد ابي عبدالله يتناسب والمسافات القصيرة ، لأننا من خلال وحدة القياس المستعملة في المسافات يمكننا أخذ فكرة تقريبية عن مدى قرب وبعد الأشياء ، سواء في البعد الزماني او المكاني ..

فمثلا ً ، يقاس بُعد النجوم بالسنين الضوئية لأنها شاسعة البعد ، والقمر مثلا ً بمئات آلاف الكيلومترات ، وعلى الأرض ببضع الاف ومئات وعشرات الكيلومترات وأدنى ، وبحسب طول وقصر المسافة ..

بينما لسان الروايات التي تتحدث عن ثواب وكرامة المشي الى قبر ابي عبدالله عليه السلام نجدها تستعمل لفظ " الخطوة " ، وهذه وحدة قياس القريب بل القريب جداً ..! عن أبي الصامت قال : سمعت أبا عبدالله ع وهو يقول : من أتى قبر الحسين ع ماشياً ، كتب الله له بكلّ خطوة ألف حسنة ، ومحا عنه ألف سيّئة ، ورفع له ألف درجة ، فاذا أتيت الفرات فاغتسل وعلق نعليك وامش حافياً ، وامش مشي العبد الذليل ، فاذا أتيت باب الحير فكبّر أربعاً ثمّ امش قليلا ً ، ثمّ كبّر أربعاً ، ثمّ ائت رأسه ، فقف عليه فكبّر أربعاً وصلّ عنده واسئل الله حاجتك . كامل الزيارات ١٣٣

ولم يكن طريق المشي الى زيارة أبي عبدالله الحسين ع طريقاً تقليدياً كأي طريق ينقل الشخص من مكان إلى مكان ، وإن كان ظاهراً هو كذلك ، ولكن في حقيقته هو طريق سير وسلوك روحي ومعنوي الى الله تعالى ، وما يبرهن على ذلك كثير ولكننا نكتفي بأمرين اثنين :

الأول : الثواب الآخروي الذي سجلته النصوص الشرعية لسالك هذا الطريق وما أُعدّ له من قرة أعين وجزاء عظيم ، عن علي بن ميمون الصائغ عن أبي عبدالله قال : يا علي زر الحسين ولا تدعه

قال : قلت : ما لمن أتاه من الثواب ؟ قال : من أتاه كتب الله له بكلّ خطوة حسنة ، ومحا عنه سيّئة ، ورفع له درجة ، فاذا أتاه وكّل الله به ملكين يكتبان ما خرج من (فمّه) من خير ، ولا يكتب ما يخرج من فيه من شيء ولا غير ذلك ، فاذا انصرف ودّعوه وقالوا : يا وليّ الله مغفور لك ، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله ، والله لا ترى النار بعينك أبداً ، ولا تراك و لا تطعمك أبداً ..

الثاني : المنازل المعنوية التي يستشعرها السائر واللذة التي يستطعمها فيه والبركات والكرامات التي يحسها ويشاهدها في كل خطوة يخطوها ومسافة يقطعها والتي تعجز الأقلام عن تسجيلها والألسن عن سردها ..

فللطريق الروحي هذا منازله ومواكبه وراحلته وخدمته وطعامه وشرابه كما للطريق الظاهري منازل ومواكب ... الخ ، هذا ما نريد التطرق إليه هنا ونحاول إستشرافه من أهله وأربابه لأننا وكما قيل - فاقد الشيء لا يعطيه - .. وعلى بركة الله نبدأ :

المنزل الأول : المعرفة ، أول الدين معرفته كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا المنزل ينبغي أن لا يفارق السائر لزيارة الحسين على طول الطريق ، فيتحرك معه حيثما تحرك ، ولقد ورد الحث والتأكيد على المعرفة من قِبل الزائر بحق الحسين عليه السلام ، بل أكثر الروايات تجعل إمتيازات الزيارة في الدنيا و الآخرة متوقفة على هذه المعرفة ، ففي الخبر (مَنْ أتى الحُسَيْنَ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ غَفَرَ اللَّه ُ لهُ مَا تقدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَ مَا تأخّرَ) (الكافي ج4 ، ص582 ، ح8) .

فالمعرفة إذن من أول منازل السائر لأبي عبدالله الحسين عليه السلام ، وتبقى معه إلى آخر الزيارة بل من المفترض أن تزداد وترتقي ، ويمكن أن نفهم هذا الترقي على نحو التصديق الذي يتبع

المعرفة التصورية بحسب تعبير علم المنطق .. أن نعرف الحسين عليه السلام كعقيدة والتزام ، وكربلاء كقضية إسلامية كبرى تقع مسؤوليتها على عاتقنا ، ومظلومية أبي عبدالله كفاجعة قد أحزنت السماء قبل الأرض ينبغي التفاعل معها بمشاعر صادقة وأحزان واعية ، وأن الحسين في السماء أكبر منه في الأرض وأن كل ما نقوم به من تعظيم له فإن هناك استحقاق أعظم لم نصل الي ادائه بعد ، ومن المعرفة ايضاً هو أن نط ّلع على ملكوت هذه النهضة المباركة ملكوت كل ما يتصل بها مع الإيمان به .. كل هذه الخطوات المعرفية عبارة عن خطوات معنوية تسير مع خطوات المشي على طريق كربلاء ..

المنزل الثاني : التخلّي والتحلّي ، ومن محطات السير والسلوك عند أهل المعرفة وروّاد عالم المعنى هي محطة التخلّي والتحلّي ، التخلّي من القبائح والتحلّي بالفضائل .. والتخلي قبل التحلي عندهم ، فأول مهامهم التخلص من العادات والممارسات التي تكون عثرات في سيرهم وسلوكهم قبل التحلي والتزود بالفضائل والمحاسن التي تعتبر رواحل الطريق ومراكب قطعه والانتقال بين منازله ..

وكذا طريق السلوك الحسيني ، فإن من أوائل منازله وأهمّها هو التخلي والتحلي ، ولكن هنا في هذا الطريق يوجد تغاير وترقي في التخلي والتحلي مقارنة في تخلي وتحلي طرق السير الأخرى وذلك من جهتين :

1. في طريق السير الحسيني يحصل التخلي والتحلي معا وفي آن واحد وليسا متعاقبين كما في طرق السلوك الأخرى وعليه يكون هنا اختزالا ً للمنازل واختصاراً للطريق ..

2. هناك يحصل التخلي عن مسببات الذنوب والتحلي بمسببات الحسنات بينما في طريق السير الحسيني يكون التخلي تخلياً

مباشراً للذنوب وتحلياً مباشراً بالحسنات ..

وما يؤكد كلامنا هذا هو الروايات الشريفة التي تؤكد هذه الحقائق ، ومنها الرواية التي تنص على أن الماشي للحسين عليه السلام وهو في طريق المشي وقبل أن يصل إلى قبره الشريف يكون له في كل خطوة حسنة (تحلي) و تمحى عنه سيئة (تخلي) .. وهذا يحصل دفعة واحدة .. بل الأمر أكثر من ذلك ، فالرواية السابقة عن أبي الصامت تنصّ : (سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول : من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشيا كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ، ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة) .

المنزل الثالث : منزل المُفلحين ، بعد أن حاز سائر أبي عبدالله الحسين عليه السلام على منزلين عظيمين وهما بمثابة السمائين في سمو وعلو العبادة الحسينية المقدسة وهذان المنزلان :

* منزل المعرفة بحق الحسين ع ..

* منزل التحلي والتخلي ..

فها هي سفينة النجاة تسير حثيثاً براكبيها ولا تطيل بهم الطريق أو تكثر لهم منازل الوصول كما هو في طرق السلوك الأخرى .. فالآن يصل السالك إلى منزل " الفلاح " ، وهو أول منازل الوصول إلى حضرة القدس الحسيني أي الحائر الشريف ، فعن الحسين بن علي بن ثوير بن أبي فاختة قال : (قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا حسين من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة وحط بها عنه سيئة ، حتى إذا صار بالحائر كتبه الله من المفلحين ..) « تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج6 ص43» .

والفلاح من فلح ، ومعنى فلح في لسان العرب : الفَلَح والفَلاحُ الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير .. وهذا المعنى عظيم وكبير ومنزل سام ٍ يصل إليه زائر الحسين عليه السلام ، حيث يضمن صاحبه :

1.النجاة من المرهوب ..

2. الفوز بالمطلوب ..

3. البقاء والحفاظ على المكسوب ..

والذي يتتبع موارد الحصول على الفلاح ومقدمات الفوز به في القرآن الكريم سيجدها عظيمة ومنها :

- ذكر الله كثيرا : (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .

- التقوى : (فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون) .

- الجهاد في سبيل الله : (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) .

- عبادة وفعل الخير : (واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) .

وفي قبال ذلك فإن القرآن صـ ّرح بأن الفلاح لا يدرك بعض الأ شخاص والفئات ومنها :

- إنه لا يفلح الظالمون .

- إنه لا يفلح المجرمون .

- ولا يفلح الساحرون .

- إنه لا يفلح الكافرون .

- إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون .

من هذا نستطيع أن نستنتج أن زائر الحسين ع الذي يصل إلى منزل الفلاح قد حاز على بعض أو كل مقدمات إدراك الفلاح وكذلك نبذ وابتعد عن جميع موانعه ..

فهنيئا للزائرين المفلحين ، وليكن دعاء الراكبين في سفينة الحسين عليه السلام كدعاء نوح النبي عندما استوى على السفينة التي انجته من الطوفان (وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) ..

المنزل الرابع : منزل الفائزين ، أعطى الإمام الصادق " ع " منزلا ً آخراً عند الوصول للحائر الشريف ، حيث أن منزل المفلحين السابق يحصل عليه الزائر بمجرد وصوله للقبر الشريف ، بينما يكون المنزل الذي يتم الحصول عليه بعد ذلك هو (منزل الفائزين) وذلك بعد أداء مناسك الزيارة الشريفة حيث يقول عليه السلام (حتى إذا صار - اي الزائر - بالحائر كتبه الله من المفلحين ، وإذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين ..) ..

وفي موسوعة (التحقيق في كلمات القرآن الكريم) للعلامة مصطفوي / مادة (فوز) :

الفوز مرتبة بعد الفلاح .. ويقول : وليعلم أن الفوز الحقيقي هو في طاعة الله وطاعة الرسول والتقوى ورضوان الله تعالى .

وكما فعلنا في المنزل السابق ، فإننا لو بحثنا عن الفائزين في القرآن الكريم لوجدناهم يمتازون ببعض الميزات ومنها :

- فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز .

- ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا ً عظيما ..

- رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ..

- أصحاب الجنة هم الفائزون .

فنفهم أن الذي يصل إلى درجة الفوز الحسيني قد زحزح عن النار وطاع الله ورسوله ورضي الله عنه وأنه من أصحاب الجنة .... الله م ارزقنا زيارة الحسين في الدنيا والفوز بشفاعته في الاخرة ..

المنزل الخامس : منزل أعلى عليين ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) : من أتى الحسين " عليه السلام " عارفاً بحقه كتبه اللّٰه في أعلى عليين .. وما أسماه وأعزّه من منزل أن يكتب المؤمن إسمه في عليين بل في أعلى عليين (كلّا إِنّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) ..

وفي أصول الكافي بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام : إن اللّه عز وجل خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوي إلينا لانها خلقت مما خلقنا ..

لهذا وبعد قطع هذه المنازل من قبل زائر الحسين أصبح حديث الإ مام الصادق عليه السلام : (من زار جدي الحسين كمن زار اللّٰه في عرشه) واضحاً وقريباً للفهم بعد أن قاب قوسين أو أدنى منه وفق المنازل التي ذكرناها .. هنيئا للزائرين هذا الفتح المبين .. و الحمد لله رب العالمين ..

تتمة ١ / زيارة الاربعين هل هي في العشرين من صفر أم نحسب اربعين يوماً من عاشوراء ..؟

الجواب / اذا كان شهر محرم ثلاثين يوماً فسيكون يوم العشرين من صفر هو يوم الاربعين (مرور اربعين يوماً على استشهاد الامام الحسين ع) ، واذا كان تسعة وعشرين يوماً فسيكون يوم الاربعين هو يوم الواحد والعشرين من صفر ..

والسؤال هو عن موعد الزيارة : هل يوم الزيارة هو يوم الاربعين (كعدد) ام يوم العشرين من صفر هو يوم زيارة الاربعين بغض النظر عن تطابق عدد الايام الاربعين معه ..؟

ولقد اعتبر الشيخ البهائي ان يوم التاسع عشر من صفر تكون فيه زيارة الاربعين ، وهو لم يكن ناظراً الى تمام ونقيصة شهر محرم وانما احتسب عاشوراء (العاشر من محرم) هو اليوم الاول ، و الحادي عشر يوماً ثانياً للاستشهاد وهكذا حتى اكتمل العدد في التاسع عشر من صفر ..

ونستفيد من ذلك ان المعتمد عنده هو احتساب العدد سواء صادف يوم العشرين من صفر ام لا ..

وهذا ما يساعد عليه لسان بعض الروايات التي نصّت على لفظ الا ربعين مثل رواية (علامات المؤمن خمس) الواردة عن الامام العسكري عليه السلام ..غير انه كما هو معروف (وليس منصوصا) ان علة زيارة الاربعين هو ورود الامام زين العابدين والسيدة زينب عليهما السلام وباقي السبايا الى كربلاء عند رجوعهم من الشام واتفاق وصولهم مع الصحابي الجليل جابر الانصاري .. هذا الوصول سجلته بعض الاخبار انه صادف يوم العشرين من صفر ..

واحتمال تطابق الاربعين كعدد مع العشرين من صفر في سنة الا ستشهاد هو وارد جداً في حالة اكتمال شهر محرم من عام 61 للهجرة لثلاثين يوما ..

وعليه يبقى الاحتمالان قويان ، اي : امّا ان يكون يوم العشرين من صفر هو يوم الزيارة بغض النظر عن اكتمال عدد الايام اربعين يوماً ، وهذا ما يساعد عليه موعد باقي المناسبات الاسلامية الذي يحتسب كل منها في شهرها الخاص بها . فيوم واحد شوال هو عيداً سواء اكتمل شهر رمضان ام نقص ..

او يُحسب اربعين يوماً اعتباراً من يوم عاشوراء سواء صادف يوم العشرين من صفر ام زاد عليه يوماً ، ويقويه لسان الاخبار الواردة والتي نصّت على لفظ الاربعين ..

[ملاحظة : هذه التتمة للنقاش العلمي فقط وليس الغرض منه تحديد او تشكيك بيوم الزيارة .. فالمعروف ان زيارة الاربعين هو في العشرين من صفر ..] .

تتمة ٢ / ماهو حق الحسين المطلوب معرفته من قبل الزائر ؟

اكدت الكثير من الروايات وادعية الزيارات على معرفة الزائر لحق الحسين عليه السلام باعتبارها شرطاً اساسياً للزيارة وسبباً لعوائد كبيرة وكريمة تعود على الزائر العارف بهذا الحق الشريف ، ومن هذه الروايات ما ورد عن مولانا الامام الرضا (ع) : " من زار الحسين بن علي عارفاً بحقه كان من محدّثي اللّه فوق عرشه ثم قرأ عليه السلام - إِنّ الْمُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ - " . فما هو حق الحسين ، وكيف تحصل المعرفة بهذا الحق ..؟

الجواب / حق الحسين يمكن أن نفهمه من خلال مستويين :

المستوى الأول : كل شيء يتعلق بالامام الحسين ع وكان خالياً من الباطل ، بمعنى اي معلومة أو عقيدة او فكرة او خاطرة تتعلق بأبي عبدالله الحسين عليه السلام ، او اي عمل وكل حركة وسكنة تؤدّى تحت عنوان الحسين .. كل ذلك ينبغي ان يكون له اصل شرعي ولم تكن فيه مخالفة شرعية ، اي لم يشوبه باطل .. اذا كان كذلك فإن هذه المتعلقات تمثل بمجموعها حق الحسين سلام اللّه عليه ..

المستوى الثاني : حق الحسين هو مجموع الواجبات الواقعة على عاتقنا اتجاهه صلوات اللّٰه عليه من علم وعقيدة وعمل ، ائتمام واقتداء وحفظ حرمة ومودة وتعظيم امره ... الخ

هذان المستويان نعتقد انهما يمثلان فهماً مهمّاً لحق ابي عبد اللّٰه عليه السلام ..

ماذا قدّمت زيارة الأربعين للمذهب ..؟

شاءت الحكمة الإلهية أن يكون لزيارة الأربعين (زيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر) شأناً عظيماً في العقود المتأخرة ، وتحديداً في العقدين الأخيرين بعد أن تحوّلت الى أكبر مسيرة وأعظم تجمع بشري سنوي على الأرض وعلى مرّ التأريخ ، الى الدرجة التي استحقّت أن تكون فيها أهم هوية من هويات المذهب وأبرز سمة من سمات الشيعة في العراق والعالم .. ومما يمكن أن نسجّله من تفاصيل لهذه الهويّة والتي خطّت محتواها التعريفي تفاصيل هذه الزيارة المقدّسة :

١. أظهرت زيارة الأربعين قوّة ارتباط شيعة أهل البيت بائمتهم عقائدياً وصلابة ايمانهم بمذهبهم رغم عقود من حروب الإبادة التي تعرضوا لها وحروب الاستئصال العقائدي ضدهم ومحاولات تغيير ومسخ الهوية المذهبية لديهم وبما لا يخفى على أحد ..

٢. التماسك الشيعي الشيعي ، وقوة ومتانة الرابطة الإيمانية بين المؤمنين وبمظهر اعجازي تذوب فيه كل الفوارق وتختفي كل الشوائب لتظهر الأخوّة الايمانية بأعلى وأرقى صورها ، ولعل الصورة التي ينقلها لنا التاريخ للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار هي أقرب الصور التي تتكرر في هذه الزيارة كل عام ..

٣. أعادت هذه الزيارة ترتيب الكثير من الأوراق الشيعية ، ومن أهمّها هو استرجاع العراق دوره كعاصمة للتشيّع في العالم الإسلا مي بعد ان كاد يفقده بسبب تمادي سنوات الظلم والطغيان عليه ، فبات قبلة أحرار العالم ووجهة المؤمنين الذين اتخذوا من مدرسة أهل البيت عليهم السلام ديناً يدينون الله به .. وهي بهذا تعتبر من أكبر الأمور التي ستمهّد العراق كعاصمة للدولة المهدوية الموعودة ان شاء الله ..

٤. أنعشت هذه الزيارة آمال الشيعة في العالم وعززت موقفهم وقوّت شخصيتهم كلٌ في منطقته ومدينته ودولته ، فأعطت للتشيّع سمة عالمية على المستوى الإعلامي والسياسي والا جتماعي ، مرتبط بالرأي العام ، ولشؤونه العامة انعكاسات رسمية ودولية لا يمكن الاستخفاف بها ..

٥. وأخيراً ، فإن العراقيين بالخصوص ، وزوّار وخدّام هذه الزيارة المباركة عموماً يعلمون جيداً ماذا أعطت لهم زيارة الأربعين وماذا أضافت لهم ، هذه الزيارة المباركة باتت أكبر جامعة وأكبر معهد لإ عداد كرام الناس وأعظمهم ديناً وأخلاقاً وإيثاراً وتآلفاً وتكاتفاً وخدمةً لكل صفة انسانية سامية ..

ليتعظ نواصب أهل البيت واعداء شيعتهم بأن الإرادة الإلهية شاءت ان ترفع من شأن وقدر أهل بيت العصمة ، وأن التاريخ أثبت لهم بأن هذه العقيدة كلما زادها الظالمون ظلماً كلما زادت علوّاً وشأنا .. وهذا ما تنبّأت به عقيلة الطالبيين الحوراء زينب عندما خاطبت الإمام السجاد عليهما السلام (.. وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء (عليه السلام) لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالى والأيام و ليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة فى محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهورا وأمره إلا علوا) بحار الأنوار ج٢٨ ص٥٧

بحث حول إحياء عاشوراء

عاشوراء قضيتنا التي لا زال ملفّها مفتوحاً منذ عام 61 للهجرة ، ولم تحسم هذه الدعوة لحد الآن لأسباب أهمها منع المدعي من القيام بدعوته والمطالبة بحقه وهيمنة المدعى عليه وقبضته على مجريات الأمور ..

وجل ما يقوم به المدعي ومن يتبعه الآن هو :

1. مواساة المظلومين في هذه القضية والمفجوعين بها و المتضررين بسببها ..
2. مساعدة القائم بالدعوة وتمكينه من مهمته والتمهيد لقدرته ..
3. تعظيم القضية والعمل لجعلها على رأس أولويات قضاياها واهتماماتها ..
4. رد جميع الشبهات والسهام والاجراءات التي تثار حولها والتي توجه اليها لغرض تحجيمها أو نسيانها أو محاولة تبريرها أو تشويهها .. الخ
5. العمل على تحقيق بعض الأهداف الممكنة للقضية واستثمار امتياز رفع رايتها في تحقيق أهداف وأغراض أخرى نافعة للحق وأهل الحق ..
6. تحديد المدعى عليه وفضح أفعاله وظلمه وجرائمه التي قام بها ..

هذه الأمور وغيرها هي من مهام وأهداف الماسك لأوراق الدعوة و القائم عليها ومن يتبعه في الفترة التي أعقبت حصول الجريمة ولحد الآن ..

ولكن هذه المهام مهمة بنتائجها وتحقيق أغراضها لا بآليات تحقيقها ووسائل الوصول إليها ، فثبات الأهداف والاغراض لا يستلزم ثبات الوسائل والآليات ، فريضة الحج ثابتة بوجوبها ومناسكها وشعائرها ولكن طرق ووسائل الوصول إليها والتمكن من اداءها ليس ثابتا ، ولا هي جزءا من شعائرها .. فتحو ّل وسيلة النقل من ركوب الناقة إلى ركوب الطائرة لا يغير من الحج شيئا ..

هذا هو هدف البحث ، وهو محاولة تأصيل الأهداف وتقديم أهميتها عند أصحاب قضية عاشوراء على آلياتها وطرق الوصول إليها .. فلكل زمان طرقه وأدواته ، ولكل مكان مؤثراته الخاصة به والتي تنحصر تحقيق النتائج بها ..

- منهج البحث

لا نقصد هنا بيان منهج البحث من الناحية الحرفية لبناء البحث العلمي بقدر ما نريد أن نضع خطوطاً عامة نحاول الإلتزام بها ولا نحيد عنها أثناء البحث ، ومن هذه الخطوط وأهم ما سنلتزم به هو :

1. سنلتزم بالطرق والمقد ّمات التي تؤدي بنا إلى الأهداف والا غراض التي ذكرناها في أعلاه وعدم ذكر أو طرح شيء لا ينفع ولا

يصب بتلك النتيجة . فقدسية الأهداف مقدمة على كل قدسية أثبتها البحث بأنها وهمية لعدم تحقيقها الهدف المنشود فضلا عن إنتاجها لأهداف عكسية مضادة ..

2. ثوابت الدين والتزامات العقلاء والتعامل مع الطبيعة البشرية الواقعية للانسان كفرد وكمجتمع والاستفادة من التجارب الناجحة والفاشلة .. كل هذه الأمور تعتبر أدوات البحث عن النتيجة ومعدات استخراجها ..

3. القضية تخضع لقواعد واصول العقائد والتاريخ والفقه ، فلا نستغني مثلا عن أصول وقواعد التحقيق في سند النص المنقول وقواعد فهم مضمونه ومعرفة دلالته ، وكذلك لا يمكننا تجاوز محددات القضية العقائدية وما يترتب عليها من أحكام فقهية .. الخ

4. إيجاد المعادل الموضوعي والبديل المناسب لمرفوضات فقرات إحياء عاشوراء هو من أساسيات منهج البحث وإسلوب طرحه ..

5. واخيرا : يبقى هذا البحث تحت مظلة ثقافة كاتبه وذوقه الخاص ومستوى فهمه وعلمه واخلاصه مهما حاول على موضوعيته وتجريده عن مؤثراته الذاتية ..

▪ هل النص جاء على مطلق إحياء عاشوراء ام شمل تحديد شكله ومصداقه .. ؟

تظافرت الادلة الشرعية (اللفظية وغير اللفظية وحتى العقلية) الداعية الى إحياء واقعة كربلاء وتعظيم أمرها ..

غير أن ما ورد (النقل منه خصوصا ً) ينقسم على قسمين :

القسم الأول : يتكلم عن الدعوة إلى مطلق الإحياء بدون ذكر

مصداقه ، كالرواية الواردة عن الإمام الصادق ع (احيوا أمرنا ، رحم اللّه من أحيا أمرنا) ، فلم تحدد هذه الرواية كيفية الإحياء و لا طريقته وشكله وإنما أطلقته ولم تقيده.

القسم الثاني : نصوص اخرى قد ذكرت شكل الاحياء وبينت بعض طرقه وكيفياته ، كالروايات الحاثة على الزيارة والبكاء وعقد مجالس ابكاء الاخرين ونظم الشعر والمراثي ، وكذا الروايات الحاكيه عن فعل المعصوم اتجاه إحياء أمر كربلاء ..

وهنا يطرح السؤال التالي : هل روايات القسم الثاني تعتبر مقيدة لاطلاقات القسم الأول و مخصصة لها ..؟

الجواب : القسم الثاني لا يعتبر مقيدا لإطلاق القسم الأول ولا مخصصا لعمومه ، وإنما هو ذكر لبعض مصاديقه ، ولا شك أن هذه المصاديق هي أدلة شرعية أقرت (من الإقرار) بعض أشكال الإ حياء العرفية التي كانت سائدة ومتعارفة آنئذ وقامت بمجاراتها ومحاكاتها ما دامت لا تتعارض مع الدين من جهة والقضية الكربلا ئية من جهة أخرى .

وما يدل على عدم التقييد والتخصيص هو :

* لسان الرواية غير دال على التخصيص .

* الفعل والتطبيق لا يخصص اطلاق القول ، فالروايات التي نقلت فعل المعصوم وإقراره لا قوله واضحة انها ليست ناظرة للتقييد أو التخصيص .

* تأخر بعض أشكال الإحياء عن بعضها الآخر ، فلا نتوقع التخصيص والتقييد مفتوح بهذه الدرجة .. فتأمل

* عدم ورود نهي صريح عن الاجتهاد في أشكال الإحياء إلا ما خرج بدليل كالمؤدي إلى الإضرار بالنفس أو الذي يسبب التخلف عن أداء واجب أو ارتكاب محرم .

* وكل هذا يلحقه العرف وسيرة المتشرعة والعقلاء التي كلها

تعضد القول القائل : أن الإحياء لا يتحدد بشكل دون آخر إلا أن يكون الشكل المعين ناقضا للغرض الذي أتخذ وشرع من أجله الإ حياء ..

وهنا نثبت نتيجة معينة تعتبر أساسا مهما لبحثنا ومفادها : أن إحياء القضية الحسينية غير منحصر بشكل وطرق الإحياء الواردة وإنما نستفاد من إطلاق بعض روايات الإحياء على إعطاء الموالي اختيار الشكل الذي يراه إحياء وتعظيما للقضية وفق عوامل الزمان والمكان والحال والظروف المتحركة ولكن بشرط أن لا تنقض الفرض الذي أريد به عند تشريع الإحياء ، وهذا الغرض يمكننا أن نجعله في امور ثلاثة أساسية هي :

الأمر الأول : أن لا تكون سببا لاكتساب المآثم بدلا من اكتساب ثوابها وامتيازاتها في الدنيا والآخرة .

الأمر الثاني : أن لا تنقض أهداف كربلاء فضلا عن الانعكاسات السلبية التي تسببها بعض طرق وأساليب الإحياء .

الأمر الثالث : أن لا تهون من عظمة كربلاء ولا تنتهك قدسيتها أو تحجيمها أو تشويهها وما شاكل ذلك .

وكل ما عدا ذلك فهو إحياء إن شاء الله تعالى ..

- مظاهر الإحياء العاشورائي المناسبة وغير المناسبة مع مجتمعات العصر الحديث

بعد أن أثبتنا أسساً مهمّة للإحياء العاشورائي وضوابط نافعة في متابعة ومراقبة المظاهر العاشورائية المعمول بها والتي تجيز وتجر ّء المتابع على امضاءها أو تهذيبها أو منعها البتة ، وكذلك تعطيه إمكانية تصميم وتنظيم مظاهر إحياء أخرى جديدة

ومتعارفة ..

واعتماداً على هذه الأسس والضوابط سنحاول مناقشة بعض هذه الظواهر الموجودة والتمهيد للحكم عليها بلحاظ ثقافة واعراف المجتمعات الحديثة الموجودة الآن وكذا نحاول الاجتهاد في زج مظاهر جديدة تقبلها أسس وضوابط الإحياء العاشورائي وتنسجم وحياة واذواق المجتمعات البشرية المعاصرة ..

ومن الملاحظ أن المجتمعات الحديثة بصورة عامة تميل إلى أمور في الإحياء ولا تميل إلى أمور :

الأمر الاول : لا تميل إلى مظاهر الصخب في مواطن الحزن و التعظيم بل السكينة والوقار والهدوء أقرب إلى مزاجها وثقافتها .

وهذا الأمر واضح في المجتمعات المعاصرة المتحضرة ، وهذا الشيء مرتكز في أدبيات الشعوب حتى اصبح مثلا يضرب عندما يعم السكون بين جماعة يقال لهم : كأنكم في مأتم ..

وعليه : يعمدون الى بعض الفعاليات التي تنطلق من هذا المفهوم مثل الوقوف دقيقة صمت وتعطيل الحركة في البلد والتوقف عن كل حركة كساعة حداد وما شاكل ذلك .. وهذا الشيء مثبت كقانون في كثير من البلدان .

فهذه فعالية حضارية يمكننا العمل بها في يوم أو أيام عاشوراء أو أيام وفاة المعصومين كتعبير عن الحزن والأسى ، وياحبذا تمارس في الشارع والمدارس والمؤسسات الرسمية ، وعندها نكون قد مارسنا وأحيينا شيء من كربلاء وبشكل يفهمه ويتذوقه الإنسان المتحضر والمعاصر ..

علما بأن الصمت والهدوء والسكينة تنسجم تماما وذوق الدين الإسلامي ، فيستحب مثلا الحضور في مراقد المعصومين والزائر على حالة من السكينة والوقار ولا يحبذ رفع الصوت فضلا عن الصخب

والصراخ ..

الأمر الثاني : العنف وإضرار النفس أو اضرار الآخر مرفوض رفضا قاطعا من قبل المجتمعات المتحضرة ولا تستسيغه إطلاقا .

وهذا الأمر مرفوض أيضا من قبل الدين الإسلامي ولا يسمح به بحجة الحزن والمواساة أو الضجر وما شاكل ذلك ، ولهذا نجده في الشعوب التي سادت فيها الأعراف والموروثات وحكمتها الخرافات ..

فمثلا " في قبيلة داني ، التي تعيش في أمينا بابوا بإندونيسيا يتخذ الحزن شكلا ً آخرا ، ويتحول إلى نوع من العذاب ، حيث يقوم أفراد هذه القبيلة بقطع عقلة أصبع من أصابعهم ، مقابل كل ميت من العائلة ، ويستخدمون في قطع الأصابع الحجارة الحادة ، أو الساطور ، أو السكاكين ، ما يضاعف الإحساس بالألم " .

ولو رجعنا لفلسفة هذا الفعل نجده : أن الحزين يلجأ إلى أذى نفسه وضررها ليخفف عما بداخله من ألم ولوعة كبيرين وكأنه يقوم بنقل الألم من الروح إلى الجسد والأخير يجده أهون ..

وهذا الأمر بالنسبة للمؤمنين له بديل ، وهو أن يحتسبه في سبيل الله ويتخذ من حزنه بابا لنيل الثواب والتقرب إلى الله تعالى ، فهذه اخت الحسين نجدها تقول ان ما هون علي المصاب انه بعين الله بل قالت لربها : تقبل منا هذا القربان ، وإن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى ..

وكذا الامر يهون اكثر بالنسبة لمتكلم اللغة العربية ، حيث له بديل وهو بلاغة اللغة وتشعب أساليبها ، فالعربي يستطيع أن يخفف عن نفسه بكلمات ويستطيع أن يعطي حق حزنه والمه بأساليب وتراكيب معينة .. في حين لا يتوفر هذا عند أقوام أخرى التي تتميز لغتهم بفقر البلاغة والتراكيب اللغوية المعبرة ، وهذا يكثر في البلدان الآسيوية كباكستان وأفغانستان والهند ، ولهذا نجدهم يعمدون الى عضد حزنهم بأذى الجسد ..

وعليه : عندما ترجع إلى أصل الزنجيل وخاصة ذي الشفرات و السكاكين منه تجده آسيوي بإمتياز ..

وهذا الشيء له باب في الشعائر الحسينية ولكنه ضيق ، وهذا الباب نأخذه من النص الذي مضمونه (كل الجزع حرام إلا الجزع على الإمام الحسين ع) والجزع هو الحزن الشديد الذي يتجاوز حدوده المتعارفة ولكن مشروط بالوصول إلى الجزع .. فإذا وصل حزن الموالي على مصيبة كربلاء لدرجة لا يستطيع عندها أن يتحمل المصاب إلا بأذى جسده فهنالك يكون لفعله باب وجواب كما يقال ، وأما أن أقوم بدور الجازع وتمثيل حالته فهذا مشكل .. والله العالم

الأمر الثالث : تتعامل المجتمعات المتحضرة مع الجاني كحالة وظاهرة أكثر من كونها استهدافا ً شخصيا ً واعتداء ً فرديا ً ، فتبحث عن أسبابها وتراقب تداعياتها وتضع لها العلاجات والا جراءات اللازمة التي تقضي عليها وتضمن عدم تكرارها من خلال مؤسسات قانونية وتعليمية ونفسية وطبية ..الخ تنهض بهذه المهمة وتراقبها وتضع لها الخطط والعلاجات الناجعة ..

فكسب صديق أولى من خلق عدو ، ومواجهة النوع أولى من مواجهة افراده كل على حده ، ووضع استراتيجية القضاء عليه مقدم على المواجهة الآنية معه ، وإشعال شمعة أولى من لعن الظ لام كما يقال عندهم ..

وهذا ما نجده واضحا في أدبيات الإسلام ومذهب أهل البيت ع أيضا ، فمعالجة الكفر أهم من معالجة الكافرين ، واستئصال النفاق أنتج من قتل المنافقين .. فما الظالم إلا نتيجة من حالة ظالمة أو فكرة مقيتة أو اعتقاد منحرف أو مفهوم مغلوط .. ولهذا يسبق القتال في الإسلام الدعوة إلى الحق وبذل الوسع في ذلك ومحاولة هداية الآخرين وكسبهم قبل قتلهم وتصفيتهم. ..

فليس من المناسب أن أتعامل مع أتباع قتلة الحسين ع بروح العداوة والحقد قبل أن استنفذ محاولات إقناعه وهدايته ودعوته بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، فينبغي عدم مواجهتم بالسب واللعن والتوعد بالويل والثبور .. قال تعالى (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ..

فإستفزاز الآخر وتحريك عداوته ليس في مصلحة القضية ولا من أهدافها الأساسية .

فهي دعوة إلى إنشاء مؤسسات وفق أسس إدارية وتعمل بخطط ومناهج علمية خاصة بإحياء القضية الحسينية في الجانب المذكور أعلاه ..

كربلاء : طور مكي متقدم

قبل الشروع بهذا البحث لا بد من تنبيهين :

التنبيه الأول : كل ما نقوله هو على نحو الاطروحة الشخصية ولسنا نتكلم على لسان الشارع المقدس ، كون لا أهلية ولا صلاحية لنا في ذلك ..

التنبيه الثاني : كل ما نقوله من علو شأن كربلاء فهذا لا يعني على حساب شأن مكة المكرمة بكعبتها الشريفة وإنما هو عبارة عن بيان للعلاقة الطولية بينهما وأن كربلاء حسنة من أهم حسنات مكة الا براهيمية المحمدية ..

- القبلة متحركة بتحرك مستوى الإيمان

كلنا يعلم بأن المسجد الحرام في مكة المكرمة هي قبلة المسلمين الثانية بعد أن كانت قبلتهم الاولى جهة المسجد الاقصى في القدس ، وهذا فيه نص قرآني واضح (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ) .. من البقرة ١٤٤

وتحويل القبلة هذا جاء بعد أن بدأت شخصية الاسلام والمسلمين المعنوية تتبلور وتتكامل وتستقلّ ، فكان لا بد أن تكون لهذا التقدم

المعنوي إنعكاساً في الخارج وبشكل يتناسب مع شخصية الإسلام الجديدة ، ولقد ذكر القرآن الكريم اسبابا لتحويل القبلة لا نريد ذكرها ولكن من يراجعها سيجد ما ذكرنا سببا ً جامعا ً للتحويل ..

نفهم من هذا أن القبلة متحركة بمعنى من المعاني ، وهذه الحركة تتبع حركة الإيمان التقدمية في نفوس المؤمنين ، نعم لا نقصد هنا القبلة الفقهية للصلاة والذباحة وتوجيه المحتضر ... الخ فهذه ثابتة في الإسلام ما بقى الدهر .. وإنما نقصد القبلة المعنوية و الروحية والإيمانية ، فمكة المعنوية قادرة على تحويل الكون كله قبلة بإشعاعها الكوني الالهي ..

والتحرك هذا ينبغي أن يكون خاضعاً لشروط من أهمها /

١. أن تكون القبلة الجديدة مشتملة على كل صفات القبلة السابقة مع الزيادة كونها الاكمل والأتم ... كصفة البركة مثلا التي اشتملت عليها قبلة المسلمين الاولى (سبحان الذي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) بينما نجد القبلة الثانية تتصف بالبركة والهداية معاً (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) ..

٢. أن تكون بمستوى إيمان الفرد بحيث يشعر بالرضا منها وأنها تغطي كل احتياجاته الروحية وحيثياته بإتجاه هدفه المنشود (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ) .. ولهذا لم يرض ابليس عليه لعائن الله بالتوجه الى آدم ع بالسجود عندما أمره الله تعالى ، كونه توهم بسبب التكبر بأن القبلة الجديدة (آدم) أقل من مستواه ولكن في حقيقة الامر هي اعلى من مستواه الإيماني .. فعدم الرضا من قبل الفرد تارة يكون بسبب دنو القبلة وتارة بسبب دنوه هو عنها ولكن لا يدري .. !! ولقد كان تحويل القبلة من

المسجد الاقصى الى المسجد الحرام امتحانا ً صعبا ً على المسلمين (ۚ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ) ..

٣. ومنها أن لا تكون قبلة للسائر نحو الكمال وبنفس الوقت قبلة لمن كان عقبة في طريق الكمال وعدوا ً للسائر نحوه .. فالضدان لا يجتمعان ، قال تعالى (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ) .. ولهذا فإن المتوجهين نحو القبلة متناقصون بـ العدد كلما كان مستوى القبلة اكثر كمالا ً وأعلى درجة ..

٤. ومنها أن تكون القبلة الجديدة فيها إمكانية نقل المتوجهين اليها الى قبلة اكثر كمالا ً وأعلى رتبة منها ، لأن الكمال غير منته فيحتاج السائر دائما ً الى قبلة تتناسب والدرجة القريبة التي وصل اليها .. وطريق الكمال لا نهاية له ، لأن نهايته هو الله جل وعلا وإن الله كما يقول المتألهون (فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى) فهو القبلة المطلقة ..

وهنا استحضر كلام للسيد الشهيد قدس سره الشريف في كتابه القيم (فقه الاخلاق) ضمن فصل الحج يبين فيه محدودية مناسك الحج في مكة المكرمة وذلك عندما قارن قدس سره بين الطواف حول الكعبة سبعة اشواط ورمي الشيطان سبعة جمرات حيث ان القرب الالهي المتمثل بالاشواط السبعة حول الكعبة يستلزم الابتعاد عن الشيطان بخطوات سبعة ايضا من خلال رمزية رمي الجمرات السبعة .. ولكنه علق قدس سره بعد ذلك ما مضمونه : أن السائر ليس دائما يتقرب الى الله جل وعلا من جهة ويبتعد بنفس المسافة عن الشيطان من جهة اخرى كون الشيطان في مرحلة من المراحل سينتهي ويفنى كونه محدودا ، والتقرب الى الله تعالى غير محدود .. فتأمل

إذن : القبلة متحركة ومتغيرة بتحرك وتغير المستوى الايماني للفرد وللجماعة .. وأن قبلتنا (اي مكة المكرمة) كما هي خاضعة لقانون التغيير هذا فإنها تتسم بالمحدودية النسبية ايضا ولا تتسع بإتساع الإيمان وتعمقه عند المسلمين ولكن لديها القابلية على نقل المتوجهين اليها نحو قبلة أرفع كمالا وأوسع حدودا وأرضى لأ نفسهم ومزاجهم الإيماني المتقدم وفي معزل عن عدوهم .. فمن هي هذه القبلة التي تجتمع بها هذه الشروط بالنسبة للمؤمنين السائرين في طريق الكمال من بين المسلمين كافة ..؟

- هل تنقطع الصلة مع القبلة السابقة ..؟

لا زلنا في مرحلة التأسيس لفكرة (كربلاء طور مكي متقدم) ..

بعد أن أوضحنا في أعلاه أصل فكرة تحريك القبلة نحو مستويات إيمانية متقدمة ومتناسبة مع المستوى الإيماني للفرد أو للجماعة .. وأوضحنا بعض الشروط اللازم توفرها في القبلة الجديدة ..

نريد هنا توضيح أمر مفاده : أن المؤمن لا تنقطع صلته بالقبلة السابقة وإنما تبقى موجودة معه في سيرته التقدمية على طريق الكمال ، وتشكل مع قبلته الجديدة مصباح في زجاجة وبمثابة

النور على النور في الهداية وإسراج طريق الوصول ... فلاحظ معي طريق معراج الرسول صلى الله عليه وآله ، فإنه إنطلق من مجموع القبلتين بعد أن رسم عن طريق الإسراء خطا ً رابطا ً بينهما (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ..

وهذه الفكرة تنطبق على جميع تفاصيل السير في طريق القرب الإلهي ، فتحريك الرسالات من نبي الى نبي كان تحركا ً تقدميا ً وترابطيا ً وغير منفصل .. فهذا خاتم الانبياء صلوات الله عليه قد جمع واختزل كل النبوات السابقة ولم يعلن انفصاله عنها (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [136] فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ..

- مؤهلات كربلاء كقبلة

قد أسسنا فيما سبق لأمرين أساسيين :

الأمر الأول : أصل فكرة أن القبلة (ليس بمعناها الفقهي الإسلامي) متحركة بتحرك مستوى الإيمان للفرد وللجماعة بحيث أن لكل مرحلة من مراحل السير القربي الى الله تعالى ينبغي أن تكون هنالك قبلة ..

الأمر الثاني : وضعنا بعض شروط القبلة اللاحقة وخصوصياتها الذاتية وغير الذاتية وخاصة فيما يتعلق بالقبلة السابقة عليها ..

والآن نريد أن نضع كربلاء كقبلة مرشحة لاحقة للكعبة الشريفة ونابعة عنها بإتجاه السير القربي وبشكل يربطها مع مكة علاقة طولية لا تنفصل عنها وتبقى لها مادة ومدد ..

ولابد لكربلاء من مؤهلات خاصة للترشيح وأن تتوفر فيها الشروط والخصوصيات التي ذكرناها في منشورات التأسيس السابقة ..

وأما فيما يخص المؤهلات فسننتطرق الى مؤهلات كربلاء ضمن مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة ماقبل واقعة الطف ..

المرحلة الثانية : المؤهلات التي أضيفت لها بعد الواقعة واتخاذها مدفنا ً للأجساد الطاهرة ، الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه صلوات الله عليهم اجمعين ..

أما المرحلة الأولى : فلقد دل ّت الروايات على أفضلية كربلاء بل تفضيلها على سائر البقاع قبل الواقعة :

1. روى الحر العاملي في الوسائل ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : (خلق الله كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام وقدسها وبارك عليها ، فما زالت قبل أن يخلق الله الخلق مقدسة مباركة ولا تزال كذلك (راجع التهذيب للطوسي رحمه الله: ج6، ص 72) .

2. أنها محل ولادة عيسى عليه السلام والربوة التي التجأت إليها مريم عليها السلام ، أخرج الشيخ الطوسي عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليهما السلام ، في قوله : (فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيا) (مريم 22) ، قال : (خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام ، ثم رجعت من ليلتها) (راجع التهذيب للشيخ الطوسي : ج 6، ص 73، حديث 138 ـ 9) .

3. الشيخ الخصيبي ـ المتوفى سنة 352 هـ في كتابه الهداية الكبرى ـ قائلا ً : (إن أمير المؤمنين عليه السلام سار بعسكره من النخيلة مغرباً حتى أتى نهر كربلاء ، فمال إلى بقعة يتضوع منها المسك وقد جنّ عليه الليل مظلماً متعكراً ومعه نفر من أصحابه ، وهم : محمد بن أبي بكر، والحارث الأعور الهمداني وقيس بن عبادة ، ومالك الأشتر، وإبراهيم الحسن الأزدي ، وهاشم المري .

قال ابن عبيد الله بن يزيد : فلما وقف في البقعة وترجل النفر معه وصلى؛ قال لهم : (صلوا كما صليت ولكم علي علم هذه البقعة) .

فقالوا : يا أمير المؤمنين منن علينا بمعرفتها. فقال عليه السلام : (هذه والله الربوة ذات قرار ومعين ، التي ولد فيها عيسى عليه السلام ، وفي موضع الدالي من ضفة الفرات غسلت مريم ، واغتسلت ، وهي البقعة المباركة التي نادى الله موسى من الشجرة ...

نكتفي بهذا القدر من الروايات التي تعطي لكربلاء الأهلية والأ فضلية وبشكل واضح وصريح ..

- مؤهلات كربلاء بعد واقعة الطف

تكلمنا عن مؤهلات لكربلاء تمكنها أن تكون قبلة نابعة عن مكة المكرمة وترتبط معها بعلاقة طولية تتناسب ومستوى إيماني عالي للمسلمين في مرحلة ما قبل واقعة الطف .. وهنا نريد ذكر بعض المؤهلات التي حصلت عليها كربلاء بعد الواقعة وبعد إتخاذها مدفنا لجسد أبي عبدالله الحسين ع وصحبه الميامين لتكون أكثر أهلية لإتخاذها قبلة لمستويات إيمان عالية من المسلمين .. وقبل ذكرها لا بد من معرفة أن تشريف المكان بالمكين ليس غريبا ً عن ثقافتنا الاسلامية ، فطابت وأنورت المدينة بقدوم النبي ص ، وطلب ابراهيم ع من الله تعالى أن يبارك في مكة بعد أن أودع فيها عياله ، فطلب لها الثمرات بعد أن كانت واديا ً غير ذي زرع وطلب لها الأمان .. وندعم ما نقول الروايات الشريفه :

١/ روى الحر العاملي في الوسائل عن أبي سعيد القماط ، عن عمر بن يزيد ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : « أن أرض الكعبة قالت : من مثلي وقد بُنيَ بيت الله على ظهري، يأتيني الناس من كل فج عميق ؟ وجعلت حرم الله وأمنه ؟ فأوحى الله إليها كفي وقري ، ما فَضْلُ ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة ا لابرة غمست في البحر، فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك ، ولولا من ضمنته كربلاء لما خلقتك ، ولا خلقت الذي افتخرت به فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلا ً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء ، وإلا ّ مسختك وهويت بك في نار جهنم » (راجع وسائل الشيعة، باب استحباب التبرك بكربلاء، ج 10، ص 403) .

٢/ الزيارات المروية عن المعصومين صلوات الله عليهم والتي تركز على هذه الخصوصية التي اكتسبتها كربلاء (طبتم وطابت ا لأرض التي فيها دفنتم) ..

3/ ذكر صاحب مفاتيح الجنان قدس سره بعض الروايات التي تشير الى تربة مدفن ابي عبدالله ع نذكر منها رواية واحدة : روي انّ الحور العين اذا بصرن بواحد من الاملاك يهبط الى الارض لأمر ما يستهدين منهالسّبح والتّربة من طين قبر الحسين (عليه السلا م) ..

4/ تحولت كربلاء الى مهبط للملائكة ومحط للأولياء والصالحين ومهوى لقلوب المؤمنين ، تحولت الى أرض عمل وعبادة ، ففي تربتها الشفاء وعلى ارضها قبول الدعاء ..

5/ تم تفضيل زائرها في بعض الأزمان (كيوم عرفه) على زائر الكعبة ، ومنح ثواب زيارتها لمرة واحدة ما يعادل زيارات (عمره وحج) مكة مرات متعددة .. والروايات في ذلك معروفة ومبثوثة في مصادر موثوقة لا نذكرها اختصارا .. نكتفي بهذا القدر من المؤهلات التي ترشح كربلاء كقبلة طولية للمؤمنين مع الكعبة الشريفة تنسجم ومستوياتهم الإيمانية والمهام الستراتيجية الموكولة على عواتقهم ..

- كربلاء قبلة التمهيد

اذن استطاعت كربلاء أن تؤسس لنفسها كل الأسس اللازم توفرها في القبلة وتحقق كل الشروط الضرورية لذلك (كما أوضحنا تلك الشروط والأسس في المباحث الثلاث الأولى) .. فهي بحق قبلة المؤمنين السائرين في طريق الكمال والراغبين في القرب الإلهي بل هي مقر قيادة المهام الإسلامية العظمى وغير المنجزة لحد هذه اللحظة .. فكربلاء إحدى أهم حسنات مكة المكرمة ، حيث استطاعت قبلة المسلمين المقدسة أن ترسم مع كربلاء خطا ً

سار عليه أبو عبدالله الحسين ع عندما ترك حج عام 60 للهجرة وتوجه صوب الطف ، قارن هذا الإسراء المعنوي للحسين ع (حيث ظلام نور الإسلام والإيمان بسبب سياسات ومكائد بني أمية) وإسراء الرسول ص ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الا قصى .. !!

** اشتملت كربلاء على ميزات تغلبت بها على مكة المكرمة وحازت لها الأهمية العظمى ، ولقد ذكرنا بعض روايات التفضيل وهي صريحة ..

** وهي مأوى المؤمنين ومحط رضا أنفسهم ، ولم يشترك بقبلة كربلاء الا من امتحن الله قلبه للأيمان وأعرض عنها الذين اقتدوا بـ القائلين (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) ..

** كربلاء قبلة مرحلية كذلك ، فمهمتها التمهيد لظهور الدين كله على يد المطالب بدم المدفون فيها ، فلا زالت كربلاء تبث روح الإ يمان والتضحية في نفوس المؤمنين حتى النصر الكامل ..

** ولم تنفصل كربلاء عن قبلة المسلمين ، بل تبقى مكة المكرمة بكعبتها الشريفة المدد والعون بل المنطلق والمبتدأ كما فعل أبو عبدالله ع في ثورته وكما سيفعل ولده الذي سيأخذ بثأره ان شاء الله حيث سيعلن القيام من مكة متوجها نحو كربلاء ليستمد منها روح الثأر وروح النصر ..

كربلاء قبلة النفوس التواقة لتحقيق وعد الله وإظهار دينه على الدين كله ..كربلاء قبلة الوارثين لهذه الأرض .. كربلاء قبلة الأحرار

وأصحاب المسؤوليات الكونية العظمى .. فهنيئا للمتوجهين لها ، وما عليك الا أن تنظر الى زوار الحسين ع في أربعين شهادته ثم تدبر في الآية المباركة (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) .. فمكة قبلة المسلمين كافة .. وكربلاء قبلة الممهدين على وجه الخصوص إضافة لقبلتهم مكة المكرمة..

كانت هذه أفكارا خطرت في ذهن وروح هذا المسكين فلا تتخذوها الا بعد التدقيق والتمحيص الشرعي لها .. والله هو الهادي ..

من تأصيلات واقعة الطف

لا شك أن التضحية التي قدمها الامام الحسين عليه السلام في كربلاء خلفت وراءها الكثير من الأصول والقوانين والقواعد الاسلا مية والانسانية اللازمة الامتثال ، ونافعة لمسيرة حياة الإنسان على هذه الأرض ، فالإمام المعصوم حجـ ـّة بقوله وفعله وتقريره في الحوادث الاعتيادية الطبيعية .. فكيف بحركة الحسين عليه السلام في كربلاء ..؟! وعندما نقول حجّة فإننا نعني أن كل ما يصدر عنه هو قابل للإمتثال والتطبيق ويحمل قوة القانون في ذلك ..

اذن ما هذه الاصول (التأصيلات) التي نستفيدها من الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة في كربلاء ؟

الجواب : عندما نقوم بقراءة تحليلية لنص ومستندات كربلاء فإنه بالإمكان الخروج بعدد من الدروس والعبر والفوائد ، سنحاول ذكر

بعضها هنا بإختصار:

التأصيل الأول : أن الإصلاح ووظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستحق بذل الغالي والنفيس ، هذه الحقيقة الأولى و القاعدة الأساسية التي رسخها ابو عبدالله عليه السلام ، فدم الحسين الغالي ودم اهل بيته واصحابه - وهم خيرة ما على الا رض - قدموه ثمنا لهذه الفريضة المقدسة .. وحسب مضمون كلام بعض الباحثين أن واقعة الطف رفعت من ثمن وسعر فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كون الحسين عليه السلام قد دفع دمه ثمنا لها .. فأي ثمن بعد ذلك يدفع لها هو أقل بلا جدال .

الا انه رغم هذا التأصيل الحسيني ، نلاحظ وللأسف الشديد تهاونا ً في أداء هذه الفريضة المقدسة والغالية ، وأننا غير مستعدين لدفع أبخس الاثمان واقل الاسعار من اجلها ..! فغير مستعدين ان نخسر درهما ً او صديقا ً او ساعة ً من نوم او لقمة طعام من اجلها .. واحسب ان العمل بهذا الاصل من افضل اشكال احياء قضية الامام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة في كربلاء .

التأصيل الثاني : من الأمور المهمة التي ثبتها ابو عبدالله عليه السلام في كربلاء هو المبدأ التالي : إذا كان بين يدي المؤمن خياران هما (الذلة أو اتباع طريق فيه احتمال الموت كبير ولكن فيه العزة) عليه أن يختار الموت ما دام فيه عزة الدين و المؤمنين .

فالموت لم يكن مبررا ً لقبول الذلة ، ولهذا سار عليه السلام تحت شعار (والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا اقر لكم اقرار العبيد) وشعار (الا ان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين ، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة) .. ولماذا يا مولاي هيهات منا الذلة ، الجواب (يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون) .

هذا ما ثبته لنا الامام عليه السلام في عاشوراء ، وهكذا ينبغي ان نتعلم منه كيف نكون اعزة ، وما هو ثمن العزة ، هذا من فقه واقعة الحسين عليه السلام المستفاد ومن فلسفة هذه القضية المباركة .. ألهمنا الله جل وعلا وإياكم حكمتها ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ..

التأصيل الثالث : مما نستفيده من اصول رصينة جاد بها طف عاشوراء هو الأصل التالي : (ضرورة التركيز على النتائج الستراتيجية اكثر من الاهداف الآنية عند مواجهة العدو) . ففي مواجهة الباطل نوعان من الغلبة :

(النوع الاول) آنية وسريعة وتتمثل بالإنتصار العسكري السريع الذي يحصل في ساحة المواجهة بغض النظر عن القضاء على العدو من اصل او تضعيفة او الحد منه او لا .

(النوع الثاني) وأخرى ذات اهداف استراتيجية طويلة الأمد من خلالها يكون المنتصر - الستراتيجي - قد بذر مسببات هلاك العدو والقضاء على توجهه او مبدأه او مطلق خطره وإن بِ َعد ً حين ، وإن خسر المواجهة العسكرية الوقتية .

النوع الثاني يعتبر من أشكال (الفتح) الذي قد لا يحققه النوع الا ول ، وهو الأهم والمطلوب . ولقد سم ّى القرآن الكريم صلح الحديبية في سنة 6 هجرية حيث منع المشركون المسلمين من دخول مكة فتحا ً (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) في حين لم يسم ِّ انتصارات المسلمين العسكرية في بدر وغيرها فتحا ..! وذلك بسبب الاتفاق الستراتيجي الذي تحقق لصالح المسلمين في وثيقة الصلح .

هكذا ينبغي ان تكون حساباتنا في التعامل مع العدو ، وأما إذا استطعنا الحصول على الانتصار الآني والستراتيجي فهذا افضل

وأكمل ، ونور على نور ، غير انه خاضع للظروف الموضوعية المتوفرة وطبيعة العدو وشكل الاهداف المطلوبة ..الخ .. ومن هنا نقترب من ادراك مقصود ابي عبدالله عليه السلام حين قال ما مضمونه (من لحق بنا فقد استشهد ومن لم يلحق لم يدرك الفتح) .. رزقنا الله واياكم ادراك الفتح على يد ولده المهدي عجل الله فرجه الشريف فهو هدف الطف الاسمى ..

التأصيل الرابع : في أصعب الأمور وأشد الحالات ينبغي أن لا يتنازل المسلم او الإنسان عن ثوابته واخلاقياته وادبياته ، وينبغي ان لا تخضع لقانون (عند الضرورات تباح المحظورات) الا بعض الحالات التي تترجح بها كفّة الاضطرار والاستثناء .. !

وهذا من الاصول الاصيلة التي رسخها ابو عبدالله عليه السلام في كربلاء ، والتزم بها ، فنراه عليه السلام في اشد الظروف رحيما ً حتى على اعداءه ، ملتزما بعفة نساءه ، دقيقا ً في الالتزام بـ الواجبات ، لم يترك الصلاة في اشد الظروف ، ولم يظهر عليه جزع ، وانما لسانه يلهج بالذكر والتصبر والدعوة الى الله تعالى وتوصية الاخر (الصديق والعدو) ..هكذا ينبغي ان يكون حال المؤمن ، فلا يذهب بحلمه الشيطان (كما وصى الحسين زينب عليهما السلام) ، ولا يبرر لنفسه مخالفة ما دأب عليه من آداب ، ولا يطيع الله جل وعلا من حيث يعصيه بحجة صعوبة الحال او شدة الظرف وما شاكل ذلك .. ورغم ما يتضمنه هذا الاصل من صعوبة في التطبيق الا انه لمن اصبحت آدابه والتزاماته خـ ُلقا ً وحالا ً وملكة فيه ، فإنه سيرى الالتزام بها في المواقف الحرجة الذ وأطعم وبالتالي اسهل من غيرها ..

التأصيل الخامس : أن لا يقتصر الانسان صاحب الحق وصاحب القضية في مواجهته للباطل على جانب واحد من جوانب المواجهة ، وإنما عليه أن يستثمر المعركة ، ويفتح الحرب في اكثر

من جهة (كالاخلاقية والاجتماعية والانسانية والدينية...الخ) خاصة اذا كان عدوه ملتفت الى جانب واحد وجهة واحدة فيستطيع حينئذ الالتفاف على عدوه والقضاء والانتصار عليه في الجوانب الاخرى التي غفل عنها ، وهذا من الدروس العظيمة التي نستفيدها من عاشوراء ، فلأن انتصر ابن مرجانه وأميره يزيد عسكريا ً في طف كربلاء فلقد خسروا مروءتهم وانسانيتهم واخلاقهم وضميرهم ، واسقطوا آخر قطرة منها في كربلاء .. خسروا آخرتهم ودينهم بل دنياهم .. فانظر الى عواقبهم وآجالهم ما حل بها عليهم لعائن الله وملائكته والناس اجمعين .. فالمنصف يرى التألق الحسيني في سماء المعنى والدين والاخلاق وبنفس الوقت يبصر الخذلان والتقهقر الانساني بكل ابعاده.. ولقد أشارت السيدة زينب عليها السلام الى هذه الحقيقة عندما خاطبت اللعين ابن اللعين يزيد (فوالله ما فريت الا جلدك ولا حززت الا لحمك) ..لم تكن الطف مواجهة عسكرية ولم يردها ابو عبدالله عليه السلام عسكرية وإنما أرادها مواجهة الحق بكل ابعاده مع الباطل بجميع جوانبه ..

التأصيل السادس : مما نستفيده ايضا من النهضة الحسينية المقدسة هو (ضرورة المحاولة في استثمار اخر قطرة من دم المسلم للحصول على اكبر مكتسبات ممكنة) ، بمعنى انه من يقرر التضحية في سبيل الله او تيقن القتل عليه ان لا يهدر دمه بسرعة وبدون نتائج تذكر ، كالجندي المحارب اذا وجد نفسه انه مقتول لا محالة فينبغي ان يندفع لإيقاع اكبر خسائر في صفوف العدو قبل ان يموت . وهكذا ابو عبدالله عليه السلام وعندما تيقن من قتل بني امية لعنهم الله له وحتى لو تعلق بأستار الكعبة قام بنهضته المباركة والتي ادفعت ال امية الثمن باهضا ً ولم يخسر عليه السلام دمه ولا دم اهل بيته واصحابه هدرا ً رغم محاولاتهم الحثيثة بقتله غدرا ً ، الأمر الذي خرج به الامام من المدينة الى مكة ومن ثم الى كربلاء ..

فبذل النفس اذن ليس كل شيء وليس هدفا ً بحد ذاته وانما كلما كان سببا ً وطريقا ً لأهداف ونتائج كبيرة كلما كان ذلك الا ستشهاد اكثر مطلوبية وأعظم أجرا .. ولهذا صح ّت مضمونا المقولة التي تنسب للإمام الحسين عليه السلام ، (ان كان دين محمد لم يستقم الا بقتلي فيا سيوف خذيني) فالتضحية مشروطة بالنتائج .

التأصيل السابع : من تأصيلات واقعة الطف هو (إعطاء أدوار جديدة للجهاد .. كجهاد المرأة وجهاد الشاب والطفل والكهل وجهاد العبد والنصراني ..) فبعض هذه الادوار الجهادية لم يكن معروفا بالأصل وبعضها غير راسخ .. وإن دل على شيء فهذا يدل على إنسانية هذه النهضة وربانيتها بحيث يعم خيرها البشرية جمعاء وأهدافها لا تنحصر بأحد ووجوبها يعم الوجود ..

هذا التأصيل يحسب للقضية الحسينية بإمتياز وبنفس الوقت يدل على كثير من مدلولاتها وأهدافها ودوافعها ، لم يكن تنازع على سلطان ولا نزعة عصبية ولم تكن وراءها دوافع شخصية .. كربلاء ثورة المظلومين (بكل تنوعهم) على الظالمين (بمختلف تفرعنهم) .. ولهذا يصح لكل المظلومين في العالم ان يثوروا بإسم هذا الثائر العظيم كما فعل ذلك غاندي وهو هندوسي تعلم من الطف كيف ينتصر ، وحسب مقولته المشهورة (تعلمت من الحسين ان اكون مظلوما فانتصر) ..

التأصيل الثامن : من الأصول الرصينة التي رسختها النهضة الحسينية هي (الثورة والقيام ضد الطغيان وضد منطق تسلط الظالمين على الناس وخاصة تلك التي تكون داخل الاطار الاسلا مي) .. وتأتي اهمية هذا التأصيل داخل الاطار الاسلامي في قبال المحاولات الاموية في وضع الاحاديث المكذوبة على الرسول الكريم فيما يخص توجيه المسلمين على وجوب طاعة الحاكم

وولي الامر حتى وإن كان ظالما ً أو فاجرا .. جاءت ثورة كربلاء ونسفت ذلك التأصيل الأموي السيء والمضل ، وجعلت الحكام الظلمة تحت رحمة الثورات والنهضات التي تهز عروشهم وتقلع جذورهم والتي لا يدرون متى وأين تقوم وتنشب ..إذن يتضمن هذا الاصل الحق ازهاق وابطال مفعول اصل باطل قد أخذ مأخذه سريعا ً في الأمة ولازال للأسف الشديد سببا ً لضلال وانحراف وتفرق وتشتت المسلمين وجعلهم يرزحون تحت قيادات وحكومات لا تمت للإسلام بصلة وتعيث فسادا في البلاد والعباد ، غير أن تلاميذ مدرسة كربلاء لم يألوا جهدا في سبيل اقتفاء اثر امامهم عليه السلام فترى ثوراتهم منذ عاشوراء الطف والى يومنا هذا مشتعلة وفوارة ويهيج غيضها بين الفترة والاخرى ..

التأصيل التاسع : من الامور التأسيسية التي تحسب لواقعة الطف هو الجيش العقائدي الذي شكله ابو عبدالله عليه السلام من ذوي البصائر والعزائم : هذا أحد أهم العلامات البارزة في معركة الطف ، فلم تشهد معارك الاسلام شروطا ً للإنظمام في جانب الحق لمواجهة الباطل كما هو الحال في الطف .. فلقد كانت حروب الاسلام منذ عهد النبي الاكرم صلى الله عليه وآله والى عهد الامام الحسن عليه السلام تضم المنافقين والمشككين والنفعيين ..الخ ، أما الالتحاق بقيام الامام الحسين عليه السلام في الطف كان ضمن شروط خاصة حددها عليه السلام (فمن كان باذلا ً فينا مهجته ، موطنا ً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا) .. كان يبحث عن النوع لا الكم ، ولهذا اختبرهم بأكثر من اختبار ، فأخبرهم انهم مقتولون لا محالة فلم يتراجعوا ، وأذن لهم بالانصراف وانهم في حل من بيعته فلم ينصرفوا .. وبعد كل هذه الاختبارات الناجحة و الشروط المتحققة فيهم اعلن عليه السلام هويتهم بقوله (فإني لا أعلم أصحابا ً أوفى ولا خيرا ً من أصحابي) .. هكذا ينبغي أن تكون جيوشنا وهكذا علينا أن نهيأ أنفسنا لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه ورزقنا الله نصرته ..

التأصيل العاشر والاخير : أضافت الطف فرقانا ً جديدا ً في ا
لإسلام لتمييز الحق عن الباطل داخل الإطار الإسلامي . حيث
نزعت عاشوراء القناع الاسلامي عن بني أمية بل عن خط (الانقلا
ب على الاعقاب) بعد وفاة الرسول الاكرم صلوات الله عليه ..
فلقد كان هؤلاء يتظاهرون بالاسلام ويتأمرون على المسلمين بهذا
العنوان وبشكل إنطلى على كثير من المسلمين ، حتى جاءت
عاشوراء واوضحت ما كان خافيا ً من كفر وغي وغشم وفسق
وحب للدنيا والرغبة في التسلط واخضاع الناس ..الخ ، لقد عرف
المسلمون بعد واقعة الطف بني امية ، ولكن تجاهلا ً او حبا ً
للدنيا او خوفا ً او طمعا ً او حقدا ً على الدين ..الخ ظل
بعض الناس على ولاءهم البائس لحزب الشيطان الطلقاء ..!!

لم تكن الطف الا ساحة عرض ومسطرة قياس للدين والاخلاق و
النوايا والاهداف ، ولا زالت هي كذلك محلا لجذب من كان لديه
قابلية او استعداد للإلتحاق بركب العشق الالهي وركب المظلومية
وركب الحرية التي لاتقبل ضيما ً ولاتقبل ذلة ..فالسلام عليك مو
لاي ابا عبدالله يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا ..

قابلية تصدير الثورة الحسينية في البعدين الجغرافي والزمني

قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ..

زار مدينتنا قبل سنوات الشيخ التيجاني السماوي - المستبصر الشهير وصاحب كتاب (ثم اهتديت) - وحضرت له ندوة أقيمت من أجله في مجمع الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره الشريف ..

وبعد المحاضرة وفي فقرة الاسئلة والأجوبة ، كنت أنا أول من توجّه إليه بسؤال : ما هي نقاط الضعف الحقيقية التي يراها الآخر في التشيّع .. ؟ فأجاب : الشيعة لا تجيد تصدير الحسين للآخرين .. انتهى كلامه

ولقد اخترت هذا السؤال لأهميته أولاً ولمناسبته للشخص المسؤول بإعتباره كان يعيش أجواء المذاهب الأخرى وكان يرى التشيّع بعينها .

ومسألة قابلية تصدير الثورات مما اختلف عليه المتخصصون ، فلقد انتقد الكاتب المصري محمد حسنين هيكل السيد الخميني قدس سره وقال أن الخميني أراد أن يصدر ثورته وهو لا يعلم أن الثورات لا تصدر ..! (حفظتها عنه من كتاب زيارة جديدة للتأريخ

على ما اعتقد) ..

وأنا لا أريد مناقشة أصل إمكانية تصدير الثورات كمبدأ عام وإنما أريد أن أثبت أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام على وجه الخصوص قابلة للتصدير .. والقابلية هذه إن لم تكن حسب القاعدة فلتكن شاذة عنها لأن لكل قاعدة شواذ حسب ما يقال ..

وإثبات ذلك يكون ببرهانين :

الأول : نظري ، كون الثورة الحسينية مستندة في منطلقاتها ومنعطفاتها ونتائجها المتحققة والمرجوة الى الشريعة الإسلامية ، والإسلام دين الإنسانية جمعاء في كل زمان ومكان ، وقد أرسلته السماء بهيئة قابلة للتطبيق على كل البشر (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) ، فهي جزء من كل وتحمل أهم صفاته وخصوصياته .

الثاني : تطبيقي ، فالثورة الحسينية تم تصديرها تأريخيا ً وعلى طول عمود الزمن الذي تجاوز اكثر من ثلاثة عشر قرنا .. فلا زالت كربلاء ثورة ساخنة في قلوب المؤمنين تتجدد كل عام .. وأما تصديرها الجغرافي الأفقي فتلكؤه له أسبابه رغم حصوله هنا وهناك (كالجمهورية الإسلامية في ايران الذي يقول قائدها قدس سره كل ما لدينا من عاشوراء) وكذلك (شهادة غاندي بأنه تعلم من الحسين عليه السلام أنه كيف يكون مظلوما ً كي ينتصر) ..

وأما أسباب تلكؤ التصدير الجغرافي للثورة الحسينية فنستطيع ذكر بعض منها :

1. اختلاف المسلمين انفسهم حول أحقية هذه الثورة للأسف

الشديد .. وإن كان الذين أنكروها هم مصداق للآية الكريمة (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) ..

2. القمع والتعتيم الذي تمت ممارسته ضد كل محاولات نسخ الثورة أو احياءها ..

3. بعض الأساليب الخاطئة أو غير المناسبة للتصدير والإحياء و التي لا يتقبلها الآخر أو لا تصح أن تكون لغة يستطيع الآخر قراءة مفرداتها واستيعاب مضامينها .. فلا زالت الثورة الحسينية محتكرة داخل بعض الممارسات التي لا يفهمها الا ثلة من المسلمين ..

هذه فكرة مختصرة حول مسؤولية تصدير الثورة الحسينية و الواقعة على عواتقنا ..

الدولة المهدوية تمثّل التوظيف الأمثل لكربلاء

قال تعالى (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) القصص ٥ .

حياة الأمم من حياة رموزها وقادتها وثوراتها وتضحياتها وكل ما أنتجته من ابداعات وابتكارات وأفكار .. الخ ، والشعوب الذكية و الناجحة هي التي تستثمر مخزونها البطولي والفكري والثقافي و الحضاري كوقود لعجلة حركتها وتقدّمها بين الأمم .. وكلما كانت أكثر استثماراً لهذا المخزون كلما كانت أكثر نجاحاً وتفوّقاً من غيرها ..

وطالما حثّ القرآن الكريم المؤمنين على العمل بالإرث الإيماني الخصب والذي بنى رصيده الضخم جيش من الرسل والانبياء والأولياء والشهداء والصالحين . فما ذكر دعوات وثورات وتضحيات الخط الرسالي من آدم وحتى رسولنا الكريم إلا لأخذ هذه العبرة

منهم والاستفادة مما رحلّوه لنا وبذلوا الغالي والنفيس من أجل المحافظة عليه وإيصاله إلينا ، قال تعالى (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) هود ١٢٠ .

وكذلك قدّم الإمام الحسين عليه السلام تضحيات كبيرة ، وتحمّلّ مظلومية عظيمة بكت لها السماء قبل الأرض ، فهو وارث خط الأ نبياء والمتمّم لحركتهم الإصلاحية ، أراد عليه السلام من كل ما قدّمه أن يُستثمر لخدمة الدين وخدمة كل المعاني السامية ، الإ لهية والإنسانية ، وأن أي تضييع أو هدر لهذه الطاقة والثروة يُعتبر مظلومية جديدة ، ومشاركة في قتل أبي عبدالله عليه السلام .. حياة كربلاء تكمن في توظيفها التوظيف الصحيح واللائق ، وثأر ا لإمام الحسين عليه السلام يؤخذ من خلال تسخير عاشوراء واستعمالها بما ينسجم مع أهدافها وأغراضها الربانية النبيلة ..

ورغم توظيف القضية الحسينية من قبل الأجيال المتعاقبة و الموالية لمدرسة اهل البيت عليهم السلام توظيفاً يتمثل بالحفاظ على الاسلام المحمدي الأصيل واستثمار هذه القضية كتنمية شيعية عامة وجيدة (أذا جاز القول) ، الا ّ أنها لحد الآن لم تعط هذه النهضة ما تستحق من التوظيف اللازم والاستثمار الناجح و الكامل .. نعم ، وظ ّفت ايضاً لقيام دول تدين بالولاء لأهل البيت عليهم السلام في مقاطع زمنية ومكانية من التاريخ ، الا انه كذلك يعتبر توظيفاً واستثماراً متواضعاً لها بالمقارنة مع إمكانياتها العالية والكامنة ..

دولة العدل الالهي التي سيقيمها حفيد الإمام الحسين عليه السلام والإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت هي الإستثمار الأمثل لها و التوظيف المستحق لمقامها وقدرها والذي يعطيها حقها ويتناسب وحجم التضحية التي قام بها ابو عبدالله عليه السلام واهل بيته وصحبه ..

هذه القضية هي مادة وأداة قيام الدول العادلة على هذه الارض ولهذا فهي مرعبة دائماً للظلمة والطغاة .. ولقد استغل ّها الآخرون

في قيام دولهم ، كدولة بني العباس التي قامت على شعار يا لثارات الحسين ، وهذا غاندي الذي تعلّم من مدرسة هذه الثورة كيف ينتصر على الدولة العظمى في عصره ..

وكما نوّهنا انه قد قامت دول موالية كثيرة مستندةً على هذا الكنز الحسيني العظيم ، كدولة المختار والدولة الفاطمية والبويهية والأدارسة في المغرب والدولة الاسلامية في ايران الذي يقول قائدها (كل ما لدينا من عاشوراء) .. الا أن وارث الحسين الإمام المهدي عج هو مَن سوف يستثمرها الإستثمار الأمثل ويوظّفها التوظيف الأكمل بدولته العادلة الدائمة ان شاء الله تعالى بعد أن يقوم بشعار يا لثارات الحسين ايضا ..

النهضة الحسينية حق عام ، ولكن لمن يُحسن الإستفادة منها ، ولمن يكون مرآة ناصعة لها ، وأمّا أن يُرفع أسمها ويُتخذ شعارها مكراً وخداعاً ، أو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام (كلمة حق يُراد بها باطل) ، فهذا ليس أقل سوءاً من العمل ضدّها والسعي في محاربة أهدافها ..

القضية المهدوية هي الترجمان المثالي والتجسيد الأوضح لأهداف القضية الحسينية ، فتلك غرست وهذه ستقطف ، ويوم عاشوراء أسّس ووضع القواعد واليوم الموعود سيبني ويرفع تلك القواعد ان شاء الله تعالى ..

يزيد بن معاوية عند علماء السنة : ملعون وكافر

ختم معاوية جميع أفعاله الشنيعة وسننه الشيطانية وتصرفاته السيئة في الإسلام بهذا الابن البارّ لسيرة والده والعاقّ لكل ما به صلةٍ بخير ورحمة ومعروف وإنسانية وضمير ينبض بأدنى درجة من خصال الفطرة البشرية والسجيّة الآدمية الرحمانية .. يزيد بن

معاوية ، اللعين بن اللعين باتفاق الأمّة الا ما شذّ عن أصل اجتماعها ، وهذه بعض الآراء حوله :

1. أفتى كلّ من سبط بن الجوزي والقاضي أبو يعلى والتفتازاني و الجلال السيوطي وغيرهم من أعلام السنة القدامى بكفر يزيد وجواز لعنه .

2. قال اليافعي : وأمّا حكم من قتل الحسين ، أو أمر بقتله ، ممّن استحلّ ذلك فهو كافر .

3. وقال الذهبي : كان ناصبياً فظاً غليظاً ، يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بقتل الحسين ، وختمها بوقعة الحرّة .

4. وقال ابن كثير : ان يزيد كان اماماً فاسقاً | البداية : 8 / 223

5. قال المسعودي : ولمّا شمل الناس جور يزيد وعم ّاله وعمّهم ظلمه وما ظهر من فسقه ومن قتله ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنصاره وما أظهر من شرب الخمر، سيره سيرة فرعون ، بل كان فرعون أعدل منه في رعيّته ، وأنصف منه لخاصّته وعامّته أخرج أهل المدينة عامله عليهم ، وهو عثمان بن محمّد بن أبي سفيان . مروج الذهب: 3 / 82 .

6. وروي أنّ عبد الله بن حنظلة الغسيل قال : والله ما خرجنا على يزيد ، حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء ، أنّه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة . الكامل : 3 / 310 وتاريخ الخلفاء: 165

7. المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين وحمله بنات رسول الله (ص) سبايا ، وقرعه ثنايا الحصين بالعود ، وإخافته أهل المدينة ، وهدم الكعبة ، تدل على القسوة والغلظة ، والنصب ، وسوء الرأي ، والحقد والبغضاء والنفاق والخروج عن الايمان ، ف الفاسق ملعون ، ومن نهى عن شتم الملعون فملعون .

الجاحظ - الرسالة الحادية عشر في بني أمية - رقم الصفحة : (398)

٨. الحق أن رضا يزيد بقتل الحسين (ع) واستبشاره به ، وإهانته أهل بيت النبي (ص) مما تواتر معناه وإن كانت تفاصيله آحادا ، فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه ، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه .

العلامة سعد الدين التفتازاني الشافعي - شرح العقائد النسفية - رقم الصفحة: (181)

9. قال اليافعي : وأما حكم من قتل الحسين ، أو أمر بقتله ، ممن استحل ذلك فهو كافر .

10 . وقال التفتازاني في شرح العقائد النفسية : والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين ، واستبشاره بذلك ، وإهانته أهل بيت الرسول مما تواتر معناه ، لعنة الله عليه ، وعلى أنصاره وأعوانه .

إبن العماد الحنبلي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - الجزء: (1) - رقم الصفحة: (68)

11. لا لعدم تصويب فعله بل لأنهم يرون عدم جواز إراقة الدماء ، فلا يجوز نصرة يزيد بقتال الحسين ، بل قتله من فعلات يزيد المؤكدة لفسقه ، والحسين فيها شهيد .

إبن خلدون - المقدمة - رقم الصفحة: (254)

12. وقد روي أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر و الغناء والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود ، وما من يوم إلا يصبح فيه مخمورا ، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ، ويلبس القرد قلانس الذهب ، وكذلك الغلمان ، وكان يسابق بين الخيل ، وكان إذا مات القرد حزن عليه . وقيل : إن سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها فعضته .

إبن كثير - البدايه والنهايه – الجزء : (8) - رقم الصفحة : (258)

لعنة الله عليه

من أحوال السيدة زينب الكبرى بعد فاجعة السبي وحتى وفاتها ومدفنها - عليها للسلام -

للأسف الشديد أن تأريخ الصديقة الصغرى عقيلة الطالبيين زينب الكبرى عليها السلام بعد فاجعة السبي ووصولها الى المدينة وحتى وفاتها عليها السلام مُختلف عليه بين المؤرخين ، غير أن المؤكد أنها حياة قصيرة أولا ً ، وأنها مليئة بالحزن والوجد و الكمد ، وأنها أيضاً توفيت ودفنت بعيدة عن ديار جدها وأمّها صلوات الله عليهم ..

وسنتطرق هنا الى ثلاثة أقوال تحدّث بها بعض المحققين حول مدفنها وبعض أحوالها بعد السبي صلوات الله عليها :

القول الأول : [انها دفنت في مدينة جدها رسول الله ، ومال الى ذلك المرحوم السيد محسن الأمين في ج٣٣ مستدلا ً بأنه قد ثبت دخولها الى المدينة ، ولم يثبت خروجها ، فنبقي ما كان على ما كان ..] الحسين وبطلة كربلاء – محمد جواد مغنية - ص٢٣٨ . غير أن مغنية لم يقبل بهذا القول لأسباب :

- كأن السيد الأمين استصحب بقاءها ، وهذا ليس من موارد ا لأستصحاب .
- لو كان قبرها في المدينة لعرف واشتهر ، وكان مزاراً للمؤمنين ..

القول الثاني : ما ذكره النسّابة ، شيخ الشرف ابن الحسن ، يحيى بن الحسن العقيقي العبيدلي في (أخبار الزينبيات) / ذكر أن

زينب الكبرى بعد رجوعها من أسر بني أميّة الى المدينة أخذت تؤلب الناس على يزيد بن معاوية ، فخاف عمرو بن سعيد الأشدق - والي المدينة - انتقاض الأمر ، فكتب الى يزيد بالحال فأتاه كتاب يزيد يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس ، فأمر الوالي بإخراجها من المدينة الى حيث شاءت ، فأبت الخروج من المدينة وقالت : قد علم الله ما صار إلينا ، قتل خيرنا وسقنا كما تساق الأنعام ، وحمّلنا على الأقتاب ، فوالله لا أخرج وإن أهرقت دماؤنا . فقالت لها زينب بنت عقيل : يا ابنة عماه قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض نتبوء منها ما نشاء ، فطيبي نفساً وقري عيناً وسيجزي الله الظالمين ، أتريدين بعد هذا هواناً ، إرحلي الى بلد آمن .

ثم اجتمعت عليها نساء بني هاشم ، فاطمة بنت الحسين عليه السلام وسكينة ، فدخلت مصر لأيام بقيت من ذي الحجة ، فاستقبلها الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري في جماعة معه ، فأنزلها داره بالحمراء فأقامت بها أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً ، وتوفيت عشية الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة اثنتين وستين هجرية ، ودفنت بمخدعها في دار مسلمة المستجدة بالحمراء القصوى ، حيث بساتين عبدالله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري . مصدر الرواية (وفاة السيدة زينب الكبرى ع ، العلامة فرج آل عمران القطيفي) .

وقد ذكر العلامة القطيفي بعض نقاط الضعف في هذه الرواية ، مثل (أنها كانت تؤلب الناس على يزيد - أنها حلفت أن لا تخرج من المدينة ثم خرجت - أنها خرجت مع النساء ولم يتعرض لذكر أحد من رجالها - لم يتعرض أنها استأذنت من زوجها أو من حجة الله الإمام زين العابدين ع - أنها دخلت مصر لأيام بقيت من ذي الحجة وأقامت بها أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً وتوفيت لخمسة عشر يوماً مضت من رجب ..!!) ..

وأيّدت خبر هجرتها الى مصر ودفنها فيها الكاتبة بنت الشاطىء في كتاب (بطلة كربلاء) وأن دخولها الى مصر كان في غرة شعبان .. كما أن الشيخ مغنية ذكر أن دفنها في مصر قال به كل العبيدلي وابن عساكر الدمشقي وابن طولون وغيرهم .

القول الثالث : عن المحقق آية الله السيد حسن صدر الدين في كتابه (نزهة أهل الحرمين) / زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين ع وكنيتها أم كلثوم ، قبرها في (قرى) (قرب) زوجها عبدالله بن جعفر الطيار خارج دمشق الشام معروف ، جاءت مع زوجها عبد الله بن جعفر أيام عبد الملك بن مروان الى الشام سنة المجاعة ليقوم عبدالله بن جعفر في مكان له من القرى والمزارع خارج الشام حتى تنقضي المجاعة ، فماتت زينب ع هناك ودفنت في بعض تلك القرى ، هذا هو التحقيق في وجه دفنها هناك ، وغيره غلط لا أصل له ..

وقد أيّد مضمون هذا الخبر العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني حيث نقله عنه المازندراني في الجزء الثاني من كتابه (المعالي) ، ولكن الشيخ محمد جواد مغنيّة ضعف دفنها في دمشق و ذلك في كتاب (الحسين وبطلة كربلاء) بقوله : ولم يُنقل هذا القول عن أحد من ثقاب (ثقاة) المتقدمين .

تعليق مفيد للشيخ محمد جواد مغنية في كتاب الحسين وبطلة كربلاء : ويلاحظ أن علماءنا الذين عليهم الاعتماد ، كالكليني و الصدوق والمفيد والطوسي والحلي لم يتعرضوا لمكان قبرها حتى نرجح بقولهم كلا ً أو بعضاً احد الأقوال الثلاثة ، فلم يبق الا الشهرة بين الناس ، ولكن الشهرة عند أهل الشام تعارضها الشهرة عند أهل مصر .. وهكذا لا يمكن الجزم بشيء .. وليس من شك أن زيارة المشهد المشهور بالشام ، والجامع المعروف بمصر بقصد التقرب الى الله سبحانه تعظيماً لأهل البيت الذين قربهم الله ،

ورفع درجاتهم ومنازلهم حسنة وراجحة ، لأن الغرض اعلان الفضائل وتعظيم الشعائر ، والمكان وسيلة لا غاية ، وقد جاء في الحديث : نيّة المرء خير من عمله .

والحمد لله وحده